



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة واسط/ كلية التربية

مجلة

كلية التربية

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدرها كلية التربية - جامعة واسط

ملحق بالعدد التاسع والعشرون/ المجلد الثاني/ السنة العاشرة ٢٠١٧

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٩٦١ لسنة ٢٠٠٧

E-ISSN 2518-5586

P-ISSN 4217-1994

ISI Impact Factor (2015) is: 1.201

ISRA Journal Impact Factor (JIF) is : 2.774



مجلة كلية التربية

يعود هذا الاسم الذي صار اسما لمجلتنا، على اسم كلية التربية واسط وكانت تابعة إلى جامعة القادسية في بادئ الأمر حين تقرر فتح كلية قائمة بذاتها مع بداية العام الدراسي ١٩٩٦/١٩٩٧، تلبية لمتطلبات خطط التنمية الشاملة التي يشهدها القطر العراقي لمحافظة واسط والتوسيع الكبير في قطاع التعليم الثانوي وتطعيم هذا القطاع الحيوي بملاكات علمية، تأسست المجلة العلمية البحثية في كلية التربية في عام ٢٠٠٧ وتصدر هذه المجلة بشكل فصلي متخصصة ومؤهلة تربوياً ومهنياً لكي يساهموا مساهمة فعالة في تنشئة وإعداد الجيل الجديد، الترقيم الدولي لليونسكو ١٩٩٤-٤٢١٧، ورقم الإيداع في مجلتنا في دار الكتب والوثائق بغداد ٩٦١ لسنة ٢٠٠٧ م.

مجلة كلية التربية

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية التربية-جامعة واسط

ملحق بالعدد التاسع والعشرون/المجلد الثاني - السنة العاشرة - ٢٠١٧

الإشراف العام

الأستاذ المساعد الدكتور علي حسن الدلفي

هيئة التحرير

- | | |
|--------------|--------------------------|
| رئيس التحرير | • أ.د. سعد عبود سمار |
| مدير التحرير | • أ.م.د. علي خلف حسين |
| عضواً | • أ.م.د. محمد مزعل خلاطي |
| عضواً | • أ.م.د. مالك ناصر عبود |
| عضواً | • أ.م.د. عماد جبار كاظم |
| عضواً | • أ.م.د. محمد هادي حسن |
| عضواً | • أ.م.د. إيناس ناجي كاظم |

سكرتير المجلة السيد حازم أنور جاسم

مجلة كلية التربية

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية التربية-جامعة واسط

ملحق بالعدد التاسع والعشرون/المجلد الثاني - السنة العاشرة - ٢٠١٧

الهيئة الاستشارية

- أ.د. خضير مظلوم فرحان / جامعة واسط
- أ.د. ناجي سهم رسن / جامعة واسط
- أ.د. مجيد طارش عبد / جامعة واسط
- أ.د. لطيف هاشم كزار / جامعة واسط
- أ.د. نائل حنون عليوي /جامعة القادسية
- أ.د. ستار بدر سدخان / جامعة بابل
- أ.د. جاسم حسين سلطان / جامعة واسط
- د . رحمت بدرياتوا / جامعة البهاء / السعودية
- د . أحمد الهادي أحمد رشراش / جامعة طرابلس ليبيا
- د .ظهروي رمضان /الجامعة الاسلامية العلمية / ماليزيا
- د . جيلاني بو بكر / جامعة حسبية بن بو علي / الجزائر
- د . مصطفى عطية جمعة / جامعة الكويت / دولة الكويت
- د . جعفر بايوش / جامعة مستغانم / الجزائر
- د . محمد كمال عبد العليم / جامعة محمد بن سعود /السعودية
- د . نبيل حمدي الشاهد / جامعة الفيوم / مصر
- د . حمو الحاج ذهبية / جامعة مولود معمري / الجزائر

ضوابط النشر في مجلة كلية التربية

يسر أسرة تحرير مجلة كلية التربية / جامعة واسط / ان تصدر العدد التاسع والعشرون وتستقبل البحوث في مجال العلوم الإنسانية على وفق الضوابط الآتية :

ملاحظة مهمة: تخضع جميع البحوث الى برنامج الاستلال الالكتروني (turnitin) ويجب ان تكون نسبة الاستلال %٢٠ فقط

- ١ - يكتب عنوان البحث واسم الباحث ولقبه واختصاصه العلمي ومكان عمله على صفحة مستقلة.
- ٢ - تكتب خلاصة البحث وعنوانه واسم الباحث وعنوانه باللغتين العربية والانكليزية.
- ٣ - تستقبل المجلة البحوث التي لم يسبق نشرها باللغتين العربية والانكليزية .
- ٤ - يطبع البحث على ورق من نوع (A4)، ويكون نوع وحجم الخط (14 Simplified Arabic)، وللمتن، والهامش يكون في نهاية البحث بخط (12 Simplified Arabic)، وبحوث اللغة الانكليزية (Times New Romans)، على ألا يتجاوز البحث (٢٠) صفحة وفي حالة تجاوز البحث الصفحات أعلاه يتحمل الباحث أجوراً إضافية.
- ٥ - ترسل البحوث إلى خبراء مشهود لهم بالمكانة العلمية داخل العراق وخارجه، ويلزم الباحث بإجراء كافة التعديلات التي يضعها الخبراء على البحث قبل تزويده بخطاب قبول النشر.
٦. يلزم الباحث بدفع مبلغ مائة الف دينار على ان يتم تزويده بإيصال قبض محاسبي يتضمن قيمة المبلغ المدفوع، ذلك لأن المجلة تعمل على وفق نظام التمويل الذاتي
٧. لا يعاد المبلغ ولا تعاد البحوث في حالة رفض البحث من قبل السادة الخبراء.
- ٨ - يلزم الباحث بشراء نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ويزود بنسختين (مُستل) من البحث .
- ٩ - الأفكار الواردة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها والمجلة غير مسؤولة عنها.
- ١٠ - ترسل البحوث على العنوانات الآتية :

- محافظة واسط / جامعة واسط / كلية التربية / سكرتارية تحرير المجلة .
 - البريد الإلكتروني ecjuow@uowasit.edu.iq E-mail :
 - لأي استفسار لاحق يرجى الاتصال على الهاتف المحمول: (٠٧٨١٦٢١٩٩٦٥)
 - للاطلاع على البحوث المنشورة زوروا موقع المجلة على الانترنت
- www.edu.j.uowasit.edu.iq

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة واسط/كلية التربية

قسم التاريخ/الدراسات العليا/ما بعد الدكتوراه

العادات والأخلاق ومستوى المعيشة

في منظور المستشرق الألماني آدم متز

بكتابه (نهضة الاسلام)

بحث تقدم به الطالب يوسف كاظم جغيل الشمري

الى عمادة كلية التربية جامعة واسط لنيل شهادة ما بعد الدكتوراه

فلسفة في التاريخ الاسلامي

باشراف

أ.د. فاضل جابر ضاحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا
وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة البقرة الآية/٢٨٦)

العادات والاخلاق ومستوى المعيشة

أ.د. يوسف كاظم جفيل الشمري

في منظور المستشرق الالمانى آدم متز

جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية

بكتابه (نهضة الاسلام)

kadyoyo@yahoo.com

الملخص

ينتمي متز الى المدرسة الاستشراقية الالمانية والتي مثلت بشكل عام المدرسة الاكثر اعتدالا مع وجود مستشرقين المان مثلوا الجانب المتشدد.

الف متز كتابه الذي عنوانه ب: (نهضة الاسلام)، ولكنه توفي قبل ان يطبعه فترجم من الالمانية الى الانكليزية، ثم ترجمه الدكتور عبد الهادي ابو ريده الى اللغة العربية، وطبعه بعنوان: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري)، وقد تم تقسيم البحث الى مقدمة وتمهيد واربعة فصول، تناول التمهيد المدرسة الالمانية وترجمة للمستشرق متز، وتعريف بكتابه نهضة الاسلام، والفصل الاول بعنوان: موارد متز وتناولنا فيه اهم الموارد التي اعتمدها، وكانت موارد اسلامية من امهات المصادر التي اخذ منها، اما الفصل الثاني فقد عنوان ب: بمنهجية متز في كتابه، وتناول المنهجيات المتعددة التي اعتمدها من منهج مقارن ووصفي ومنهجيات متعددة تناولناها في البحث، اما الفصل الثالث فقد وسمناه بعنوان: العادات والاخلاق الاسلامية عند متز، تناولنا فيه الاخلاقيات السلبية والايجابية والعادات التي مورست في الدولة الاسلامية، اما الفصل الرابع فعنوانه بعنوان: مستوى المعيشة في الدولة الاسلامية من خلال الكتاب، تتبعنا فيه طبقات المجتمع والقصور ومظاهر البذخ والترف وختمنا البحث باستنتاجات وملاحق عدة وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة من قبل متز.

واتضح عندنا ان ممتاز تمكن من تأليف كتابه وحاول جاهدا ان يثبت ما هو جديد وملفت للنظر من معلومات تشد القارئ للكتاب، اذ انه ركز على الاخلاقيات السلبية وهذا بحقيقة الحال لا يمثل الا رأي من قام بالأفعال؛ لان التنظير الاسلامي الحقيقي يتقاطع ويختلف عن هذه الافعال التي لا تمثل الا وجهة نظر مرتكبيها.

الكلمات المفتاحية

(الاستشراق - ادم متز - العادات والاخلاق ومستوى المعيشة)

Habits, ethics and standard of living

P.D.Yousif Kahdum Jouahle

From the point of view of German orientalist

University of Babylon

Adam Mez With his book (Renaissance Islam)

Coulage of Educatian

Key words

(Orientalism - Adam Metz - Habits, Ethics and Standard of Living)

Abstract

Adam Mez belongs to the German Orientalist School, It is a moderate Orientalist Schoolt but may be there are extremists in this School, Mez is the author of "the renaissance of Islam" and died before he printed it. The book translated from German language to English and then translated by Dr. Abdul Hadi Abureada into Arabic and printed under the title (Islamic civilization in the fourth century AH). The study was divided into an introduction, a preface, four chapters and a conclusion. Of the life of the writer and his book Nadet al-Islam.

Chapter 1 under the title Mez vision and discussed the vision and the Islamic sources that the used in the book, Chapter 11 under the title Mez methodology in the book, including the comparative approach and descriptive approach. Chapter 111 under the heading of customs and Islamic ethics from Mezs point of view and we touched on the negative and positive habits that focused on Mez. Chapter four under the title of the standard of living in the Islamic state and discussed the layers of society and palaces and opulence and concluded the study with several results.

We believe that Mezs book entitled "the Renaissance of Islamic" in which the write tried to present new information about Islam, but the problem in the book that he focused on the negative phenomena and leave the positive phenomena and the Islamic religion rejects the negative phenomena mentioned by Mez as representing Islam and these phenomena do not represent those who did it.

فهرست المحتويات

الصفحة	العنوان	ت
	الآية القرآنية	١
	الاهداء	٢
أ - ث	الفهرست	٣
٢ - ١	المقدمة	٢
٩ - ٣	التمهيد: المدرسة الاستشراقية الالمانية، التاريخ، التطور، السمات.	٣
٩ - ٦	المستشرق الالمانى متز وكتابه نهضة الاسلام.	٤
٣٨ - ١٠	الفصل الاول: موارد آدم متز بكتابه نهضة الاسلام.	٥
١٣ - ١١	١. ديوان ابن المعتز لابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ/٩٠٨م).	٦
١٤ - ١٣	٢. مروج الذهب للمسعودي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م).	٧
١٦ - ١٥	٣. كتاب الاغانى لابي الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ/٩٦٧م).	٨
١٧ - ١٦	٤. ادب النديم لكشاجم (ت: ٣٦٠هـ/٩٧٠م).	٩
١٩ - ١٨	٥. احسن التقاسيم للمقدسي (ت: ٣٩٠هـ/٩٩٩م).	١٠
٢٢ - ١٩	٦. تجارب الامم لمسكويه (ت: ٤٢٠هـ/١٠٣٠م).	١١
٢٣ - ٢٢	٧. بيتيمة الدهر للثعالبي (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م).	١٢
٢٥ - ٢٤	٨. كتاب الوزراء للصابي (ت: ٤٤٨هـ/١٠٥٦م).	١٣
٢٧ - ٢٥	٩. تاريخ يحيى بن سعيد النصراني (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٧م).	١٤
٢٨ - ٢٧	١٠. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ/١٠٧٠م).	١٥
٣٠ - ٢٩	١١. حكاية أبي القاسم البغدادي (ت: ١١هـ/١١م).	١٦
٣١ - ٣٠	١٢. المنتظم لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠١م).	١٧

٣٢ - ٣١	١٣. ارشاد الارب لياقوت الحموي (ت:٦٢٢٢هـ/١٢٢٩م).	١٨
٣٣ - ٣٢	١٤. الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت:٦٣٠٠هـ/١٢٣٢م).	١٩
٣٦ - ٣٣	١٥. كتاب الخطط المقرزية للمقرزي (ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م).	٢٠
٣٨ - ٣٦	١٦- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي الاتاكي (ت:٨٧٤هـ/١٤٧٠م).	٢١
٧٧ - ٣٩	الفصل الثاني: منهجية متز في كتابه نهضة الاسلام.	٢٢
٤٢ - ٤٠	١. الاحالة إلى المجاهيل وبصيغة الجمع.	٢٢
٤٣ - ٤٢	٢. اعتماده الحكايات واستخدامه الفعل (حكي).	٢٣
٤٧ - ٤٣	٣. اعتماده الشعر كشواهد تاريخية.	٢٤
٤٧	٤. المنهج المقارن.	٢٥
٥٠ - ٤٨	أ. المقارنة بين الاتفاق والاختلاف في آراء المؤرخين.	٢٦
٥٢ - ٥٠	ب . المقارنة بين بغداد والقاهرة.	٢٧
٥٤ - ٥٢	ت . مقارنة بين الحوادث التاريخية في الدولة الاسلامية.	٢٧
٥٧ - ٥٤	ث . مقارنة الحوادث فيما سبقها من العصور وما جاء بعدها.	٢٨
٦٣ - ٥٧	ج . المقارنة بين الدولة الاسلامية والحضارات المجاورة لها.	٢٩
٦٧ - ٦٣	٥. المنهج الوصفي.	٣٠
٧٤ - ٦٧	٦. منهجية التنوع في المصادر المعتمدة.	٣١
٧٤ - ٦٧	١- الموارد التي اشار اليها متز في متن الكتاب.	٣٢
٧٠ - ٦٨	أ . كتب الادب واللغة.	٣٣
٧٢ - ٧٠	ب . كتب التاريخ.	٣٤
٧٣	ت . كتب الجغرافية والرحلات.	٣٥

٧٤ - ٧٣	ث . كتب الفقه والولايات الدينية.	٣٦
٧٧ - ٧٤	٧. منهجيته عند ذكره للنبي (ﷺ).	٣٧
١١١ - ٧٨	الفصل الثالث: العادات والاخلاق.	٣٨
٨٧ - ٨٢	١. الاشتراك في الاحتفالات الدينية لأهل الذمة.	٣٩
٩١ - ٨٧	٢. التكافل الاجتماعي.	٤٠
١٠٧ - ٩٢	٣. العادات والأخلاق السلبية.	٤١
٩٦ - ٩٢	أ . التشيب بالغلما ن.	٤٢
٩٩ - ٩٦	ب . الخصاء	٤٣
١٠٤ - ٩٩	ت . شرب الخمر	٤٤
١٠٧ - ١٠٤	ث. الفحش والبغاء	٤٥
١١١ - ١٠٧	٤. ولع الخاصة بالشعر .	٤٦
١٤١ - ١١٢	الفصل الرابع: أحوال المعيشة.	٤٧
١١٦ - ١١٣	١. الألعاب (الشطرنج، النرد، الصولجان).	٤٨
١١٩ - ١١٧	٢. الزواج والختان.	٤٩
١٢٤ - ١١٩	٣. السجون وما يحدث فيها.	٥٠
١٣١ - ١٢٤	٤. طبقات المجتمع.	٥١
١٢٧ - ١٢٤	أ . الطبقة الخاصة.	٥٢
١٣٠ - ١٢٨	ب . الطبقة العامة.	٥٣
١٣١ - ١٣٠	ت . طبقة العبيد.	٥٤
١٣٣ - ١٣١	٥. طرق التكيف.	٥٥

١٣٦ - ١٣٤	٦. القصور وأماكن السكنى وطرق البناء والتزيين.	٥٦
١٣٨ - ١٣٦	٧- المائدة والشراب وأسلوب الدعوة.	٥٧
١٤١ - ١٣٨	٨- وسائل التسلية واللهو (الصيد، المهارشة بين الديكة، المناطقة بين الكباش).	٥٨
١٤٣ - ١٤٢	الخاتمة.	٥٩
١٥٧ - ١٤٤	الملاحق.	٦٠
١٤٨ - ١٤٤	الملحق رقم (١).	٦١
١٥٠ - ١٤٩	الملحق رقم (٢).	٦٢
١٥٧ - ١٥١	الملحق رقم (٣).	٦٣
١٧٢ - ١٥٨	قائمة المصادر والمراجع.	٦٤

المقدمة

نزلت تعاليم السماء على الأنبياء تأمرهم بالعدل والإحسان، وكانت الرسالة الإسلامية خاتمة الرسالة السماوية، قد ركزت على حسن الخلق، حتى ان الله تعالى انزل في كتابه الكريم يصف خاتم الانبياء والرسل بقوله: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)**^(١)، وقال النبي (ﷺ): **"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"**^(٢)، من هذا المنطلق تتأتى أهمية الاخلاق في الدين الاسلامي، وقد كتب المسلمون عن الاخلاق في الإسلام الكثير، وجاءت الدراسات الاستشراقية لتتناول هذا الجانب ضمناً، ومن بين المستشرقين آدم متز، الذي الف كتابه بعنوان: نهضة الاسلام (The Reniassains of Islam)، الذي تُرجم إلى العربية وطبع بعنوان: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري)، وقد كُتب الكثير عن الحضارة الاسلامية في كتابه، فارتأينا ان نكتب عن: (العادات، والاخلاق ومستوى المعيشة في منظور المستشرق الالماني آدم متز بكتابه نهضة الإسلام)، وقد عملنا جاهدين عللا تتبع النصوص ذات العلاقة بموضوع الدراسة من كتاب آدم متز، ومن هنا تأتي أهمية الموضوع، أي تسليط الضوء على الكيفية التي تناول فيها المستشرق متز العادات والاخلاق، ومدى تأثير مستوى المعيشة على هذه العادات والاخلاق، فاقتضت طبيعة البحث ان يقسم على مقدمة واربعة فصول، وخاتمة مع قائمة بالمصادر والمراجع، كان عنوان **الفصل الأول: (موارد آدم متز في كتابه نهضة الاسلام)**، وقسمناه على عنوانات عدة: الموارد وتناولنا فيه أهم موارده التي اعتمدها.

والفصل الثاني فكان بعنوان: (منهجية آدم متز بكتابه نهضة الاسلام)، وشخصنا فيه المنهجيات التي اعتمدها متز والتي لها علاقة بموضوع البحث حصراً، وقد كانت متعددة ومتنوعة كما سيأتي في صفحات البحث.

أما الفصل الثالث فقد عنوانه بـ: (العادات والأخلاق)، وفيه سلط الضوء على العادات وارتباطها بالأخلاق مع الكيفية التي تناولها آدم متز بهذا الخصوص، إذ قسم الفصل على عنوانات عدة منها: التكافل الاجتماعي والمظاهر السلبية (الفحش، البغاء، الخصاء، شرب الخمر)، وتناولنا فيه أيضاً

(١) سورة القلم، الآية/٤.

(٢) الغازي، مسند الإمام الرضا، ١٣٠؛ البخاري، الادب المفرد، ٦٧؛ ابن سلامة، مسند الشهاب، ١٩٢/٢؛ الغزالي، احياء علوم الدين، ٩٠؛ البيهقي، سنن البيهقي، ١٠/١٩٢.

السجون وما يحدث فيها، وولع الخاصة بالشعر والغناء، وتطرقنا إلى الكيفية التي كان يشارك فيها المسلمون أهل الذمة (النصارى) اعيادهم المتنوعة والمتعددة جميعها.

وكان الفصل الرابع، بعنوان: (أحوال المعيشة)، واستخلصنا فيه طبقات المجتمع من خلال ما كتبه متر، معرجين على الفن والذوق العمراني في بناء القصور وإضافة كل ما يلفت النظر إليها من البُرك والفوارات والحدائق ودير الوحش، والتحف النفيسة، وتناولنا تطور وسائل التكييف مع المائدة وتطور اسلوب الدعوة إليها، ووسائل التسلية واللهو، وانواع الالعاب التي مورست، ثم الاعياد الاسلامية والاحتفال بمناسبات الزواج والختان، وفي الخاتمة سجلنا أهم النتائج التي توصلنا إليها.

تم اتباع منهجية اختصار هوية الكتاب في الهامش عند ذكره للمرة الأولى والمرات اللاحقة لها، واكتفينا بتفصيل هوية الكتاب في قائمة المصادر، تلافياً للتكرار، وتقليلاً للأخطاء والجهد المبذول، كما تم تتبع اغلب النصوص ومقارنتها مع المصادر التي اخذ منها، وبما انه في ايامه اعتمد على عدد كبير من المخطوطات، فأنا رجعنا إلى التي طبعت منها والتي تيسر الحصول عليها، وما تعذر الوقوف عليها، فقد اعتمدنا على امانة متر بالنقل وعولنا على صحة ما ذكره في كتابه؛ لأننا لم نجد عند المقارنة ما يمكن ان يخل بأمانته العلمية في النقل، كذلك رجعنا إلى الكتاب الاصل المترجم إلى الانكليزية وقارنا الكثير من النصوص للتعرف على دقة الترجمة.

لابد لنا من الاشارة إلى مسألة التكرار التي حتمت طبيعة البحث حصولها، إذ ان هناك عددا من النصوص اضطررنا إلى تكرار معناها أو محتواها في اكثر من مكان بوصفها شاهداً يثبت ما نريد الوصول اليه من حقائق فاضطررنا إلى سوقها في أكثر من مناسبة لضرورة ذلك.

ومن المهم القول هنا بأن طبيعة البحث اقتضت ايضاً التكرار الحاصل في الاحالات إلى كتاب (متر، الحضارة الاسلامية)، في الهوامش؛ ذلك لأننا مضطرين للرجوع اليه بشكل مستمر، لأن منهجية دراسة الكتب تُحتم على الباحث الاحالة إلى الكتاب المدروس بشكل مستمر.

اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المساعدة التي استكملنا من معلوماتها متطلبات البحث وسد الثغرات فيه، أو التوضيحات والتعريفات لبعض المصطلحات والمفاهيم التي ورد ذكرها في المتن، وكانت هذه المصادر والمراجع متعددة قد تم تثبيتها في قائمة المصادر والمراجع.

الباحث



التمهيد

المدرسة الاستشراقية الألمانية، التاريخ، والتطور، والسمات

تعددت المدارس الاستشراقية وتفاوتت اوقات ظهورها، واختلفت اهدافها وتباينت مميزاتها، فكل مدرسة من هذه المدارس ظروف اشتركت في ايجادها، ومن هذه المدارس: (المدرسة الاستشراقية الالمانية)، ويُعرّف الاستشراق بأنه: علم يهتم بدراسة لغات الشرق وتراثهم وحضاراتهم ومجتمعاتهم الماضي منها والحاضر^(١).

فتح الاستشراق نافذة جديدة نحو الشرق، اهتم خلالها الباحثون بحضارة الشرق واكتشافها ودراستها دراسة مستفيضة^(٢)، وقد قسم المختصون الاستشراق على مراحل عدة هي: (المرحلة المبكرة، مرحلة التبشير، مرحلة الاستعمار)^(٣)، ويكاد يتفق ماذهب احد الباحثين في هذا المجال مع الرأي القائل باختلاف المدرسة الالمانية عن المدارس الاستشراقية الاخرى سواء من حيث النشأة، ومن حيث الاهتمام بالدراسات الشرقية^(٤)، وأشار غيره إلى ان المانيا لم تكن لديها مصالح استعمارية في المنطقة على خلاف الدول الاوربية الأخرى^(٥)، لكن هناك من ذهب إلى رأي آخر معاكس، فقال: "... فالألمان كانوا يملكون رغبات استعمارية شرهة ومُعلنة، لكنها ما كانت فاعلة الا بعد الوحدة الالمانية عام ١٨٧٠م، وفي الوقت الذي اندفعوا فيه لخلق مجال حيوي من اوربا، التي زعموا انهم كانوا يختنقون فيها تحت وطأة الحصارات البريطانية والفرنسية والنمساوية، اتجهوا صوب افريقيا لانتزاع بعض الاقاليم، ثم صوب آسيا العثمانية لإقامة علاقة استراتيجية مع الرجل المريض [الدولة العثمانية] في مواجهة الروس والبريطانيين والفرنسيين على حد سواء"^(٦)، النص متقدم الذكر يدل دلالة واضحة على وجود مصالح لألمانيا في الشرق، ولكن هذه الحوادث التاريخية والدراسات اثبتت انهم اخف وطأة من الدول التي دخلت المنطقة واثرت فيها تأثيراً فاعلاً لازالت اثاره واضحة بشدة حتى العصر المعاش، بل لا زالوا يمارسون الدور الهدّام المصلحي في المنطقة نفسه.

(١) الساموك، الاستشراق ومناهجه، ١٣.

(٢) السيد، المستشرقون الالمان، ٥.

(٣) الساموك، الاستشراق ومناهجه، ١٣-٢٢.

(٤) هيويدي، الاستشراق الالمانى، ٩.

(٥) الساموك، الاستشراق ومناهجه، ١١٣.

(٦) السيد، المستشرقون الالمان، ٧.

يعود اتصال المانيا بالشرق إلى عصر الحروب الصليبية، تحديداً الحملة الصليبية الثانية (٥٤١-٥٤٣هـ/١١٤٧-١١٤٩م)، ومع الاندلس عندما قام الرهبان بالترجمة من العربية إلى اللاتينية لعدد من الأنشطة العلمية الاسلامية في اسبانيا، وتحزب فردريك ملك المانيا للإسلام ضد الكنيسة، ثم توجه المانيا نحو البروتستانتية^(١).

حاول أحد الباحثين التلويح إلى ظهور الاستشراق الالمانى تحديداً في الوقت الذي تُرجم فيه القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة اللاتينية، وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، وكذلك صدور قرارات كنسية باتخاذ مدارس لتعليم اللغة العربية، الا ان الدكتور رضوان السيد^(٢) له رأي بهذا الخصوص، اذ قال: "... بيد ان هذه الجهود [الترجمة] وغيرها مما يشابهها ما كانت استشراقاً، لأن مقاصدها ماكانت معرفية، بل تبشيرية".

وربما يعود سبب تأخر الاستشراق الألماني مقارنة بغيره من المدارس الاستشراقية إلى تأخر انشاء الجامعات في المانيا مقارنة مع دول اوربا التي سبقتها في هذا المجال، فبعد ان نشط عمل الجامعات الالمانية وظهور ترجمات للتوراة من لغتها القديمة إلى اللغة اللاتينية، بعد ان وجد نصاً عربياً للتوراة فترجم من العربية إلى اللاتينية، ولكن في مطلع القرن الثامن عشر اهتم الالمان باللغة العربية واللغات الشرقية الاخرى وتعلموها في هولندا أولاً، ثم رجعوا لألمانيا وعلموها في جامعاتهم، ثم بدأ اتصال المانيا بالشرق وفتحت مدارس للغات الشرقية في المانيا على غرار ما كان معمول فيه في النمسا فرنسا، كان ذلك سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧، وجمعت المخطوطات وقد ضمت المكتبات الالمانية الكثير من المخطوطات، وبدأ الالمان بتطوير عملهم في مجال الاستشراق بالانفتاح على المدارس الاستشراقية الاخرى والإفادة من تجاربهم وخبراتهم^(٣).

بلغت المدرسة الالمانية ذروتها في القرن التاسع عشر، وظهرت الدراسات الاستشراقية الالمانية إلى النور، مع ضرورة الإشارة إلى اثر المستشرق الهولندي توماس ارنيوس Erpenius (١٥٨٤-١٦٢٤م) الذي قام بنشر كتاب مهم في النحو العربي باللغة اللاتينية، وبقي تاثير هذا الكتاب واضح

(١) العقيقي، المستشرقون، ٢/٣٤٠.

(٢) المستشرقون الالمان، ١١.

(٣) العقيقي، المستشرقون، ٢/٣٤٠-٣٤١.

لقرنين من الزمان، وزاد تأثيره عندما ترجم من اللاتينية إلى الألمانية على يد الألماني ميخائيليس سنة ١٧٧١، ثم ظهر خلال القرن التاسع عشر اعلام المدرسة الألمانية الاستشراقية وطلاتها البارزين^(١)، امثال رايسكه (١٧١٦-١٧٩٧م)، وغوستاف تيخسن (١٧٣٤-١٨١٥)، وايفالد (١٨٠٣-١٨٧٥)^(٢)، فلاشير (١٨٠١-١٨٨٨)، وغيرهم.

وقد برز عدد كبير من المستشرقين الالمان^(٣) الذين مثلوا المدرسة الألمانية الاستشراقية، وكان جُل اهتمامهم بالدراسات الشرقية والاهتمام بمخطوطات التراث الاسلامي، حتى ظهرت دراسات استشراقية لآلاف المخطوطات في تخصصات متنوعة، من دراسات دينية، قرآنية، وفقهية، وحديثية، والسيرة النبوية، واللغة العربية وآدابها، والتاريخ والانساب، والبلدان، والرحلات، والقصص، والحكايات، وغيرها من المخطوطات، وقد حظيت باهتمام المستشرقين الالمان، الذين عمدوا على فهرستها والاهتمام بها ودراستها من خلال تحقيقها وطباعتها، وظهور هذه الدراسات بمراحل عديدة تتضح معالمها للمهتم عند قراءته للسير العلمية للمستشرقين الالمان، الذين اهتموا في تراث المشرق المخطوط منه والمطبوع، بل وحتى الاثر الموجود فيه النقش والكتابات والرموز، والمعالم الحضارية المختلفة والمتنوعة^(٤)، ومن هنا وبعيداً عن كل المقاصد التي كانت وراء دراستهم لهذا الارث الحضاري والتاريخ الطويل للمنطقة، لا يمكننا الا الاعتراف بفضلهم في المحافظة على هذا التراث والاهتمام فيه، بل اظهاره إلى النور حتى يكون بين متناول القراء في مختلف تخصصاتهم البسيط منها والمعقد.

المستشرق الالمانى متز وكتابه نهضة الاسلام.

يعد ادم متز من المستشرقين الالمان البارزين، ولد في ميونخ احدى المدن الالمانية الشهيرة الواقعة في نواحيها الجنوبية سنة ١٨٦٩م، درس وترعرع فيها، وكان مهتما باللغات الشرقية وآدابها،

(١) السعيد، المستشرقون الالمان، ١٢-١٣.

(٢) العقيلي، المستشرقون، ٣٤١/٢.

(٣) ينظر: الملحق رقم (٢).

(٤) للمزيد من التفاصيل عن التراث العلمي المخطوط الذي درسه وحققه المستشرقون الالمان ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين؛ العقيلي، المستشرقون، ٣٤٠-٣٨٤؛ السيد، المستشرقون الالمان؛ هويدي، الاستشراق الالمانى.

وازداد اهتمامه بالادب العربي لاسيما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، درس في الجامعات الالمانية وتخرج منها، ثم سافر الى سويسرا واستقر بمدينة بازل^(١)، وقد تخصص في الادب الاسلامي في العصور العباسية، وهو اهتمامه الاول الذي كان يطمح في الوصول الى اتقانه، وبحكم تخصصه في الادب الاسلامي، فقد حقق ونشر حكاية ابي القاسم البغدادي سنة ١٩٠٢م، وبنفس السنة نشر كتاب: ابو القاسم وتقاليد بغداد في عصره، وطبع بمطبعة هايدلبرج^(٢)، ومن اهم مؤلفاته كتابه: (نهضة الاسلام) **Die Renaissance Des Islam** ، الذي كتبه بالآلة الكاتبة تمهيدا لطباعته، ولم يكن قد راجعه مراجعة اخيرة، ولم يضع له مقدمة^(٣)، حتى وافاه الاجل سنة ١٩١٧م، فعمل استاذ هـ ريكندروف **H Reckendorf** سنة ١٩٢٢م، على نشر الكتاب باللغة الالمانية بعنوانه سالف الذكر، وقد تُرجم الى الانكليزية، والاسبانية سنة ١٩٣٦م^(٤).

وعند حديث رضوان السيد عن مؤلفات ريكندروف استاذ المستشرق متز، لاسيما كتابه المعنون: (الافكار السائدة في الاسلام)، ويقصد بها مفهوم الالهية والنبوة، قال: "لا يضاهي كتابه هذا في سلاسته ودقته غير كتاب تلميذه آدم متز نهضة الاسلام"^(٥)، وهذا يدل على مدى الهمية التي تمتع بها هذا الكتاب؛ الامر الذي حدا بالدكتور عبد الهادي ابو ريده الى ترجمته الى اللغة العربية، وقد قال فيه: "وقد شاء القدر العجيب، في اثناء الحرب [العالمية الثانية] وتقلباتها ومفاجأتها ان اتم دراستي، بعد انقطاعها بباريس، في جامعة بازل بسويسرا، حيث كان مؤلف الكتاب استاذاً قبل عشرين عاما، وان اتلمذ على تلميذه وخليفته في منصبه، وهو استاذي... رودولف تشودي **Rudolf Tschudi** وكان الكتاب احيانا موضع حديثنا؛ فاحب ان انبّه القارئ الى ان المؤلف كان يقصد من كتابه ان يسجل حضارة الاسلام في القرنين الثالث والرابع [الهجريين] مع العناية

(١) بدوي، موسوعة المستشرقين، ٥٤٤.

(٢) العقيقي، المستشرقون، ٤٣١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، مقدمة المحقق، ن.

(٤) العقيقي، المستشرقون، ٤٣١.

(٥) المستشرقون الالمان النشوء والتاثير، ٢٤.

الخاصة بالقرن الرابع، ليكون كتابه مقابلاً ومشابهاً لما كتب عن عصر النهضة في أوربا^(١)، وقد ترجم الدكتور أبو ريدة الكتاب وعنوانه باسم: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)^(٢)، وهي الطبعة التي اعتمدها في الدراسة.

وقال الدكتور عبد الرحمن بدوي: "وكتاب متس [هكذا في النص] هذا عرض ممتاز للحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، يتناول كل مرافق المدنية..."^(٣).

طبع الكتاب بترجمته إلى العربية أكثر من مرة، الأولى لم اطلع عليها، ولكن بحسب كلمة المترجم التي كتبت في الطبعة الثانية للكتاب، والمثبت فيها كلمة المترجم للطبعة الأولى، وكلمة المترجم للطبعة الثانية، فقد كان تاريخ كلمة الطبعة الأولى المثبت هو: ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م^(٤).

وكانت الطبعة الثانية بترجمته إلى العربية سنة ١٩٥٧م، وهي الطبعة التي اعتمدها في الدراسة، والتي تقدم وصفاً للكتاب في هذه الطبعة التي طبعت بجزئين، الأول منها، يتكون من (٤٩١ صفحة)، خلا تصدير وكلمتين في أول الكتاب، كلمة للمصدر للكتاب الدكتور أحمد أمين، وكلمتين للمترجم أحدهما للطبعة الأولى وثانيهما للطبعة الثانية، تتكون من (١١ صفحة)، وصفحة واحدة بأول الكتاب عنونت بـ: (محتويات الكتاب)، وبآخر الكتاب (١٦ صفحة) عنونت بـ: (فهرست تفصيلي بمحتويات الكتاب)، بالنتيجة فإن عدد صفحات هذا الجزء كاملة هو: (٥١٨ صفحة)، نُبِت فيه (١٧ فصلاً)، وهي محتويات الجزء الأول مرقمة ابتداءً بالفصل الأول، وأخيراً بالفصل السابع عشر، وهذه الفصول بحسب ما وردت بهذا الفهرست تشير إلى عنوان الفصل دون ترقيم بحسب التسلسل الذي احتله كل فصل: (المملكة الإسلامية، الخلفاء، الأمراء، اليهود والنصارى، الشيعة، الإدارة، الوزارة والوزراء، المسائل المالية، رسوم دار الخلافة، الإشراف، الرقيق، العلماء، علوم

(١) متز، الحضارة الإسلامية، مقدمة المحقق، ص.

(٢) الطبعة بجزئين، وقد طبعت الطبعة الثانية المعتمدة في الدراسة في القاهرة سنة ١٩٥٧م. للعلم أن الكتاب وصل عدد طبعاته إلى الخمس طبعات. لكن سبب تركيزنا على الطبعة الثانية هو توافرها في مكتبة الباحث الشخصية، ولم تكن تختلف عن غيرها من الطبعات سوى ملاحظات طفيفة في تقديم كل طبعة من الطبعات الخمسة التي حصل الباحث عليها بصيغة pdf من شبكة الإنترنت.

(٣) موسوعة المستشرقين، ٥٤٤.

(٤) متز، الحضارة الإسلامية، ١/ع كلمة المترجم للطبعة الأولى.

الدين، المذاهب الفقهية، القضاة، علم اللغة، الادب)، عنوانات هذه الفصول أدرج تحت كل واحد منها معلومات وبيانات تفصيلية بالعنوانات التي تناولها كل فصل من هذه الفصول^(١).

أما الجزء الثاني، فيتكون منته من: (٤٤٠ صفحة)، وفي اول الكتاب صفحة واحدة اخذت عنوان: (محتويات الكتاب)، ليس ضمن الرقم المذكور سابقا، وبآخر الكتاب فهرست تفصيلي بمحتويات الكتاب عدد صفحاته: (١١ صفحة)، وبالنتيجة فان عدد صفحات الجزء هي: (٤٥٦ صفحة)، احتوى على (١٢ جزء)، الا ان فصوله اخذت الترقيم الاستمراري المكمل لعدد فصول الجزء الاول، فابتدأ بالجزء: (١٨)، وانتهى بالجزء: (٢٩)، وكانت عنوانات الفصول مرتبة كالاتي ندرجها بحسب تسلسلها الذي رتبته فيه، من دون ترقيم، وهي: (الجغرافيا، الدين، الاخلاق والعادات، احوال المعيشة، احوال المدن، الاعياد، الحاصلات، الصناعات، التجارة، الملاحة النهرية، المواصلات البرية، الملاحة البحرية)، وقد ادرجت تحت كل عنوان فصل من هذه الفصول عنوانات عديدة شكلت كل فصل من هذه الفصول^(٢).

ركزت الدراسة على فصول معينة من كل جزء، فمن الجزء الاول الفصلين (الرابع، والثاني عشر) المعنونين بـ: (اليهود والنصارى، والرقيق)، اما الجزء الثاني، فكان التركيز الاكبر على ثلاثة فصول، هي: (الثالث، والرابع، والسادس)، وهي بالعنوانات الآتية: (الاخلاق والعادات، مستوى المعيشة، الاعياد)، وسبب التعويل على هذه الفصول هو الارتباط المباشر بموضوع الدراسة، ووجود معلومات ذات صلة مركزة عنها.

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١/٤٩٣-٥٠٨.

(٢) الشمري، موارد ومنهجية متز، ٢٣-٢٥.



الفصل الاول

موارد آدم متز بكتابه نهضة الاسلام

اعتمد آدم متز في كتابه على موارد كثيرة ومختلفة التخصصات، وكان قد أحال اليها بمهنية وامانة علمية عالية مع وجود بعض الملاحظات التي تم تسجيلها بهذا الخصوص يأتي في ذكرها في محل شاهدها، التنوع الذي عم الموارد التي استقى منها متز معلوماته شمل كتب الحديث، والفقه والادب والتاريخ والجغرافية البدائية والرحلات وكتب المدن، ناهيك عن الكم الكبير من المصادر الاجنبية التي اعتمدها، عملنا في بحثنا هذا على التركيز في الموارد ذات العلاقة بالمضع من دون الاهتمام للتي اعتمدها في كتابه وهي بعيدة عن موضوع الدراسة.

تناولنا هذه الموارد بحسب تواريخ وفيات مؤلفيها، وقد عملت احصائية لتلك الموارد لا نقول انها دقيقة بنسبة مطلقة ولكن تستطيع ان تؤكد بأنها قريبة جداً للأرقام الحقيقية، وتناولنا الموارد التي اعتمدها اكثر من (١٠) مرات، والحقنا المتبقية منها بملحق مرتب بحسب عدد مرات الاحالة اليها تنازلياً، اما الموارد الاجنبية فانها قليلة مقارنة بالمصادر الاسلامية، وقد اكتفينا بالحاقها بملحق مجدول خاص بها، وقد رتبناها ترتيباً تنازلياً من الاعلى الى الادنى بحسب مرات الاحالة اليها.

الموارد المعتمدة استخدم المؤلف مخطوطات كثيرة، ومطبوعات قديمة، ورصدنا في بعض حالاته للمورد الواحد منها انه يحيل إلى المخطوط منه والمطبوع، وغيرها يشير للمطبوع الا انه في الاعم الاغلب يحدد المخطوط ومكانه، وكذلك المطبوع ربما ذكر طبعة الكتاب، وهذا ما وجدناه واضحاً في هوامش متز، وفيما يلي نتناول اهم الموارد التي اعتمدها ترتيباً تاريخياً بحسب قدم وفيات المؤلفين.

١. ديوان ابن المعتز لابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ/٩٠٨م).

كان لكتب الادب العربي ودواوينه حضوراً في موارد متز، ومن الدواوين التي عدّها متز احد موارده هو كتاب: (ديوان ابن المعتز)^(١)، اذ ان الشعر صور الكثير من الحوادث التاريخية ووصفها بأقوال مسجوعة منمّقة، وكانت اكثر حالاته ذات العلاقة بموضوع

^(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١. اشار متز إلى استخدام لديوان المطبوع في مصر سنة ١٨٩١. ينظر: هامش (١) من الصفحة المذكورة.

الدراسة لهذا الديوان، اذ ذكره (٩) مرات بصيغة: (ديوان ابن المعتز)^(١)، ومرة واحدة احال اليه بصيغة: (ديوان ابن المعتز طبعة مصر ١٨٩١)^(٢)، وأشار اليه باسم: (الديوان)^(٣) فقط؛ لأنه في المتن اشار اليه بقوله: "ويقول ابن المعتز"^(٤)، فاكتفى بذكر اسمه في المتن، وهذه المنهجية هي من منهجيات الكتابة التاريخية العصرية، التي تؤكد ان اسم المؤلف ان ذكر في المتن فلا يكرر ذكره في الهامش.

شخص ابن المعتز في ابيات شعرية في ديوانه بعض الاخلاق السلبية، متمثلة بالفحش واللواط، واستخدام الفاظ متحررة وخليعة خادشة للحياء، ورسائل قد تبودلت بين اشخاص من الخاصة ومعشوقهم من الغلمان، تدل على شيوع هكذا اخلاق، وتبين انهم لا يباليون في التصريح بها صراحة لا تلويحاً، وفي مكان اخر يشير إلى طريقة التهادي بين الحبيبين وأسلوب ذلك، ومن انواع الهدايا المستحبة: (تفاحة عليها اثر عضة الحبيب)، ولا يستحب اهداء ليمونة لأن باطنها حامض وهذا غير محمود^(٥)، وهذه العادات والاخلاق كانت سائدة في مجتمع الخاصة اكثر منه عند عامة الناس.

وذكر ابن المعتز القصور التي قد بناها خلفاء بني العباس وأمراؤهم، ووصفها في شعره بكلمات تدل على مدى البذخ والترف والرخاء في العيش، ووصف قباب احد القصور وهي قبة تسمى: (قبة الأترجة^(٦))، وبمكان اخر وصف قصر من قصور الخلافة يسمى بـ: (قصر الشجرة)^(٧)، وربما هو ذات المكان.

ويوصف لعادة من عادات المجتمع واخلاقياته التي كانت متداولة ومنتشرة وهو يتحدث عن تسريحة للشعر اعتادت الجوارى والغلمان القيام بها، وهي ان يلوي الغلمان وكذلك الجوارى شعر

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢ هامش (٢)، ١٩٨ هامش (٢)، ٢٠٩ هامش (٦)، ٢١٤ هامش (٤)، ٢٢٥ هامش (١)، ٢٣٣ هامش (٤)، ٢٣٨ هامش (٢)، ٢٤٣ هامش (٥)، ٢٢٥ هامش (١)، ٢٣٣ هامش (٤)، ٢٣٨ هامش (٢)، ٢٤٣ هامش (٥).

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١ هامش (٤).

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٩/٢ هامش (٣).

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٩/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢، ١٩٨.

(٦) الأترج: بضم الهمزة وتشديد الجيم، وهو جمع الأترجة، فاكهة معروفة. الطريحي، مجمع البحرين، ٢٨٠/٢.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٩/٢، ٢١٤.

الصدغ على صورة حرف (ن)، أو على صورة العقرب^(١)، كذلك تناول بعض العادات التي يجب الالتزام بها بحضور الخليفة، أو الوزير واصحاب النفوذ، وعدّ الالتزام بهذه الافعال من جملة الاخلاق والعادات السائدة الواجب الالتزام بها^(٢)، ويبدو ان هذه الاخلاق كان معمولاً بها، وهي جزء لا يتجزأ من اخلاقيات ذلك المجتمع لاسيما عند اصحاب اليسار والنفوذ والجاه.

ومن جملة اخلاق ذلك المجتمع التي سادت وانتشرت، هي ظهور بيوت الخمر ومحالّ بيعه، ومكان شربه، حيث الساقون والساقيات من النصارى على الاغلب^(٣)، وكان من العادات ان يرافق الشراب الغناء والرقص فهو جزء لا يتجزأ من مكان شرب الخمر واستخدام الات موسيقية متعددة في تلك المجالس، وقد اعتيد على ذلك^(٤).

٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م).

كان لكتاب مروج الذهب حضوراً في احالات ادم منز بهوامش كتابه: (نهضة الاسلام)، ولم يختلف عن غيره من الموارد المعتمدة والتي احال اليها بصيغ مختلفة، كان اكثر هذه الصيغ تداولاً عنده في هوامشه، هما: (مروج الذهب)^(٥)، اذ احال اليه بهذه الصيغة من دون ذكر المؤلف، وكانت عدد مرات الاحالة (٢٣) مرة، وذكر اسم الكتاب مقروناً باسم المؤلف فقال: (مروج الذهب للمسعودي)^(٦)، واحال اليه (٨) مرات، وذكره بصيغ اخرى مثل: (نفس المصدر)^(٧)، و(المسعودي)^(٨)، (المروج)^(٩)، (المروج للمسعودي)^(١٠).

(١) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٥.

(٢) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٣.

(٣) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٨.

(٤) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٣، ٢٤٦.

(٥) منز، الحضارة الاسلامية، ١/٥٨ هامش (١)، ٢/١٥٥ هامش (٣)، ٥، ١٥٩ هامش (١)، (٣)، ١٦١ هامش (٢)، ١٨٤ هامش (٢)، ١٩٠ هامش (١)، ٢٠٤ هامش (٢)، ٢٢٠ هامش (٢)، ٢٢١ هامش (٤)، ٢٣١ هامش (٦)، ٢٣٩ هامش (٤)، ٢٤٧ هامش (١)، ٢٤٨ هامش (٢)، ٢٥٤ هامش (١)، (٤)، (٤)، (٦).

(٦) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٨٤ هامش (٥)، ٢٠٧ هامش (٣)، ٢١٣ هامش (٣)، ٢١٦ هامش (٤)، ٢١٨ هامش (٢)، ٢٢٠ هامش (٣)، ٢٣٢ هامش (٣)، ٢٤٦ هامش (٢)، ٢٨٤ هامش (١).

(٧) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٠ هامش (٤).

(٨) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٥٨ هامش (١)، ١٩٠ هامش (٣).

(٩) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٠ هامش (٤).

(١٠) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٥٨ هامش (١)، ١٩٠ هامش (٣).

لم يعتمد متز نسخة مخطوطة لهذا الكتاب، بل اعتمد الكتاب المطبوع وأشار إليه في صفحات كتابه الأولى، بقوله: "مروج الذهب للمسعودي الطبعة الاردنية"^(١)، وأشار إليه أيضا بقوله: "المسعودي مروج الذهب"^(٢)، كانت الاحالات التي اعتمدها متز من هذا الكتاب قد احاطت بكثير من العادات والاخلاقيات الموجبة والسالبة، كذلك المستوى المعاشي ومدى تأثيره على تلك العادات والأخلاق، ومن جملتها نظرة الاستخفاف بهم ووالاستهجان التي كان العوام ينظرها للخدم من الخصيان خلال العصور الإسلامية الأولى، اذ اعتادوا ان رأوا احد الخدم من الخصيان اسماعه الالفاظ الجارحة والاستهانة به، حتى درج العامة بان يكون الخدم جزء مهم من نواذرهم ومضاحكهم في الطرقات والاماكن العامة، ودأبوا على تقليد حركاتهم واصواتهم ساخرين مستخفّين بهم^(٣).

ومما اشار اليه متز دون تحفّظ هو المرحلة التي وصلها احد الخلفاء العباسيين في شدّة انشغاله بالعلمان، وتقريبهم اليه وشغفه بهم حتى اصبح لا يأنس الا بهم، وهو الخليفة الامين (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م)، ونقل عن المسعودي الكيفية التي وصل بها حال الخليفة الامين من الاخلاق مع الغلمان، وكيف ان امه زبيدة الحرة^(٤) حاولت معالجة الحال الذي افضى اليه ابنها، وكيف تحوّلت هذه المحاولة للمعالجة إلى ظهور عُرف اعتاده خلفاء بني العباس لما تبقى من عمر دولتهم منذ عصر الأمين وحتى نهايتها، الا وهو ظهور ما يطلق عليه اصطلاحاً تاريخياً ظاهرة: (الغلاميات)^(٥)، وهنّ الإمام اللاتي ألبسن ملابس الغلمان وقصصن شعورهن لتصبح صورهن اشبه ما يمكن بالعلمان؛ لتقريبهن بدلاً منهم من قبل الخلفاء الذين لهم ميل لهم^(٦).

(١) متز، الحضارة الإسلامية، ٢/٢٢٠ هامش (١).

(٢) متز، الحضارة الإسلامية، ١/٨٢ هامش (٥).

(٣) متز، الحضارة الإسلامية، ١/٢ هامش (١).

(٤) زبيدة الحرة: هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور ابو جعفر، العباسية كنيته ام جعفر والدة الامين بن الرشيد. ابن حبيب البغدادي، المحبر، ٤٠٥. كانت لها آثار حميدة في طريق الحج، وكانت لها ثروة عظيمة، وان جدّها ابو جعفر المنصور هو الذي لقبها ب: زبيدة، توفيت سنة ٢١٦هـ/٨٣١م. البلاذري، انساب الاشراف، ٤/٢٧٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٠/٢٤١ ترجمة رقم ٥٦؛ الزركلي، الاعلام، ٣/٤٢؛ كحالة، د. عمر رضا، اعلام النساء، ٢/١٧-٢٩.

(٥) للمزيد من التفاصيل حول الغلاميات. ينظر: قرامي، الاختلاف في الثقافة الإسلامية، ٤٢٩-٤٣٠.

(٦) متز، الحضارة الإسلامية، ٢/١٥٩.

٣. كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ/٩٦٧م).

تنوعت موارد آدم متر المعتمدة في تأليفه لكتابه: (نهضة الاسلام)، وكان من بينها كتب الادب التي يُعدُّ كتاب الاغاني واحداً من أهمها، كانت الصيغة الغالبة في احالات متر لهذا المورد هي: (الاغاني)^(١)، دون الحاق لفظ اخر كاسم المؤلف مثلاً، وأشار اليه في اماكن اخرى من هوامشه، باسم: (كتاب الاغاني)^(٢)، وبإحالة واحدة استخدم لفظ: (نفس المصدر)^(٣).

نهل متر من هذا المورد المهم معلومات مفيدة عن العادات والاخلاق التي كانت منتشرة في الدولة الاسلامية، زد على ذلك معلومات تدل على المستوى المعاشي المرفق، ومن جملة ما اخذه من الاغاني هو تحديده ثمن العبيد الذي بحدّ قوله لا يتجاوز (٢٠٠ درهم) في القرن الثاني للهجرة، وان العبيد والجواري والمغنين لديهم موهبة في الرقص والغناء، وتعليم غيرهم الغناء وفن الرقص وربما جمع لمن لديه موهبة اكثر من ثمانين جارية وعبداً؛ ليعلمهم هذا الفن الذي يزيد من اسعارهم عند البيع، إلى الدرجة التي اصبحت فيها بيوت النخاسين مقصداً للشعراء ومكاناً يكثر فيه اللقاء الادبي^(٤)، حتى ان هناك جواري مملوكات جرت العادة ان يشتغلن بالرقص والغناء حتى يكون مقدار ما يحصلن عليه في النهار دينارين وفي الليل دينار واحد فيكون مقدار ما تجنيه في عمل يومها وليلها ثلاثة دنانير^(٥)، وربما مارسن الرذيلة كنوع من انواع التكسب وهذه اخلاقيات جزء من المجتمع آنذاك^(٦)، وكان من جملة ما اخذ عنه متر الزي والملبس وكيف جرت العادة بلبس القلائس والطيالس وهي عادة مكتسبة، وحسب ما يراه العرب انه لباس الفرس، واصبحت عرفاً سائداً ومن جملة ما يلبس، الا ان الطيالس هذه تذبذبت^(٧) من حيث الطول والقصر بين عصر وآخر^(٨).

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٧٩/١ هامش(١)، ٢٨٠ هامش(١)، ١٧١/٢ هامش(١)، ٢٢٠ هامش(١)، ٢٥٥

هامش(٢)، ٢٥٨ هامش(٦)، ٢٧٥ هامش(٥)، ٢٩١ هامش(٤).

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٠٠/٢ هامش(٤)، ٢٩٥ هامش(٢).

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٥٥/٢ هامش(٣).

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٩/٢ - ١٨٠.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٠/٢ - ١٧١.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧١/٢.

(٧) لبست القلائس الطويلة بايام الخليفة ابو جعفر المنصور الذي امر بان تلبس القلائس الطوال، الا ان الخليفة المستعين

عندما حكم وألت اليه الامور امر بتقصير القلائس ولبسها قصاراً. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣/٣٤٧؛ متر،

الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٩؛ الشمري، التشبه بين الجنسين الملابس انموذجاً، ٢٢٣.

(٨) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٠.

وتناول معلومات مهمّة عن المقامرة، وكيف استمر المسلمون عليها برغم تحريم القرآن لها ونهيه بنصوص قرآنية صريحة، الا انها تفتّت كعادة في اخلاقيات المجتمع يتكسبون منها ويتسلّون، وربما اثرى بعضهم او افقر اخرين جراء ممارستها واعتيادها^(١)، وحتى الذين يكسبون ويثرون فما داموا قد اعتادوها فان مصدرهم سُحّت وحرام ويخسرون ما جنوه منها في جولات مقامرة اخرى.

وجرت العادة ان يتخذ الخلفاء والامراء واصحاب اليسار في بيوتهم ما يطلق عليهم اسم: (حير الوحوش)^(٢)، وهو اشبه بحديقة حيوانات، ومما جاء في هذا المورد هو اعتياد الاحتفالات بالأعياد الاسلامية إذ توزيع المأكّل والمشرب، وعمل الاسمطة التي ربما يحضرها الخليفة، وتكون باذخة بمختلف انواع الاطعمة والأشربة^(٣).

٤. ادب النديم لكشاجم (ت: ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

اسند متر عدد من معلوماته لهذا المورد والبدال عنوانه على مضمونه، وقد استخدم مخطوط مكتبة باريس الاهلية، الا انه لم يذكر تصنيف هذا المخطوط في المكتبة كما هو معتاد لديه عند ذكر المورد لأول مرة، اذ على الاعم الاغلب يشير إلى هوية الكتاب، ولا نقول انه عمل بهذا المنهج في كل إحالته الاولى الى الموارد لكن السمة الغالبة هي هذه، وربما كزّر ذكر هوية الكتاب كاملة مرات عديدة في الكثير من المواضع وليس المرة الأولى وحسب.

اغلب الاحالات لهذا المورد كانت بصيغة: (ادب النديم)^(٤)، واحال اليه بالقول: (ادب النديم لكشاجم)^(٥)، واحال اليه بصيغة: (ادب النديم لكشاجم مخطوط باريس)^(٦).

دأبت العادة عند متر الرجوع إلى المصادر المختصة، فعند حديثه عن الندماء اخذ عن كتاب: (ادب النديم) معلومات ذات علاقة مباشرة بالعادات، فقال: "وكان بعض الندماء يضعون مخازن

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٥.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٨.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩١-٢٩٥.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٢١ هامش (٨)، ٢٣٢ هامش (٢)، ٢٢٣ هامش (٣)، ٢٣٤ هامش (١-٢).

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٢ هامش (٢)، ٢٤٦ هامش (٢).

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣١ هامش (٣).

مملوءة ادهانا في خفاف غلمانهم... مدرجة في المناديل، فاذا مضهم الجوع وشحذهم الشراب تناولوا ما اعدوه من ذلك"^(١).

ومن العادات التي درج عليها في العصور الاسلامية الوسطية، ما نقله متر عن المورد المذكور، فقال: " وكان غسل المدعوين ايديهم معاً على المائدة قبل الطعام عادة شائعة، ويكون غسل الايدي من وعاء واحد، ويبدأ رب البيت، لئلا يحتشم احد... اما اذا كان الغسل مع الرؤساء، لا مع النظراء كأن يكون الانسان مع الوزير مثلاً، فكان الأليق ان يغسل الضيوف ايديهم في ناحية خاصة، ويقول كشاجم في امر غسل البدن قد اصطلح الناس على اجلال رؤسائهم وملوكهم من غسل ايديهم بحضرتهم، واستجازوا ذلك مع نظرائهم ومن يُسَقَط التحفظ بينه وبينهم..."^(٢)، كما جرت العادة عند كشاجم بان تخليل الاسنان بعد الطعام لابد من القيام به على ناحية جانبية^(٣)، وهذا بالتأكيد جزء من السلوكيات التي اعتاد عليها المجتمع، سيما الطبقة المترفة ذات المستوى المعاشي العالي.

ومن العادات والاخلاق التي اشار اليها متر من مورده المذكور، هو: عدم قول الانسان: (الحمد لله) اثناء الطعام؛ لأنه امر غير مستحسن لاسيما ان كان يشاركه الطعام ضيف؛ لأنه يدفع الضيف إلى النهوض عن المائدة قبل الاكتفاء منها^(٤).

ويفصل كشاجم انواع موائد الشراب ويسميها بحسب عدد الجالسين عليها، وبعد المائدة التي يشترك عليها ثلاث اشخاص للشراب اتم من التي يجلس عليها شخصان؛ لأن احدهم اذا قام لقضاء حاجة بقي الاخر وحده دون انيس، ويسمي مائدة شراب الشخصين ب: (المنشار)، وعدّها مائدة شراب يُكره الجلوس عليها بهذا العدد؛ للسبب مار الذكر^(٥)، واعتيد على عدم التطرق إلى الحكايات الطويلة لأنها تخص مجالس القصاص، ويفترض تبادل احاديث الأتس والهزل والخروج عن الجدية في هذه المجالس، لأنها مجالس ترويح عن النفس^(٦).

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢١.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣١-٢٣٢.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٣.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٤.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٢.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٦.

٥. احسن التقاسيم للمقدسي (ت: ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م).

اعتمد مترز في هوامشه على مورد مهم وهو كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي، و اشار اليه بإحالات عدة اكثرها اعتماداً هو، صيغة: (المقدسي)^(١)، دون ذكر اسم الكتاب، واحال اليه (٢٤) مرة بهذه الصيغة، واحال اليه بصيغة اخرى هي: (نفس المصدر)^(٢)، وعدد الاحالات بالصيغة الثانية مرتين فقط، ولم يعتمد على مخطوط الكتاب، بل اعتمد على مطبوعه في مطبعة ليدن سنة ١٨٧٧م^(٣).

كان لهذا المورد اثر واضح في رفد كتاب مترز (نهضة الاسلام) بمعلومات وربما انفرد ببعضها، لاسيما ما يتعلق بتصنيفه للخدم واصولهم، ومعلوماته التي انفرد فيها عن الخصيان، وكيف كانوا يصبّون مِرْوَد الرصاص في منفذ البول حتى لا يغلق، ويُخرج هذا المِرْوَد عند الحاجة إلى التبول ثم يُرجع مرة اخرى، ويبقى على هذا الحال حتى يبرأ الموضع ويشفى^(٤).

ومن اخلاقيات الامراء البويهيين لاسيما عضد الدولة^(٥) (٣٢٤-٣٧٢هـ/ ٩٣٦-٩٨٣م) المخالفة للتشريع الحنيف بان امر بفرض ضرائب على الراقصات والزواني في بلاد فارس -بدلاً من المنع والمحاسبة- وخضعت هذه الضريبة للضمان، واصبحت جزءاً لا يتجزأ من العادات والاخلاق في الدولة الاسلامية، اذ عمل بها الفاطميون، ففرضوا على بيوت الدعارة والفُحش رسوماً طلباً للمال، كذلك في السوس^(٦) التي تمثل مركز مدينة خوزستان كانت بيوت الدعارة تُرى وهي قريبة من ابواب

(١) مترز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١ هامش (٣)، ٦، ٦٧ هامش (٤)، ٦٨ هامش (٤)، ٦٩ هامش (١)، ٢٨١ هامش (١)، ١٥٣/٢ هامش (٢)، ١٥٤ هامش (٢)، ١٥٥ هامش (٢)، ١٦٨ هامش (٢)، ١٦٩ هامش (٢)، ١٧٢ هامش (١)، ٢٠٦ هامش (١)، ٢١٠ هامش (٣)، ٢١٥ هامش (٤)، ٢٢٣ هامش (٣)، ٢٢٤ هامش (٦)، ٢٣٨ هامش (٣)، ٢٦٧ هامش (١)، ٢٦٨ هامش (٢)، ٢٦٩ هامش (٣)، ٢٧٢ هامش (٢)، ٢٧٥ هامش (٣)، ٢٩٢ هامش (٣).

(٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١ هامش (٤)، ١٧٢/٢ هامش (٢).

(٣) مترز، الحضارة الاسلامية، ٤/١ هامش (١).

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٥٤/٢.

(٥) عضد الدولة: السلطان ابو شجاع فناخسرو صاحب العراق وفارس، ابن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي، كان فارسا اديبا، حكم العراق في المدة ٣٤٣-٣٧٢هـ/ ٩٥٥-٩٨٣م، توفي ببغداد ونقل ليدفن في مشهد النجف. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦/١٤٩-١٥٢ ترجمة رقم (١٧٥).

(٦) السوس: بلدة بخوزستان، واصلها الشوش ثم عُزبت واصبحت السوس. الحموي، معجم البلدان، ٣/٢٨١.

الجامع وظاهرة، من دون ان يتخذ بحقها اجراء أو منع، وكانت النساء في شيراز^(١) وهراة^(٢) يرتكبن المعاصي والفواحش من الافعال^(٣).

كذلك اشار المقدسي إلى وسائل التكيف المعتاد استخدامها، وكيف كانت، ومراحل تطورها في العصور العباسية، وكيف بدأت بالخاصة ثم قلدها العامة، واستخدموها حتى شاعت وانتشرت، كذلك اعتماد السرايب تحت الارض للاحتماء بها من قسوة الطقس في فصل الصيف^(٤).

واشار إلى ما اعتاد الناس ان يلبسوه من الملابس، وكيف ان لكل طبقة أو صاحب وظيفة ملابس يميزه عن غيره، وكيف ان ملابس الخاصة كانت تقلدها العامة حتى اعتادوا ارتدائها وانتشرت بينهم^(٥).

ومن الاخلاقيات التي لا تليق بالفرد المسلم البسيط هو احتساء الخمر، فاخذ عن هذا المورد الكيفية التي اصبح فيها حتى المشايخ لا يتورعون عن هذه المعصية وقد ادمنوا شرب الخمر^(٦).

٦. تجارب الامم لمسكويه (ت: ٤٢١هـ/ ١٠٣١م).

اخذ متر عن كتاب: (تجارب الامم لابي علي مسكويه) معلومات مهمة ودخل الكتاب كأحد موارده المهمة عمّا له علاقة بموضوع الأخلاق والعادات ومستوى المعيشة، وقد استقى من الكتاب المطبوع من دون الاشارة إلى اسم المطبعة ولا رقم طبعته، اذ ان متر عادة ما عمل على الإشارة للناسر والطبعة والمطبعة عند ذكر المورد لأول مرة، الا ان هذا الكتاب ذكره لأول مرة والمرات اللاحقة جميعها دون ذكر ببلوغرافيته، وفي جميع الاماكن

(١) شيراز: بلد عظيم مشهور، وهو قصبه فارس، من الاقليم الثالث. الحموي، معجم البلدان، ٣/٣٧٨.

(٢) هراة: مدينة من امهات مدن خراسان مشهورة. الحموي، معجم البلدان، ٥/٣٩٦.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/١٦٨-١٦٩، ١٧٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٦، ٢١٠.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٣.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٨.

التي احوال فيها إليه، وسمّاه باسم واحد هو: (مسكويه)^(١)، خلا موضعين سماه فيهما: (ابن مسكويه)^(٢)، طبعاً والصحيح: (مَسْكويه)، وليس: (ابن مسكويه)، لان ابنه له كتاب في الفلسفة اسمه: (٣) (تهذيب الاخلاق وتطبيب الاعراق).

ومما اخذ عنه متز بما يتعلق بموضوع الدراسة، هو ان الخليفة المقتدر سنة ٣١٩هـ/٩٣١م قلد الحسين بن القاسم الوزارة، وطلب منه ان يجتهد بكسب اعدائه بجانبه، فعمل على تضمين الضمانات للكتاب النصارى، وتودد لهم^(٤)، حتى تتفد الكتاب من خلال هذه المدّة واصبح عرفاً سائداً بان يحصلوا على امتيازات من الوزراء، وتتفدوا وازدادوا غنى وثراءً، واصبح مستوى معيشتهم لا يقارن به احد، واصبحوا جزء من الطبقة البرجوازية المتنفذة والمتسلطة على المقدرات، وما يثبت ذلك هو ما اخذه متز عن مسكويه ايضاً فيما يتعلق بتفد الكتاب النصارى الذين عملوا على اطلاق المال لأبناء جلدتهم وملّتهم، ووصل الحال إلى درجة افتاء الفقهاء بجواز تعيين اهل الذمة وزراء وأصبح هذا الامر عادة معمولاً بها في الدولة الاسلامية وعرفاً جائزاً^(٥).

ومما تجدر الاشارة اليه ان متز اخذ عن مسكويه معلومات تتعلق بتفد الاطباء من اليهود والنصارى، والذين تريّعوا -دون منافس- منصب الطبيب الخاص للخلفاء والوزراء، واصبحوا ندماء ومقرّبين ومتمكّنين يتوسط عندهم طالب النفوذ والجاه^(٦)، وسرى مفعول هذه العادة إلى بلاط الخلافة العباسية حتى سقوطها.

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٨٩/١ هامش(٤)، ٩٠ هامش(٣-٤)، (٦)، ٢٦٦ هامش(٦)، ١٦١/٢ هامش(٣)، ١٦٢ هامش(١)، ٢٠٩ هامش(٦)، ٢١٨ هامش(٢)، ٢٢٣ هامش(١)، ٢٢٣ هامش(٢)، ٢٣٩ هامش(٢)، ٢٨٣ هامش(١)، ٢٩٥ هامش(٤).

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٩/٢ هامش(٦)، ٢٨٣ هامش(١).

(٣) لابن مسكويه كتاب بعنوان: (تهذيب الاخلاق في التربية) طبع بدار الكتب العلمية طبعته الاولى سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، وله كتاب آخر بعنوان: (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق)، وهو غير الكتاب السابق.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٨٩/١.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٩٠/١.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٥٥/١.

وما اخذه متر عن مسكويه ما حصل مع الامير بختيار الديلمي الذي عشق غلاماً وحزن عليه حدّ الجنون واصبح مدار حديث النقاد المستكرين لهذه الظاهرة^(١)، التي يؤكد التاريخ بأنها اصبحت جزءاً لا يمكن فصله عن كبار رجال الدولة والمتنفذين فيها من عمال ووزراء وكتّاب، وقد رافقت تاريخ العباسيين كعريف وخلق، مع نبذ الاسلام والخلق العام لهذه الاخلاقيات المنبوذة، وهذا ما اكده مسكويه وقد اشار اليه متر عند حديثه عن صاحب حلب، فقال: "بل يحكى ان سيف الدولة صاحب حلب المشهور بحروبه وغزواته كان له غلام يسمّى باسم مؤنث وهو: ثمل وكان عزيزاً عليه"^(٢).

وما يؤكد ذهابنا في القول ان حبّ الغلمان والتشبّب بهم اصبح جزءاً من عادات عدد كبير من أصحاب السطوة والنفوذ واخلاقياتهم، هو ما ساقه متر من حكايات وقصص وروايات في كتابه المذكور^(٣).

وما يدل دلالة واضحة على التأثير والتأثر بالمظاهر الحضارية، وارتفاع مستوى المعيشة هو ما اشار اليه متر نقلاً عن مسكويه بان احد المتنفذين وأصحاب الرفاه والنعمة قد بنى لحريمه (حمامات رومية)^(٤)، والذي يبدو انه قد بنى مكاناً لخلع الملابس ملاصقاً للحمام أو جزءاً منفصلاً عن الحمام تخلع فيه الملابس وتعلق، وهذا تأثير غربي أو ربما سرياني على حد ما اشار اليه متر^(٥).

ومن جملة العادات التي اعتادوا عليها، لبس السراويل الذي يعدّ مكماً للباس الرجل، وقد حدّد لباس الطبقات المتنفذة بلباس خاصّ بهم فالدراريح للكتّاب، والطيلسان للعلماء، والقادة يلبسون القباء^(٦).

ومن اخلاق بعض الخلفاء الذين كانوا ينهون غيرهم عن فعل ما، ولم ينهوا انفسهم عنه، اذ اشار متر بهذا الخصوص لمعلومة مهمة اخذها عن مسكويه فقال: "ومن عام ٣٢١ هـ [٩٣٣م] ايضاً امر

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦١/٢.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٢/٢.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٧ - ٦٢/٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١٨/٢.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١٨/٢ هامش (١).

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٢٣/٢.

الخليفة القاهر بتحريم الغناء والخمر، وكان هو مع ذلك يشرب المطبوخ، ولا يكاد يصحو من السكر^(١).

ومما يعدّ تقليداً اعتيد عليه ما يُعمل في عيد الاحتجام، اذ يقوم المزيّن (الحلّاق) بعملية الحجامه فيهدى له الهدايا ويعمل له اجود انواع الطعام^(٢)، وكان هذا عرفاً سائداً وعادة من العادات التي عمل بها.

٧. يتيمة الدهر للثعالبي (ت: ٢٩٤ هـ / ١٠٣٧ م):

جاءت احالات آدم منز لكتاب يتيمة الدهر للثعالبي في هوامش كتابه بما يساوي (٢٦) إحالة، وقد وردت عنده في الهوامش بصيغ عدّة، اكثرها استعمالاً اشارته لاسم الكتاب بالقول: (يتيمة الدهر) اذ كان عدد الاحالات للكتاب باسمه الصريح (٢٠) مرة^(٣)، وفي ثلاث مواضع في هوامش الكتاب سماه باسم الكتاب مقروناً معه ملحقاً به اسم المؤلف، فجاء بالصيغة التالية: (يتيمة الدهر للثعالبي)^(٤)، وذكر الاسم الاول للكتاب فقال: (البيتيمة)، وجاء بهذه الصيغة مرتين^(٥)، في هوامش الكتاب، وجاء بذكر الاسم الاول للكتاب فذكره من دون تعريفه وباسم: (يتيمة) مرة واحدة^(٦) بهامش من هوامش صفحات الكتاب، وكذلك وردت الاحالات اليه مرة بالصيغة الآتية: (نفس المصدر)^(٧)، ومرة واحدة اشار اليه بصيغة: (المصدر نفسه)^(٨).

(١) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٩.

(٢) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩٥.

(٣) منز، الحضارة الاسلامية، ١/٨٥ هامش (١)، ٦٨ هامش (٥)، ٨٦ هامش (٥)، ٧٨/٢ هامش (٢)، ٨٠ هامش (١)، ١٦٠ هامش (٥)، ١٦١ هامش (٢)، ١٦٢ هامش (٣)، ١٧٦ هامش (٤)، ١٧٧ هامش (٢)، ٢١٦ هامش (١)، ٢٢٤ هامش (١)، ٢٢٣ هامش (٢)، ٢٤٣ هامش (١)، ٢٤٣ هامش (٣)، ٢٤٩ هامش (١)، ٢٦٠ هامش (٤)، ٢٩٠ هامش (٢)، ٢٩٢ هامش (٤)، ٢٩٥ هامش (٢).

(٤) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٤٦ هامش (١)، ٢١٥ هامش (٣)، ٢٤٠ هامش (١).

(٥) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٦ هامش (١)، ٢٤٣ هامش (٣).

(٦) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٩٤ هامش (٤).

(٧) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٧٧ هامش (٣)، ٢٣٠ هامش (٣).

(٨) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٧٦ هامش (٥).

احال منز إلى كتاب يتيمة الدهر عند الحديث عن الاخلاقيات الشاذة التي نهى عنها الدين الاسلامي، ومنها: التجاهر بالتشبيب بالعلمان في شعر الغزل الماجن الخليع، مع ان منز قال إن الشعراء من هذا النوع قليلون وساق امثلة عديدة بهذا المجال^(١)، وذكر إن هناك مكاناً على نهر دجلة يؤمه طلاب المتعة واللهو وشرب الخمر، فقال في ذلك: "انه كان على شاطئ دجلة مكان للهو فيه إلى جانب الخمار والخمر "طبيّ غرير"^(٢)، أو "ظبية غريرة" وقاصده لا يدفع لهذا كله في الليلة الآ درهمين"^(٣).

وكان كتاب يتيمة الدهر مورداً عند منز مهماً لما تمتع به بعض الخاصة من مستوى معيشة فاحش إلى ابعد الدرجات، اذ وصل الحال إلى درجة تقديم دعوات تُكتب بصورة منمّقة وتصاغ بصياغات فيها من المديح والكلام السجعي المليح المؤثر، وربما ضمّن صاحب الدعوة تلك الاسطر اببيات شعرية أو امثلاً وحكماً، وتناول موائد بعض الخاصة بالوصف المبهر، الذي يدل على مدى ما وصل اليه اولئك من الحال الفاره والعيش الرغيد^(٤)، ومن العادات والاخلاق الحسنة ما كان يقوم به الوزير ابن عباد^(٥) (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م) الذي اعتاد ان يدعو قرابة الف شخص للإفطار في داره كل ليلة من ليالي شهر رمضان^(٦).

(١) منز، الحضارة الاسلامية، ١٦٠-١٦١، ١٧٦-١٧٧، ٢٤٠.

(٢) تغنى الشعراء بالطبي الغرير بابيات شعرية وقصائد كثيرة، على سبيل المثال لا الحصر. ينظر: الاصبهاني، الاغاني، ١٩٠/١٤٦، ٢٣/٩٢، ٩٧؛ التتوخي، نشوار المحاضرة، ١٦٧/٦؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ٣٦٨/١، ٢١٥/٥؛ الحموي، معجم الادباء، ٢٥/٢٠؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٧١٨/٢؛ الإريلي، التذكرة الفخرية، ١١٥؛ ابن معصوم، سلاقة العصر، ١٠٤.

(٣) منز، الحضارة الاسلامية، ١٦٢/٢.

(٤) منز، الحضارة الاسلامية، ٢٣٠/٢، ٢٤٠.

(٥) الصحاح بن عباد: ابو القاسم اسماعيل بن الحسن عباد بن العباس، قيل عنه بانه نادرة الدهر واعجوبة العصر، له مؤلفات عدّة، وكان شاعر، وقد شغل منصب الوزارة وقد ورثها كابرا عن كابر، وهو اول من لقب بالصحاح، لانه صحب مؤيد الدولة بن بويه؛ فلقبه بهذا اللقب وكان يسميه الصحاح، توفي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٢٨-٢٣٢.

(٦) منز، الحضارة الاسلامية، ٢٩٢/٢.

٨. كتاب الوزراء للصابي (ت: ٤٨٤هـ/١٠٥٦م).

استند متر على مرويات كتاب: (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لابي الحسن الهلال بن الحسن بن ابراهيم الصابي)، الذي نشره اسدروز في بيروت سنة ١٩٠٤^(١)، وقد سماه في كل احالاته باسم: (كتاب الوزراء)^(٢)، وكان عدد الاحالات ذات العلاقة بموضوع الدراسة هي: (١٦) مرة.

ومن الملاحظ ان هذا الكتاب رجع اليه متر عند حديثه عن السجون وما يصرف على المساجين^(٣)، ومن البيمارستانات وميزانياتها المحددة كنفقات طعام وادوية (اشربة)^(٤)، كذلك عن قصور الخلفاء وجماليتها مسمياتها^(٥)، وأشار الى هدية المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) لوزير ابن الفرات عندما ختن اكبر ولده سنة ٣٠٥هـ/٩٢٩م، وهو يصف مقاييس الموائد التي اهديت للوزير^(٦)، وفي مكان اخر استقى منه رواية عن مائدة طعام قدمها الوزير بن الفرات لحاشيته ومقريبه^(٧)، وأشار ايضا إلى وزارة ابن الفرات الاولى وكيف كانت المغنيات يغنين بين يديه بأعداد كثيرة من وراء الستار، وكان معه ضيوفه ومقريبه^(٨)، وأشار إلى الوزير علي بن عيسى في مكان اخر وهو يتناول حكايته في ابتياع الحمير والبغال وإيقافها لنقل الماء إلى أهالي مكة بعد ان شح عندهم^(٩).

اذن نستدل من ما تقدم من القول إن متر قد عمد على استقاء معلوماته عن الخلفاء واخبار وزرائهم من الكتاب المذكور، بعدّه مورداً أساسياً تضمن معلومات قيّمة عن الوزراء، والعادات

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٤/١ هامش (٢).

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٥٤/١ هامش (١)، ٩٠٥/٢ هامش (٤)، ١٩٧ هامش (٥)، ٢٠٠ هامش (٥)، ٢٠٩ هامش (١)، ٢٠٩ هامش (٤)، ٢١٦ هامش (١،٤)، ٢٢٣ هامش (١)، ٢٢٧ هامش (٤)، ٢٣١ هامش (١)، ٢٤٤ هامش (١)، ٢٥٦ هامش (٣)، ٢٧٠ هامش (٣)، ٢٧٣ هامش (٣)، ٢٧٣ هامش (٥)، ٢٧٤ هامش (١).

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٥/٢، ١٩٧.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٠٠/٢.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٠٩/٢.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١٦/٢.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٣١/٢.

(٨) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٤٤/٢.

(٩) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٧٠/٢.

والاخلاق التي انمازوا بها، اذ ان ما اشار اليه من معلومات اخذها عن هذا المورد المختص، ما هي الا اخلاق ارباب الدولة وعاداتهم وتقاليدهم.

٩. تاريخ يحيى بن سعيد النصراني (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٧م).

رجع منز لتاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي النصراني (٣٧) مرة، وقد اعتمد نسخة مخطوطة في باريس برقم: (٢٩١)^(١)، فأحال إلى المخطوط والذي عندما ذكره للمرة الأولى في هامش من هوامش صفحات كتابه ذكره بالقول: (يحيى بن سعيد الانطاكي مخطوط رقم ٢٩١ بالمكتبة الأهلية بباريس)^(٢)، وقد اشار مرتين إلى المخطوط بالقول: (يحيى بن سعيد مخطوط باريس)^(٣)، في الوقت الذي سمّاه مرة واحدة باسم: (تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي مخطوط باريس رقم ٢٩١)^(٤).

ولابد من التنويه هنا إلى ما ذهب اليه مترجم الكتاب الدكتور عبد الهادي ابو ريدة، الذي بحسب اشارة منه إلى منهجيته في مقارنة النصوص المعتمدة من كتاب تاريخ يحيى بن سعيد، والذي اتضح انه لم يتمكن من الاطلاع على النسخة المطبوعة من الكتاب، والتي احتمل أنها نفس النسخة التي اشار اليها المستشرق كارل بروكلمان بكتابه: تاريخ الادب العربي، التي حدد تاريخ طبعها كما سيأتي ذكره لاحقاً، وبسبب عدم تمكن الدكتور ابو ريدة من الحصول على النسخة المطبوعة، لهذا اعتمد مخطوط الكتاب في مكتبة باريس الذي اشرنا اليه في الاسطر السابقة، وقد ثبت المترجم ذلك، بقوله: "... على ان المؤلف يشير احياناً إلى نسخة مطبوعة لعلها التي ذكرها بروكلمان من ملحق كتابه: تاريخ الادب العربي ج ١ ص ٢٢٨ من طبعة ليدن ١٩٣٧؛ وقد وُحِدَتْ [الكلام للمترجم] الاشارة فجعلتها كلها بحسب مخطوط باريس لصعوبة لحصول على النسخة لمطبوعة. المترجم"^(٥).

(١) منز، الحضارة الاسلامية، ١/هامش(٢).

(٢) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٨ هامش(٤)، ٢٨٣ هامش(٣).

(٣) منز، الحضارة الاسلامية، ١/٧.

(٤) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٧٨ هامش(١)، ٢/٢٧٨ هامش(٤)، ٢/٢٨٣ هامش(٣).

(٥) ينظر: منز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٥٧ هامش(١)، ٢/١٦٢ هامش(٢)، ٢/٢٧٢ هامش(٥).

واعتمد أيضاً نسخة الكتاب المطبوعة طبعة ليدن ١٩٣٧ وفي اماكن عدّة من دون تسمية الكتاب فيقول مرة: (ابن سعيد)^(١)، وسماه مرة اخرى باسم: (يحيى بن سعيد)^(٢)، وفي اماكن عدّة من هوامش صفحات الكتاب ذكر اسم الكتاب مختصراً وبعده اسم المؤلف، وبهذه الصيغة: (المغرب لابن سعيد)^(٣)، وأشار بمرة واحدة لاسم الكتاب يتبعه باسم المؤلف، وبهذه الصيغة: (كتاب المغرب لابن سعيد)^(٤)، وفي اكثر من مرة استخدم صيغة: (نفس المصدر)^(٥).

اعتمد متر على هذا المورد اعتماداً واضحاً؛ والسبب في ذلك انه انفرّد بمعلومات مهمّة، لاسيما ما يتعلق بالنصارى؛ لأن المؤلف كان مؤرخاً نصرانياً، كذلك ثبت بكتابه معلومات قيّمة عن مصر بشكل خاص؛ وربما سبب اهتمامه بتاريخ مصر هو الكثافة السكانية والنسبة التي مثلها ابناء عقيدته (عقيدة يحيى بن سعيد) من الاقباط في مصر.

اشار متر إلى هذا المورد وهو يتحدث عن مدى البذخ والترف الذي يقوم به بعض الاغنياء من الخاصة، وأشار إلى ما قام به محمد بن علي المادرائي (ت: ٣٣٤هـ/٩٤٥م)، الذي عمل على دعوة الاخشيدي (٢٩٢-٣٥٧هـ/٩٠٥-٩٦٨م) للتنزّه في بستانه، واصفاً ما قدّم للاخشيدي وحاشيته من ملاذّ الطعام ووسائل الرّاحة والتسلية، وما نُصب بين يدي الاخشيدي من تماثيل صنّعت من الذهب والفضة والمعادن الثمينة والنادرة، وما نُثر من الدراهم والدنانير الفضيّة والذهبية بين يدي الاخشيدي، الذي عندما انصرف امر أن يُحمل معه ما كان جالساً عليه وما اكل فيه من الأواني، فحملت على فرسين سرجتا ولجمتا بسرج ولجام من الذهب^(٦)، هذه الرواية انما تدل على المدى الذي وصل اليه اصحاب الجاه من الغنى والمستوى المعاشي الخارق للعادة.

(١) ينظر: متر، الحضارة الاسلامية، ٧٢/١ هامش (٤)، (٥)، ٧٨ هامش (٣)، ٨٣ هامش (١)، ٩١ هامش (٢-٣)، ٩٢ هامش (٢-٣)، ٩٤ هامش (٢-٣)، ٩٥ هامش (٤)، ٩٦ هامش (٢)، ٩٩ هامش (١، ٣)، ١٦٢، هامش (٢)، ١٥٣/٢ هامش (٤)، ١٥٦ هامش (٦)، ١٨٩ هامش (٢)، ٢٤٢، هامش (١).

(٢) ينظر: متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٩/٢ هامش (١)، ١٨٠ هامش (٢)، ٢٥٣ هامش (٤)، ٢٥٦ هامش (١).

(٣) ينظر: متر، الحضارة الاسلامية، ٧٤/١ هامش (١).

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٨٠/١ هامش (١)، ٢٧٩ هامش (١).

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢ هامش (٥).

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٩/٢-١٨٠.

وكذلك أشار إلى نوع الملابس التي اعتاد ان يلبسها الادباء^(١)، ويبدو من حضر الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٧٤-٤١١هـ/٩٨٥-١٠٢١م) ومنعه النساء ان تُكشِف وجوههن وراء الجناز ومنعهن من البكاء والوعويل على الموتى، وحضر خروج النائحات وضرب الطبل خلف الميِّت^(٢)، يبدو انها كانت عادة شائعة عند الفاطميين دأبوا على القيام بها.

أما ما يتعلق بالخمير وشربه فظهر ان ذلك من العادات المنقشية عند الخاص والعام، كما تدل روايات ابن سعيد التي اخذ عنها آدم متر^(٣).

١٠. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦٣هـ/١٠٧٠م).

سجّلت تواريخ المدن حضوراً في قائمة موارد متر بما يتعلق بموضوع الدراسة، وخير دليل على ذلك اعتماده على كتاب: (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي)، والذي استشهد به في هوامشه ذات العلاقة (١٣)، مرة اغلبها اطلق عليها اسم الكتاب مقرونة مع الناشر بقوله: (تاريخ بغداد طبعة سلمون)^(٤)، واحال اليه مرتين بقوله: (نفس المصدر)^(٥)، ولم يكتف متر باعتماد طبعة سلمون لهذا الكتاب، بل جعل مخطوط الكتاب مورداً من مورده واحال اليه بالصيغة: (تاريخ بغداد مخطوط مكتبة باريس الأهلية رقم ٢١٢٨)^(٦). ولمرة واحدة بما يتعلق بموضوع الدراسة.

اعتمد متر هذا المورد في استنقائه لمعلومات عن العادات والاخلاق ومستوى المعيشة، فأشار اليه وهو يصف دار الخلافة ببغداد ويعدّها لكبرها مدينة قائمة بذاتها، والمساحات التي تشغلها قصور دار الخلافة والبساتين وامتداد جدرانها مسافات طويلة^(٧)، وأشار إلى قصر الخليفة المقتدر بالله وكيف عمد الخليفة إلى ادخال وفد إمبراطور الروم لذلك القصر الفاره وبركته وبساتينه واصفاً نهر الرصاص

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٤.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٧.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤١ - ٢٤١.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٨ هامش (٤)، ٢١١ هامش (٢)، ٢١٣ هامش (٢)، ٢١٩ هامش (١)، ٢١٩

هامش (٦)، ٢٥٩ هامش (٢)، ٢٦٦ هامش (٢)، ٢٧٣ هامش (٢).

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٩ هامش (٦)، ٢٦٦ هامش (٣).

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٣ هامش (٤).

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٨، ٢٥٩.

وطوله وابعاد البُرْكة الموجودة فيه، والنخيل الذي في البستانين المحيطة وقد رُيّن بطريقة مبهرة من اصل الجذع إلى اعلى ثماره مما ابهر ذلك الوفد^(١)، واستمر يأخذ من هذا المورد وهو يصف قصور المقدر سيما دار الشجرة، وسمي لوجود شجرة فيه امتازت بقضبانها المذهبة والمفضضة واللوان الأرواق والعصافير المذهّبة في تلك الشجرة^(٢)، وهو دلالة على مستوى المعيشة الذي وصل اعلى درجات البذخ والترّف.

واشار إلى اعداد الحمامات في بغداد واضعاً مقارنة في اعدادها بين القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكيف تناقصت من ١٠,٠٠٠ حمام في النصف الاول من القرن الرابع الهجري، ليصل إلى ٢٠٠ حمام في القرن السادس الهجري^(٣)، في حين قال الخطيب البغدادي ان عدد الحمامات في بغداد يصل إلى ٦٠,٠٠٠ ستين الف حمام في القرن الثالث الهجري، وهو دليل على استخدام الحمامات في البيوت والاستغناء شيئاً فشيئاً عن الحمامات العامة وهذا مؤشر على التطور الحاصل في المجتمع، مثل: طراز البناء ومستوى المعيشة.

ومما يدل دلالة واضحة على تقليد العامة للخاصة هو نوع اللباس الذي كان يلبسه الخلفاء، ففي سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م عندما بوبع للخليفة القائم بامر الله بالخلافة لبس قميص ورداء فوق السراويلات، فاصبح هذا الزي يُلبس من قبل اهل اليسار وذوي المستوى المعاشي المرتفع من الاغنياء والتجار^(٤)، وتناول ايضاً عدد القوارب التي احصاها الخطيب البغدادي في دجلة وقدّر عددها ب: (٨٠,٠٠٠) ثمانين الف قارب وان ملاحها يكسبون في كل يوم ٩٠,٠٠٠ تسعين الف دينار^(٥). ربما هذه الارقام مبالغ فيها؛ اذ كيف يمكن لنهر مثل ضيق نهر دجلة وعدم اتساع عرض مجراه ان يستوعب كل هذه الارقام، التي يفهم من خلال مردودها المادي الضخم وعائداتها انها تعمل جميعها، وهذه الارقام ان دلت على شيء فانها مع المبالغة فيها فانها مؤشر واضح على النشاط الاقتصادي الكبير لاسيما المتعلق بالملاحة النهرية الداخلية.

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١١.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٤.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٩، ٢٦٦.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٣.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٣.

١١. حكاية ابي القاسم البغدادي (ت: ١١/هـ/١٩٠٢م).

اعتمد متز على الحكايات مورداً من موارده، وكان كتاب: (حكاية ابي القاسم البغدادي)، للازدي، اثر واضح في احالات متز الذي اعتمد طبعة الكتاب التي طبعها هو نفسه، والتي اشار اليها لأول مرة بقوله: "وقد جاء في كتاب حكاية ابي القاسم البغدادي تأليف حميد بن علي المطهر الازدي، طبعة متز بهيدبرج سنة ١٩٠٢" (١).

احال متز في هوامش كتابه (١٢) احالة لهذا الكتاب، الا ان اغلب هذه الاحالات كانت بصيغة: (حكاية ابي القاسم) (٢)، دون ذكر اسم المؤلف، والاحالة الثانية كانت بالصيغة التالية (حكاية ابي القاسم طبعة متز) (٣).

كان لهذا المورد اهمية بالغة في تثبيت متز لبعض الاخلاق والعادات ومستوى المعيشة من خلاله، فقد اشار إلى اوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بان معظم القيان اللاتي تعلمن الغناء ويجيدنه هن من الجوارى لا من الحرائر الا القليل منهن (٤)، وهذه العادة استخدمها النخاسون الذين عملوا على تدريب الجوارى من العبيد الغناء والرقص والشعر؛ ليبيعوهن بأسعار باهظة، وهذا المنهج دُرِج عليه ببغداد خلال العصور العباسية (٥)، وجرت العادة في بغداد ان تُبنى كواشك ورواشن في الطابق الاسفل من البيوت، وقد اتخذت هذه الطريقة من طرق البناء من قبل اهالي بغداد حتى اصبحت عادة قائمة عندهم، وهذا ما استقاها متز من حكاية ابي القاسم البغدادي (٦)، الا ان اخلاق بعض الفاسدين المتحللة، الذين اتخذوا من تلك الاكشاك والرواش مكان يتسنترون فيه للقيام بمفاسدهم حتى اشتهرت بذلك (٧)، و اشار إلى معلومة كان مصدرها حكاية ابي القاسم وهو يتحدث عن الخوان

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٦٩/١ هامش (١).

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢١٥، هامش (٢)، ٢١٦ هامش (٣)، ٢٣٦ هامش (٥)، ٢٣٧ هامش (٢)، ٢٤٥ هامش (٣)، ٢٥٢ هامش (٣)، ٢٦٥ هامش (٣).

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/١ هامش (٤)، ١٧١/٢ هامش (٢)، ١٩٥ هامش (١)، ٢٠٩ هامش (٢)، ٢٦١ هامش (١).

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/١.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/١ - ٢٨٥.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢١٥/٢.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢١٥/٢.

الذي كانت تضع له قوائم من الخشب ابان القرن الثالث، الا انها اصبحت خلال القرن الرابع الهجري الذي يليه من القرون تصنع قوائمها منها، دون فصل ولا وصل، فيكون الخوان وقوائمه قطعة واحدة^(١).

١٢. المنتظم لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١).

كان لكتاب المنتظم اثر واضح في رقد موارد آدم متز، وقد تعامل متز معه تعاملًا لا يختلف عن غيره من الموارد الأخر سالفة الذكر، فقد اشار اليه (٣١) مرة بصيغ مختلفة، لعل اكثرها استعمالاً هي ذكره للاسم الاول للكتاب دون ذكر اسم المؤلف، فسماه ب: (المنتظم)، وكان عدد مرات ذكره بهذا الاسم، هي: (١٧) مرة^(٢)، وسمى الكتاب واردفه باسم المؤلف بصيغة: (المنتظم لابن الجوزي)، وكان عدد الاحالات بهذا المسمى: (١٢) مرة^(٣)، وأحال اليه مرتين في هوامشه بصيغة (نفس المصدر)^(٤)، في حين ورد لمرة واحدة بتقديم اسم المؤلف على اسم الكتاب، فجاء في هذه الصيغة: (ابن الجوزي المنتظم)^(٥).

والجدير بالقول هنا، بأن كتاب المنتظم متقدم الذكر قد اعتمده آدم متز مطبوعاً، وقد استخدم مخطوط الكتاب ايضا، و اشار له بالقول: (المنتظم في تاريخ الامم لابن الجوزي مخطوط رقم ٩٤٣٦ بالمكتبة الاهلية ببرلين)^(٦)، وقد اعتمده ثلاث مرات، وبإحالتين سماه: (المنتظم)^(٧).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٦.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١/٢٨٠ هامش (٥)، ٢٩٠ هامش (٥)، ٨٠/٢ هامش (٢)، ١٧٤ هامش (١)، ١٩٧ هامش (١)، ٣، ٢٠٠ ذكره مرتين في هامش (٦)، ٢٠١ هامش (٢-١)، (٤-٥)، ٢٠٢ ذكره ثلاث مرات هامش (١)، ٢٠٦ هامش (٥)، ٢٨١ هامش (٣).

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١/٩٢ هامش (٥)، ١٧٢/٢ هامش (٤)، ١٨٩ هامش (١)، ٢٠٩ هامش (٣)، ٢١٠ هامش (١)، ٢٢٦ هامش (٤)، ٢٢٩ هامش (٤)، ٢٣٩ هامش (١)، ٢٤٥ هامش (٢)، ٢٥٧ هامش (٢)، ٢٦٨ هامش (٢)، ٢٩٣ هامش (٣).

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٧ هامش (٤)، ٢٢٦ هامش (٥).

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٦٤ هامش (١).

(٦) متز، الحضارة الاسلامية ١/١.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية ١/٨٦ هامش (١)، ٩٣ هامش ١٢، ٢٨٢ هامش (١).

وهذا المورد يُعدُّ من كتب التاريخ العام (الحولي)، وما يعطي ميزة معينة لهذا المورد أن مؤلفه عاش في بغداد خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وكان فقيهاً ومؤرخاً، أرخ لحوادث عاصرها، استقى متز عدّة روايات ذات صلة وثيقة بالموضوع، واخذ عنه قصّة احد النحاة التي جسّدت الاخلاق الذميمة والمنبوذة، وكيف ان ذلك النحوي عَشِقَ غلاماً حتى اوصله ذلك العشق إلى الموت في نهاية المطاف^(١)، واخذ عنه متز كيف جرت العادة عند خلفاء بني العباس بان يتزوجون المملوكات من الجوّاري والإماء^(٢)، حتى ان اغلب امهات خلفاء بني العباس كنّ إماء، غير عربيات^(٣)، ومما اخذ متز عن هذا المورد بعض الروايات التي تدل على المستوى المعاشي عند الطبقة الخاصة والحد الذي وصل اليه ذلك النمط المتميز من العيش^(٤)، وتناول اخلاق الامراء وعاداتهم، وكيف كانوا مولعين بالجوّاري وشرائهن بأسعار باهظة، وكيف كانوا يعيشون جواً من الطرب المفرط^(٥)، وعادات الصيد التي كانت قد اعتادها الخلفاء والأمراء واصحاب اليسار والعيش الرغيد، فقد كانت عادة سائدة تمارس بكثرة^(٦)، كذلك عادة الختان التي يقيمها الامراء والخلفاء وما يسرف فيها من مال^(٧).

١٣. ارشاد الاريب لياقوت الحموي (ت: ٦٢٢/هـ/١٢٢٩م).

استخدم متز هذا الكتاب طبعة مرجليون بحسب ما حدد ذلك متز بقوله: "وكتاب ارشاد الاريب إلى معرفة الاديب (وهو معجم الأدباء) لياقوت طبعة مرجليوت..."^(٨)، احوال إلى هذا المورد

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٣/٢ - ١٦٤. ومما اشار اليه متز للمنتظم هو ما حدث مع اللغوي ابن دريد

(ت: ٣٢١/هـ/٩٣٣م)، وكان قد تجاوز من العمر التسعين عاماً، الا انه كان يحتسي الخمر دون خجل ووجل، حتى

ان زوّاره الذين يدخلون عليه كانوا يخلون مما يرونه منه. متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٩.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية ١٧٤/٢.

(٣) بهذا الخصوص. ينظر: ابن الساعي، نساء الخلفاء، ٤٣-١٣٦.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٩٧/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٤٥/٢.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٥٨/٢.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٩٣/٢.

(٨) متز، الحضارة الاسلامية، ٤٢/١ هامش(٥).

بمسميات تباينت فيما بينها من حيث رسم الكلمة، فسماه على الاعم الاغلب بـ: (الارشاد لياقوت)^(١)،
ويعدد (١٠) مرات، وفي مواضع اخرى سماه بـ: (الارشاد)^(٢)، دون ذكر اسم المؤلف معه، وبواقع
(٣) مرات فقط، واحال اليه بصيغة: (نفس المصدر)^(٣)، لمرتين فقط.

كانت احالاته لهذا الكتاب مهمة جداً، منها انه احال اليه عند تناوله لاحد علماء اللغة
العربية والحديث، وهو ابو عبدالله بن محمد نفطويه (ت: ٣٢٣هـ/٩٣٥م)، وهو يعرض قصة
ولعه بغلام^(٤)، واحال اليه مرة اخرى لتأكيد قول الطبري في كيفية استخدام وسائل التبريد
ايام المنصور العباسي، فاستشهد بقول ياقوت لأبيات احد الشعراء بهذا الخصوص، واردف
ياقوت بالطبري في هامش واحد^(٥)، واحال اليه في تسمية لأواني الطبخ^(٦)، كذلك معلومة
عن الاكمام وكيف كان يستخدمها المهندس كجيوب يضع فيها ميله^(٧)، وفي كلام لندماء
الخلفاء ايام الهادي وعلاقتهم مع الخليفة احال منز لكتاب ياقوت، وهو يشير لعلاقة عيسى
بن يزيد الليثي (ت: ١٧١هـ/٧٨٧م) مع الخليفة^(٨).

١٤. الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

اعتمد متر على كتاب الكامل في التاريخ في هوامش كتابه، وأشار اليه بإحالات ذكر فيها اسم
المؤلف دون اسم الكتاب إذ سماه بـ: (ابن الاثير)^(٩)، في كل مرة ذكره فيها، ويريد بقوله هذا كتاب

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٣/٢ هامش(١)، ١٦٧ هامش(١)، ١٧٧ هامش(١)، ٢٠٥ هامش(٤)، ٢١٧
هامش(٢)، ٢٢١ هامش(١)، ٢٣٣ هامش(٢)، ٢٤٠ هامش(٢)، ٢٥٩ هامش(٣)، ٢٧٣ هامش(٤)، ٢٧٧
هامش(٢)، ٢٩٥ هامش(٣).

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٢/٢ هامش(١)، ١٦٤ هامش(١)، ١٧٧ هامش(٣).

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٢١/٢ هامش(٣)، ٢٩٥ هامش(٤).

(٤) للمزيد ينظر: متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٢/٢ - ١٦٣.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٠٥/٢ مع هامش(٤) منها.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧/٢.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٢١/٢.

(٨) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٣٣/٢.

(٩) متر، الحضارة الاسلامية، ٩٥/١ هامش(٥)، ٩٦ هامش(٢)، ٩٠/٢ هامش(٣)، ١٥٤ هامش(١)، ذكره
مرتين بهذا الهامش، ١٥٧ هامش(١)، ١٦١ هامش(٣)، ١٦٩ هامش(١)، ١٧٨ هامش(٢)، =

الكامل في التاريخ، الطبعة الاوربية تحديداً دون غيرها^(١).

كان كتاب الكامل في التاريخ قد ضمّ في صفحاته معلومات اجتماعية ذات صلة بالعادات والاخلاق، وقد تناول دور الخدم والخصيان السياسي الذي يصل احياناً لدرجة التحكم بمصدر القرار، وأشار إلى قرارات يصدرها الخلفاء ظاهرها اصلاحي الا ان باطنها مصلحي؛ لتحقيق غاية شخصية اذ امر احد الخلفاء بتحريم بيع الخمر، وامر بان تباع الجوارى المغنيات على انهن سواذج، ثم اشترى منهن الكثير بأسعار رخيصة^(٢).

١٥. كتاب الخطط المقرزية للمقرزي (ت: ٨٤٥هـ/٤٤٢م).

سجّل مورد الخطط المقرزية حضوراً واضحاً في كتاب آدم متز، والذي اعتمد الكتاب مطبوعاً دون الرجوع إلى مخطوطة من مخطوطاته كما فعل مع مصادر أخرى، وكان المعتمد من المطبوع لهذا الكتاب هو طبعة بولاق سنة ١٧٢٠م^(٣).

احال متز لهذا الكتاب بهوامشه (٥١) مرة، ويصيف عدة كان اكثرها تداولاً لديه بصيغة: (الخطط للمقرزي)^(٤)، والتي تكررت عنده (٢٩) مرة، وأشار اليه بذكر الكلمة الاولى من الكتاب فسماه: (الخطط)^(٥) بعدد: (٨) مرات، وذكر بصيغة: (نفس المصدر)^(٦) وكان عدد المرات التي ذكرها بهذا

=١٨٥هامش(١)، ١٩٠هامش(٤)، ٢٣٣هامش(١)، ٢٤٩هامش(١)، ٢٧٥هامش(١)، ٢٨١هامش(٦)، ٢٨٣هامش(٣)، ٢٩٠هامش(٥).

^(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١/١.

^(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٧/٢، ١٦١، ١٧٨.

^(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٠/١، هامش(٢).

^(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٩١/١هامش(٤)، ٩٤/١هامش(١)، ١٦٨/٢هامش(٣)، ١٥٨هامش(٤)، ١٧٠هامش(٣)، ١٧٣/٢هامش(٣)، ١٩٦هامش(٣)، ٢٠٠هامش(١)، ٢٠٥هامش(٣)، ٢٠٨هامش(٣)، ٢١١هامش(١)، ٢١٢هامش(٣)، ٢١٦هامش(٣)، ٢١٩هامش(٥)، ٢٣٨هامش(٤)، ٢٤٨هامش(٦)، ٢٥٣هامش(٣)، ٢٦٩هامش(٢-١)، ٢٧٤هامش(٣)، ٢٨٣هامش(٢)، ٢٨٤هامش(٢)، ٢٨٧هامش(٣)، ٢٩١هامش(٢)، ٢٩٣هامش(١).

^(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٠/٢هامش(٢)، ٢١٩هامش(٥)، ٢٢١هامش(٥)، ٢٥٨هامش(٣)، ٢٥٩هامش(٣)، ٢٦٠هامش(٢)، ٢٦١هامش(٤)، ٢٨٩هامش(٢).

^(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢١٣/٢هامش(٣)، ٢٧٩هامش(٤)، ٢٨٤هامش(٣)، ٢٨٦هامش(٢-٣).

الشكل: (٦) مرات، وبصيغة: (الخطط المقرزية)^(١) احوال اليه: (٤) مرات، وسماه بـ: (المقرزي الخطط)^(٢)، واحال اليه بهذا الاسم: (٤) مرات ايضاً، واحال اليه: (٣) مرات بصيغة: (المقرزي)^(٣). ولايد من القول هنا بأن مترز في اماكن عدة من هوامش كتابه وعند استقواء معلومات عن كتاب الخطط للمقرزي، قد اشار إلى مصدر المعلومة عند المقرزي وسندها، وهو: (المسبحي المتوفى ١٠٢٩هـ/١٠٢٩م) وفي خمسة مواضع وبصيغة: (نقلاً عن المسبحي)^(٤).

مثل كتاب الخطط مورداً متقدماً عند مترز؛ لأنه تناول تاريخ مصر الفاطمية بشكل مركز؛ وتحدث عن خطط القاهرة؛ لذلك كان حضوره مميزاً عند مترز، استقى منه معلومات قيمة ومفيدة تتعلق بالخصاء والخصيان وما كانوا يفعلونه من اعمال، وكيف تمكنوا من احتلال مناصب مهمة ومتقدمة لاسيما عند الفاطميين، وخير دليل ما وصل اليه الخصي (برجوان)^(٥)، من تمتعه بصلاحيات ومهام انيطت له من قبل الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٤٤-٣٨٦هـ/٩٥٥-٩٩٦م)^(٦).

واعتمده مترز في الرجوع الى روايات تاريخية تعكس الاخلاق التي انتشرت في مصر التي وصل فيها الحال إلى فرض ضريبة على بيوت الفواش ايام الفاطميين^(٧).

(١) مترز، الحضارة الاسلامية، ٨١/١ هامش(١)، ١٥٧/٢ هامش (٤).

(٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١ هامش(١)، ٩٦ هامش(٢)، ٢١٠/٢ هامش(٢)، ٢٨٩ هامش(١).

(٣) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٦/٢ هامش(١)، ٢٩٠ هامش(٥)، ٢٩٢ هامش(١).

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٦٠/٢ هامش(٢)، ٢٦١ هامش(٤)، ٢٦٩ هامش(٤)، ٢٨٤ هامش(٣)، ٢٨٦ هامش(١).

(٥) برجوان الخصي: هو خادم خصي للعزيز الفاطمي صاحب مصر، ومدير دولته وكانت اوامره نافذة ومطاعة في مصر وبلاد الشام ومدن المغرب التابعة للفاطميين، تولى النظر في امور الدولة سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، وقتل في القاهرة على يد ريدان الصقلي سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م، وكان قد ترك اموالاً طائلة وملابس وآلات وكتب وغيرها، واليه تنسب حارة برجوان في القاهرة. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٧٠/١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٩/١٠؛ ابن تغري بردي الاتاكي، النجوم الزاهرة، ٤٨/٤.

(٦) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٥٨/٢.

(٧) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٦٨/٢.

ومن الضوابط التي تعدّ رادعة هو فرض مبلغ من المال حدّد بستة دراهم، تستحصل من كل شخص يدخل السجن ولو للحظة واحدة، الامر الذي ادى إلى تكالب الضامنين للسجون، لانهم يستحصلون اموالاً طائلة جراء ذلك، وهذا النظام اعتيد العمل فيه بمصر ايام الفاطميين^(١).

ومن العادات التي التزم بها الفاطميون عند بناء قصورهم، هي ايصال تلك القصور ببيوت صغرى لهم يصلون بعضها ببعض عن طريق السرايب الضيقة تحت الارض تمكنهم من الدخول فيها والخروج منها عند الحاجة من دون ان يراهم احد، وكان طراز البناء من الدقة في التصميم ما يبهر الناظر، وقد وصفت تلك القصور بأوصاف لافتة للنظر بما تحويه من بُرك زنبقية اركانها واساطينها من الفضة الخالصة، حتى ان القمر يُرى فيها ليلاً بمنظر عجيب يخطف الابصار ويسحر العيون ويبهج القلوب^(٢).

ومن العادات التي استقاها متز من كتاب الخطط المقرزية هو طراز خياطة الملابس، اذ اعتيد ان تخاط اكمام القميص ويخاط فيها جيوب تختلف في احجامها، وتختلف الغاية منها بحسب ما يناسب مهنة صاحب القميص، ففي مصر الفاطمية مثلاً كان القاضي يضع كرأسه في تلك الجيوب التي في الاكمام ليقراً خطبته بذلك الكراس في يوم الجمعة^(٣).

ويبدو ان شرب الخمر كان عادة منتشرة ومتفشية في طبقات المجتمع الخاص منها والعام، وهذا يعكس أخلاق الذين يمارسون هذا الفعل منهم، وقد نقل متز بهذا الخصوص ما نصه: "... ان

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٦/٢.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢١٠-٢١١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٢١/٢. وكان الحلاق يضع مقصه وعدته في كُمه، وربما وصل الحال ان توضع اغراض التسوق في الأكمام، وان صاد ضبي صغير او صبّ وضعه في كمه، ووضعوا الكتب في الأكمام، والخطيب يضع قرطاسه في كمه، اي في الجيوب التي تُخاط في الأكمام. ينظر: ابن حنبل، مسند احمد، ٤/٦١، ٥/٣٦١، ٦/٢١٨؛ البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: احسان عباس، بيروت، ١٩٧٩، ٥/٤٦٢، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، ٩/٥٦، ٧٣، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، ١٣/٣٢٢؛ وكيع، اخبار القضاة، ١/٢٣٨؛ الطبري، نواذر المعجزات، ١١٢؛ التنوخي، الفرج بعد الشدة، ١/٦٧، ٢/٢٢٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/١١٠، ٤/٣٢٤، ٧/٢٣٨، ٨/١١٢، ١٠/٧٥، ١٢/٢٦٤، ١٣/٣٢٥؛ ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب، ٧١؛ الرواندي، الخرائج والجرائح، ١/٣٣، ٢/٤٩٠؛

المشايع فيها [مصر] لا يتورعون عن شرب الخمر، حتى ترى الشيخ منهم سكران^(١)، وذهبت كل اوامر رجال الشرطة سدى. وفي اواخر عهد الفاطميين كان يُكتفى بإغلاق قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر ومنع بيع الخمر في اخر جمادى من كل سنة^(٢).

ومن العادات السائدة في مصر الفاطمية عند الاحتفال بعيد الوقود الخاص بالنصارى، والذي كانت الخلافة الفاطمية تولي احياءه اهتماماً ورعاية، فكانت تعطي الجرايات وتعمل على توزيع الحلوى وتُسرح الفوانيس في الشوارع والمحال، ويعطى للفقراء فوانيس يؤجرون على حملها بدرهم لكل شخص يحمل فانوس ويسير في الشوارع، جرت العادة ايضاً في مصر ان تُضاء اسواق كاملة، وتبقى محال سوق الشماعين في القاهرة حتى منتصف الليل بمناسبة احد اعياد النصارى، وكان الخلفاء والامراء يشاركون بعض اعياد النصارى، يهدون الناس الهدايا والاطعمة^(٣)، اما في قصور الخلفاء العباسيين ببغداد فكانت تنثر الزهور، وقال متر بهذا الخصوص بعدّه من العادات المداوم عليها بما نصه: "وكان من العادات بقصور العباسيين [في عيد النوروز] نثر الزهور، وهي عادة اصلها يرجع إلى الاعياد الطبيعية"^(٤).

١٦. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي الاتاكي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٧٠م).

نهل متر عن كتاب النجوم الزاهرة في اماكن كثيرة، ويثبت ذلك من خلال الاحالات في هوامش الكتاب، الا انه اعتمد طبعتين للكتاب المذكور، اشار لواحدة منهما بقوله: "النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، نشره W.Popper بكلفورنيا..."^(٥)، اما الطبعة الثانية فقد ذكرها قائلاً: "النجوم الزاهرة لابي المحاسن بن تغري بردي، طبعة ليدن ١٨٥٥..."^(٦).

(١) هكذا وردت عند متر، والصواب: سكرانا.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٨.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٣-٢٨٤، ٢/٢٨٦-٢٨٧.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩١.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ١٥٥ هامش(٢).

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٩/١ هامش(١).

كانت الاحالات التي اشار فيها مترز لهذا المورد (١٧) مرة، سمى الكتاب فيها تسميات متباينة، فمرة يسميه بـ: (النجوم الزاهرة طبعة ليدن)^(١)، واخرى: (النجوم الزاهرة)^(٢)، دون تحديد اسم اي من الطبعتين، وسمّاه ايضا باسم مؤلفه دون تسمية اسم الكتاب بالصيغة الاتية: (ابو المحاسن)^(٣)، واحال اليه ايضا بالصيغة التالية: (ابو المحاسن طبعة ليدن)^(٤)، وذكره بمرة واحدة بالصيغة: (النجوم الزاهرة طبعة كاليفورنيا)^(٥)، وسمّاه بمرة واحدة بـ: (تاريخ ابي المحاسن)^(٦).

دخل هذا الكتاب ضمن موارد مترز، اذ حوى معلومات تاريخية لا يمكن اغفالها من قبل مترز الذي استقى منه نصوص ذات صلة وارتباط وثيق بالعادات والاخلاق التي كانت سائدة آنذاك، ومن بعض هذه العادات، ان هناك الكثير ممن كان فقيرا إلى درجة عدم وجود مأوى يأوي اليه، ولا بيت يسكنه، الا انه كان يظهر الغنى من خلال ارتداء الملابس التي يلبسها اهل اليسار والمال، فيرتدي قميصاً ورداءً ويزيد عليها نعلًا جديدًا، ويعتمّ بعمامة، ويمسك بيده مفتاحاً، وكأنه من اصحاب الجاه والنفوذ، الا انه وقت النوم كان يأوي إلى المساجد والاماكن التي تسمح بالإيواء اليها^(٧).

واعتاد اهل المال من الاغنياء واصحاب السلطان ايضا على الاهتمام بأخريتهم من خلال تحديد مواضع قبورهم وبناء قباب عليها، ودأبوا على ذلك^(٨).

ومن العادات التي درج عليها اهل الغنا والسلطان التي تؤكد بان للمستوى المعاشي الاثر الواضح في ظهور الكثير من العادات التي يعملها الخاصة، ثم ان امكن للعمامة القيام بها فهم لا

(١) مترز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١ هامش(٤)، ٢١٢ هامش(١)، ٢٢٤/٢ هامش(١)، ٢٢٦ هامش(٣)، ٢٣٩ هامش(١)، ٢٥٦ هامش(٤).

(٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٣٩/٢ هامش(٢)، ٢٥٩ هامش(١).

(٣) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٨٥/١ هامش(١)، ٩١/١ هامش(٢)، ٢٥٥ هامش(٢)، ٢٩٢/٢ هامش(٢).

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ٨٩/١ هامش(١)، ٢٥٢ هامش(٧)، ٢٠٢/٢ هامش(٣).

(٥) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٩/٢ هامش(١).

(٦) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٠١/٢ هامش(١).

(٧) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٤/٢.

(٨) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٦/٢.

يتأخرون ولا يتوانون عن ذلك، وبهذا الصدد استقى متز معلومات مهمة عن خمارويه بن احمد بن طولون، الذي اهتم بالنادر والغريب من الحيوانات، فقام ببناء موضع كبير في داره، للأسود فقط، وقسمها إلى بيوت، لكل اسد مع انثاه بيت لا تشاركهما فيه السباع الاخرى⁽¹⁾.

يجد المدقق في الموارد التي استعرضنا الكلام عنها والتي اعتمدها متز في كتابه، ان المؤلف اعتمد بشكل كبير على المصادر الاسلامية، الا ان هذا لا يعني انه لم يعتمد على مصادر اجنبية، هو رجع لعدد منها لكنه تناول منها ما يفيد اوجه المقارنة بين الحضارات الاخرى، و اشار اليها اشارات طفيفة، لهذا السبب وجدنا ان نركز على المصادر الاسلامية، وفيما يتعلق بغيرها من المصادر فقد ادرجناها بملحق وضّح عدد مرات الاحالة اليها واماكنها في كتابه.

ويبدو ان متز عندما اخذ من المصادر الاسلامية انتقى مادته منها انتقاء بما يفيد موضوع دراسته وحاول التركيز كما مرّ بنا سلفا على ما هو لافت للانتباه ويشدّ القارئ الى كتابه، اذ ان هذه الموارد التي رجع اليها متز في معلوماته مليئة بالمعلومات والحوادث التاريخية التي تعكس عادات و اخلاق المجتمع الاسلامي الفاضلة الحميدة، التي تعطي الصورة الحقيقية لنسبة عظمى من المجتمع بانه يمارس عادات و اخلاق طيبة تتطلق من روح الاسلام ونظريته الانسانية، زد على ذلك فان متز عمد على منهج الانتقائية في اخذ المعلومة من هذه المصادر، الى الدرجة التي يفهم فيها القارئ غير المطلع على تلك الموارد بان ما كتبه متز هو بالفعل ما كان يُعمل من قبل الكل، ولا ينطبق على اناس دون غيرهم.

(1) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٨ - ٢٥٩.



الفصل الثاني

منهجية متز في كتابه نهضة الاسلام

اختلفت المنهجيات التي اعتمدها مترز وتباينت، فتارة نجده يستخدم المنهج والوصفي (السردى)، وغيرها يستخدم المنهج التحليلي والعقلي في الاستنتاج، كما ركن في اكثر من مكان من كتابه الى اعتماد الحكايات الشعبية فيه، واحال الى ما يمكن تسميته بـ: المجاهيل بمعلوماته المعتمدة، ولا بد من الاشارة هنا الى امر مهم الا وهو ان مترز عند حديثه عن ما يتعلق بالاخلاق والعادات ومستوى المعيشة، فانه لم يذكر آيات قرآنية ولا احاديثاً نبوية مباركة صراحة الا في اماكن قليلة من الكتاب، لكنه احال الى ذلك بطريقة التلويح للآيات والاحاديث النبوية، كقوله في لعب القمار: "... وقد شفف الناس بذلك [لعبة النرد] رغم تحريم القرآن للقمار..."^(١)، وفي مكان آخر من كتابه وهو يتحدث عن نهي القرآن عن شرب الخمر، فقال: "... وكان الشراب منتشرًا رغم نهي القرآن عنه..."^(٢)، و اشار الى تحريم الخصاص في الشرع الاسلامي، بقوله: "... وقد شدد القرآن وشددت السنة في تحريم خصاص الانسان والبهائم..."^(٣)، وقال عن نهي النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المقامرة والرهانات: "... ويروى عنه عليه السلام في روايات كثيرة..."^(٤).

وفيما ياتي نتناول المنهجيات المتعددة التي اشغل عليها في كتابه، مرتين عنواناتها بحسب حروف المعجم.

١. الاحالة إلى المجاهيل وبصيغة الجمع.

عمل مترز وفق منهجية الاحالة إلى المجهول وبصيغة الجمع، فقد استخدم في متن كتابه جمل وعبارات دلّت على المجهول من الأسماء، فنجد مثلاً يستخدم لفظ: (المؤرخون)، فعندما كان يتحدث عن رئيس اليهود في الدولة الإسلامية قال: "ولا يتكلم المؤرخون المسلمون كثيراً عن رئيس اليهود"^(٥)، وقال في مكان آخر وهو يتحدث عن التعصب الديني بين المسلمين وأهل الذمة فقال: "ومن العجب انه على الرغم من هذا الوضع الذي لم يكن طبيعياً يقصد الفتن بين المسلمين واهل الذمة] لا نجد المؤرخين حتى المسيحيين منهم، يذكرون الا قليلاً من المشاغبات بين المسلمين

(١) مترز، الحضارة الإسلامية، ٢/٢٥٥.

(٢) مترز، الحضارة الإسلامية، ٢/٢٣٨.

(٣) مترز، الحضارة الإسلامية، ٢/١٥١.

(٤) مترز، الحضارة الإسلامية، ٢/٢٥٣.

(٥) مترز، الحضارة الإسلامية، ١/٦٢.

وأهل الذمة من القرن الرابع الهجري...^(١)، ويصدد حديثه عن التعصب الديني بين المسلمين وأهل الذمة لاسيما النصارى منهم قال معلقاً في هامش ما نصه: "... اما ما كتبه المؤرخون المعاصرون الآخرون... فهو أشبه بقصص الاتقياء"^(٢)، وأحال إلى المجهول من جمع المؤرخين عند حديثه عن الكيفية التي قتل بها أحد الخلفاء فقال: "... ومن المؤرخين من رأى انه جعل بين لوحين عظيمين، وشُدَّ بالحبال"^(٣) إلى أن مات...^(٤)، ونعرض حديثه عن استخدام البيض المسموم لتصفية الحساب، فانه قال: "... كما يقول المؤرخون القدماء المعاصرون للوزير"^(٥)...^(٦)، ويصدد الحديث عن القتل سماً بالبيض المشوي، قال: "اما المؤرخون المتأخرون فذكروا انه سُمَّ في بيض مشوي"^(٧).

وأشار إلى المجهول وبصيغة الجمع أيضاً، ففي معرض حديثه عن اعتناق أحد كبار رجال الدين النصارى للإسلام، فقال: "فصبَّ عليه مؤرخو الكنيسة لعنتهم"^(٨)، أما رئيس اليهود الذي قال عنه متر: "... ويقول مؤرخو اليهود انه عانى من القرن الرابع أياماً شديدة"^(٩)، وبإشارة من متر تخص أهل الذمة أيضاً عندما استرجع الامبراطور البيزنطي مدينة انطاكية من ايدي المسلمين، فعامل النصارى فيها معاملة اصبحوا خلالها يحثون إلى معاملة المسلمين الطيبة مقارنة بالإمبراطور، فقال متر بهذا الخصوص: "... لم يأل جهداً [الإمبراطور البيزنطي] في مضايقة اليعقوبيين، فاضطرهم مثلاً إلى الخروج من انطاكية، ولذلك نجد مؤرخي اليعقوبيين يصفون البطارقة التي عينتهم الدولة في انطاكية بأنهم اظلم من فرعون وأشد كفراً بالله من بختنصر..."^(١٠)، ولعلنا لا

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٩١/١.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٩٧/١.

(٣) واراد بهذه الرواية مقتل الخليفة المهدي.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٠/٢.

(٥) ويقصد بالوزير هنا هو: حامد بن العباس الذي مات مسموماً بالبيض سنة ٣١١هـ/٩٢٣. ابن كثير، البداية والنهاية،

١٦٩/١١.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٢/٢.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٢/٢.

(٨) متر، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١ هامش (١).

(٩) متر، الحضارة الاسلامية، ٦٢-٧٣.

(١٠) متر، الحضارة الاسلامية، ٧١/١.

نبتعد عن موضوع الدراسة عند الاشارة لأهل الذمة كونهم جزء من التركيبة الاجتماعية للدولة العربية الإسلامية ودخلوا بقوة بموضوع العادات والاخلاق ومستوى المعيشة، وكان لهم الاثر الواضح في هذه الجوانب، وأما المؤرخون غير المعروفين الذين يشير اليهم متر بصيغة الجمع من دون تسميتهم بالاسم أو حتى دون الاشارة إلى أحدهم في الهامش فهذا بالتأكيد احالة إلى المجهول من الاسماء.

وأشار إلى المجهول بمسمى: (أصحاب السير والتواريخ)^(١)، وأخرى باسم: (الكتّاب المتأخرين)^(٢)، وأحال بمسمى: (المحدثين)^(٣)، وقال عنهم: (الرحالين أو الرحالة)^(٤)، وأشار اليهم باسم: (اصحاب النوادر)^(٥)، وأحال بهذا الخصوص باسم: (مؤلفات الفقهاء)^(٦).

٢. اعتماده الحكايات واستخدامه الفعل (حكى).

اعتمد متر في كتابه على الحكايات لاستقاء معلوماته منها، وقد كان لحكاية ابوة القاسم البغدادي حضورا واضحا في هوامش متر كما مرّ بنا^(٧)، كما أنه استخدم المعاني الدالة على (الحكايات) وبألفاظ مختلفة، فجدده مرة يقول: (يحكى عن) ثم يذكر اسم احد المؤلفين^(٨)، أو ان يذكره بلفظ: (حكى أو يحكى)، ويأتي بعده اسم الخليفة أو أحد ارباب الدولة والمتنفذين فيها، أو لأحد الشعراء والمصنفين^(٩)، واستخدمها بلفظ: (حكى أو يحكى) ملحقة بحوادث سنين وأعوام أو حوادث

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٠/٢.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١٠/٢.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٣٤/٢، ٢٣٨.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٣٨/٢، ٢٤٧، ٢٧٥.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٧١/٢-٢٧٢.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٤٧/٢.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧١/٢ هامش (٢)، ٢٠٩ هامش (٢)، ٢١٥ هامش (٢)، ٢١٦ هامش (٣)، ٢٣٦ هامش (٥)، ٢٣٧ هامش (٢)، ٢٤٥ هامش (٣)، ٢٥٢ هامش (٣)، ٢٦١ هامش (١).

(٨) متر، الحضارة الاسلامية، ١٥٣/٢ هامش (٣)، ١٦٠ هامش (٢)، ١٨٨-١٨٩، ١٩٣-١٩٤، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٠ هامش (١)، ٢٢١ هامش (١)، ٢٣٧-٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٨-٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨١-٢٨٢.

(٩) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٢/٢-١٦٣، ١٧٠، ١٧٣-١٧٤، ١٧٦-١٨٣، ١٨٩، ١٩٣-١٩٤، ١٩٦-١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣-٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤، ٢٢١-٢٢٥، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٦-٢٤٧، ٢٤٩.

٢٥٢-٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٧٢، ٢٩١-٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠٢.

تاريخية معينة دون ذكر اسم لأعلام من الخاصة ولا من العامة^(١)، وأشار إليها بأماكن عدة بلفظ: (حكايات) أو (حكاية)^(٢)، وتعامل متر مع بعض الحكايات تعامل الحکم، وقد اعطى رأياً في بعض هذه الحكايات، سيما ما تعلق بمصداقيتها وحقيقتها، فقال في مواضع عنها: "وفي حكاية اخترعت"^(٣)، وقال في مكان آخر: "وكذلك يحكي المقرئ عن مصر حكاية كالسابقة لا نكاد نصدقها"^(٤)، وأشار صراحة في مكان آخر إلى اختراع المؤرخين أحياناً الحكايات سيما النصارى منهم لأغراض معينة، فقال: "...على ان المؤرخين النصارى بنوع خاص اخترعوا كثيراً من الحكايات القاسية ونسبوها للحاكم [الحاكم بأمر الله الفاطمي] لتقوية ايمان النصارى"^(٥)، وأشار إلى حكاية فقال عنها انها موضوعة فأعطى حكمه فيها^(٦).

٣. اعتماد الشعر كشواهد تاريخية.

لطالما كان الشعر واحداً من الموارد المهمة التي حملت في أبياتها الشعرية معلومات تاريخية مهمة، وكثيراً ما أرخ الشعراء الحوادث في قصائدهم، بل يستطيع القول ان الشعر في مواضع معينة نقل معلومات لحوادث تاريخية لم يذكرها المؤرخون، بل انفرد الشعراء بتوثيقها، وبعيداً عن دراسة المبالغات التي يستخدمها الشعراء والأوصاف المنمقة التي يوظفونها لإضفاء صفة الجذب والتسويق لشعرهم، فإن الدواوين الشعرية محملة بالحوادث التاريخية، اما بخصوص اعتماد متر دواوين من الشعراء واقتطاعه لأبيات شعرية لتكون محل الشاهد على ما يريد الوصول اليه، فقد كانت واضحة في كتابه، بل يمكن عدّها منهجية بارزة بأن أحال إلى ابيات شعرية ومقطوعات من قصائد شعرية يزيد عددها ويقبل بحسب ما يريد الوصول اليه من إيضاح أو تدليل لقوله، ولم يكن المتن وحده قد

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٢/٢-١٩٣، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٤٥-٢٤٧، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٧٢، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٩-٢٩٨.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٨/٢، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٨-١٨٩، ١٩٢، ٢١٠، ٢١٦، ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٨٥.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٨/٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٨٩/٢.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ١٨٩/٢.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٠٩/٢ هامش (٧).

حوى أبيات شعرية، بل هوامش صفحات كتابه هي الاخرى كان للشعر فيها حضورٌ، وفيما يلي نبين كيف ان من جملة منهجية متر استشهاده بالشعر ودواوينه ورجاله، لإيضاح ظاهرة ذات علاقة بموضوع الدراسة.

فعلى سبيل المثال لا الحصر استند متر من خلال ابیات شعرية لابي نؤاس ساقها لإثبات ما كان يقوم به الخليفة الأمين بالاهتمام بالعلمان، فقال في ذلك: "وصيرهم لخلوته [العلمان] في ليله ونهاره، وقوام طعامه وشرابه وامره ونهيه..."^(١)، ثم قال: "وحتى قال ابو نؤاس ساخرًا.

احمدوا الله جميعاً
ثم قولوا لا تمأوا
صير الخصيان حتى
فاقتدى الناس جميعاً

يا جميع المسلمينا
ربنا ابقي الأمينا
صير التعيين دينا
بأمير المؤمنين^(٢)

ويدت واضحة العادات والاخلاق السلبية الشاذة، التي عاصرها الكثير من الشعراء، الا وهي عادات التشبيب والتغزل بالعلمان وذكرهم في قصائد الشعراء، وليس الشعراء وحسب، بل أصحاب المهن أيضاً عملوا على الترويج لبضائعهم بإلقاء كلام من الشعر يجذب اليهم ممن يطلبون الملائد والاستماع للكلام المليح والخليع، حتى ان خبازاً في البصرة كان يخبز وينشد شعراً يقول متر: "وكان احداث البصرة يتنافسون في ميله اليهم وذكره لهم، ويحفظون كلامه لسهولة وقرب مأخذه ومن ذلك قوله:

وددت اني بكفه قلم
ياخذني مرة ويلثمني

أو انني مُدّة على قلمه
ان عقلت منه شعرة بفمه^(٣)

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٥١/٢.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٥١/٢ - ١٥٢. بهذا الخصوص وفيما يتعلق بالشعر الخليع والتشبيب بالعلمان ينظر:

١٦١ هامش(١)، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٧-١٧٨، ٢٢٥، ٢٣٨.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦١/٢.

وكان مما ظهر جديداً خلال العصور العباسية، لاسيما في القرن الرابع الهجري، المطالبة بحقوق النساء للقيام بالمهام التي كان الرجال آنذاك يعتقدون -بشكل عام لا مطلق- انها مهامهم وليس مهامهن، فقال الشاعر:

ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابة
هَذَا لَنَا، وَلِهِنَّ مَنْ أَنْ يَبْتَئْنَ عَلَى جَنَابَةٍ^(١)

هذه الابيات الشعرية تعكس وجهة نظر الشاعر الذي قالها، ونحن اخترناها لنثبت بأن الشعر اَرخ للمظاهر الاجتماعية مع المظاهر الأخرى، التي تجسدت في الشعر والأدب، وصاحب هذه الابيات لم يثن المرأة من ان يكون لها دور واضح في المجتمع الاسلامي آنذاك، وقد ذكر ذلك متز في كتابه بعد ان اشار لهذه الابيات وقال: "وكان من النساء عالمات بالدين، يُقبل الناس على دروسهن"^(٢)... ومن الفقهاء مَنْ جَوَزَ للمرأة ان تتولى القضاء، فتقضي فيما تصحّ شهادتها فيه، وهو ابو حنيفة وجوز ابن جرير الطبري قضاءها في جميع الأحكام"^(٣)، وكان من العادات الاجتماعية اذا وُلدت لشخص وليدة انثى فإنه يُهنأ بتلك الولادة، وقد ساق متز ابيات للشريف الرضي^(٤) (ت: ٤٠٦هـ/١٠١٦م) وهو يهنئ اخيه بمولودة أنثى، فقال:

الآن جاءت خيول العَدِّ راکضة تجري بيوم مضيء الوجه مجدود
بمولد صقل الأبناء حليته فطوّت المجد اعناق المواليد

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٢/٢.

(٢) للتعرف على نماذج من النساء اللواتي كان لهنّ دور كبير في رفق الحياة الفكرية والادبية. ينظر: الشافعي، كتاب الام، ٣٦/٣، ٤٨/٧؛ الصقار، بصائر الدرجات، ٣٩٢؛ الشيخ المفيد، الاختصاص، ٣٢٩؛ ابن حزم الاندلسي، المُحلى، ٨٢/٧، ٢٥٦/١٠، ٣٠٢؛ عبد الرحمن بن قدامة، الشرح الكبير، ٥٥٣/٧؛ ابن حجر العسقلاني، التلخيص الجبير، ٢٧١/١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٢/٢ - ١٧٣.

(٤) الشريف الرضي: هو أبو الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسين الموسوي، له مؤلفات عدة، وكان شاعرا له ديوان، وكان شاعرا بعمر مبكر منذ عشرة اعوام من عمره قال الشعر. ابن شهر اشوب، معالم العلماء، ٨٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤/٤١٤-٤١٧ ترجمة رقم ٦٦٧.

مولودة تهبُّ الرأون بهجتها ثمأً، وعانقتها في ثوب محسود^(١)

ومن العادات التي مورست من قبل السجناء: صناعة التِّكك^(٢)، والتي ذكرها متز، مشيراً إلى أبيات الشاعر ابن المعتز الذي يصور هذه الصورة الشعرية التي يراها، وكان الفلك يدور بالكثير من الناس فيحوّلهم من فرسان إلى صانعي تلك الافعال:

تعلمت في السجن نسج التِّكك وكنت امرأً قبلُ حبيس مُلك
وقيّدت بعد ركوب الجياد وما ذاك الا بدور الفلك^(٣)

وينتقل متز إلى عادات المجاملة والتهادي بين العشاق والأحبة وكيف كانوا قد اعتادوا نوعاً من الهدايا واستحسنوها مندون غيرها، صوروها بأبيات شعرية، انتقاها من ديوان الشاعر ابن المعتز، وكيف كان يحبذ ان تتسخ أبيات شعره على قطعة قماش أو منديل ثمين وترسل إلى المعشوقة ليكون لها وقع خاص^(٤)، وأشار مستشهداً بالأبيات الشعرية لوصف حضور من كانوا ذا يسار وغنى، وكيف ان ابن المعتز وصف قصر الثريا بأبيات شعرية صورها بأبهى صورة تحاكي الواقع، وتدل على مستوى المعيشة الفاره والباذخ^(٥).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٥/٢.

(٢) التِّكك: وهي تكة السراويل جمعها تكك، والتكة رباط السراويل، ويقال فلان يستتك بالحري. الفراهيدي، كتاب العين، ٢٧٥/٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٤٠٥/١٠. قال ابو الحسن احمد بن علي البتّي: "امرني بهاء الدولة ان اكتب ابياتا يكتبها بعض الجوّاري على تكة البريسم، فكتبت:

لِمَ لا اتيه ومضجعي بين الروادفِ والخصور
واذا نسجت فاننسي بين الترائب والنحور
ولقد نشات صغيرة باكف ريبات الخدور

التنوخى، نشوار المحاضرة، ٢٢٤/٥.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٦/٢. ينظر ايضا: الثعالبي، بيتمة الدهر، ١٦٧/٤.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٨/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٩/٢.

وكان للعادات المتعلقة بالملبس حضوراً عند متز، وكيف يرمز نوع من الملابس أيام العصر العباسي الاول، وكيف انتقدتها ابو دلامة^(١) (ت: ١٦١ هـ/ ٧٧٨ م)، موضحاً ذلك الرّي بأبيات شعرية جميلة^(٢).

وكان للخمر والشراب مكاناً في قصائد الشعراء، واقتطف متز مقطوعات شعرية عند حديثه عن موائد الشراب وانواعها واصناف المشروب، وكيف كان الشعراء يصفون حالهم بعد ان تأخذ الخمرة منهم مأخذها، وهم يصفون تاثير الشراب ولذته فيهم^(٣).

والمدقق المتخصص في انتقادات متز لأبيات الشعرية التي اتخذ منها شواهد داعمة لما يريد الوصول اليه، يجد انه كان قد اختارها بتمعن ودقة إذ تعطي التأثير المباشر على القارئ ونشده للكاتب اكثر، وتعمل هذه الابيات على اعطاء صورة واضحة لما كان سائداً من عادات واخلاق، زد على ذلك ما كانت تؤثر فيهما الا وهي: مستوى المعيشة، الذي له اهمية واضحة في تغذية العادات والاخلاق السائدة في المجتمعات.

٤. المنهج المقارن.

عمل متز بالمنهج المقارن في كتابه، وقد اتبع هذا المنهج بأشكال متعددة، وكان تركيزه الاكثر عن المقارنة بين بغداد والقاهرة، وكذلك مقارناته بين المدن الاسلامية نفسها، واجرى مقارنات بين الحوادث التي دارت بايام اليونان والرومان او البيزنطيين والحضارة الهندية والساسانية من جهة، ومن جهة اخرى مع الحضارة الاسلامية، ولا بد من التلويح الى اجرائه مقارنات بين الحوادث الاسلامية مع العصور الحديثة وربما بعضها عاصرها متز كما سيتضح في دراسة منهجه المقارن، الذي رتبنا فقراته بحسب التسلسل المعجمي الهجائي، وكالاتي:

(١) ابو دلامة: هو زند بن جون كان مولى لبني سعد فاسد الدين متهنكا، كان يعتاش على جوائز شعره. عن ترجمته.

ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، كتاب الاغاني، ٤٠٧/١٠ - ٤٣٠.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٠/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٤١/٢ - ٢٤٣.

أ- المقارنة بين الاتفاق والاختلاف في آراء المؤرخين.

عمل متز على اعطاء اوجه الاتفاق والاختلاف في المعلومات التي اخذها عن المصادر المعتمدة لديه، فيما يتعلق بحادثة أو رواية تاريخية معيّنة، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما ثبت متز أعداد اليهود في مصر بالاعتماد على بنيامين التطيلي (ت: ٥٦٩هـ/١١٧٣م) اليهودي، وفي الهامش قارن متز مع المؤرخ المقدسي بهذا الخصوص، فقال: "وهو [بنيامين] يتفق مع المقدسي"^(١).

وأثناء تناول متز موضوع ضريبة الجزية^(٢) وأقسامها الستة، التي ذكر أنها خمسة وهناك من ذهب إلى القول انها اربعة بل قال بعضهم ثلاثة أو قسمين، أحالنا متز في الهامش إلى مصدرين اجنبيين كانا قد فصّلا بهذه الاقسام وارادنا ان نطلّع على الاتفاق والاختلاف بين ما ذكر فيها وما ذكرته المصادر الاسلامية، فقال: "وانظر ما قاله كرباجك... وكذلك أيضاً ما حكاه ديوثيوس"^(٣).

بينما تناول متز الخدم واصولهم المناطقية والعرقية، فانه قد اخذ عن المسعودي بأن اصنافهم اربعة أنواع هم: "السودان، والصقالبة، والروم، والصين؛ ويذكر المقدسي ان الخدم البيض صنفان: الصقالبة... والروم..."^(٤).

وبتدقيق بسيط في النص السابق يمكن ملاحظة قولي المسعودي والمقدسي، والاستنتاج من خلالهما، ان المسعودي قسم الخدم بكل صنوفهم على أربعة اقسام، اما المقدسي فقد ذكر ان الخدم البيض صنفان، أي البيض منهم فقط.

وانتقد متز المؤرخ (دي ساسي)، الذي كتب عن الحاكم لأمر الله الفاطمي (٣٨٥-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٦م)، إلا انه لم يرجع إلى تاريخ يحيى بن سعيد النصراني (ت: ٣٢٨هـ/٩٤٠م)، الذي عدّه متز بمنتهى الاهمية؛ كونه معاصر للحاكم المذكور، فقال: "... اوسع تاريخ للحاكم هو

^(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١ هامش(٢).

^(٢) ضريبة الجزية: وتسمى ضريبة الراس او ضريبة الحماية، وتفرض على الموحد الذمي الذي يعيش في ارض الاسلام، فان اعتنق الاسلام تسقط عنه ضريبة الجزية. للتفاصيل في احكامها. ينظر: قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ٢٢٤-٢٢٦.

^(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٨٠/١ هامش(٣).

^(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٣/٢.

ما حكاه دي ساسي... ولكن دي ساسي لم يرجع إلى تاريخ يحيى بن سعيد معاصر الحاكم... وهو مؤرخ ثقة معتدل، ومن هذا الكتاب [كتاب دي ساسي] خاصة نستطيع معرفة الحوادث بحسب ترتيبها التاريخي لأول مرة، اما ما كتبه المؤرخون المعاصرون الاخرون... فهو اشبه بقصص الاتقياء^(١).

قارن متر مع ما ذكره الشاعر العباسي ابن المعتز، المستنكر لركوب اهل الذمة على البغال المسروجة^(٢)، ومستنكراً ايضاً لمن تولّى المناصب منهم، سيما الكتاب وتسلطهم وظلمهم، وقد عدّ هذه الممارسات من علامات ظهور المسيح والدجال^(٣)، كان ذلك سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، وعندما نقل متر ما قاله ابن المعتز بهذا الخصوص، احالنا إلى هامش ذكر فيه ديوان ابن المعتز ثم كلمة: (قارن) وبعدها النجوم الزاهرة^(٤)، أي انه أراد من القارئ الرجوع إلى الكتابين والتوقف على ما اتفقا عليه وما اختلفا فيه بهذا الشأن.

وتتجسد الازدواجية عند النصارى الذين بحسب ما أشار الجاحظ انهم يدعون الرهينة ورقة القلب، الا انهم يمارسون عملية الخصاء^(٥)، وهذا تناقض واضح بين ما يدعون وما يفعلونه، وهذا التناقض قارنه متر مع ما ذكره البيروني^(٦)، وهو يتحدث عن الهندو نقتطف منه قوله العبارة الاتية: "وكذلك

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٩٧/١ هامش(١). علماً ان رقم الهامش فيه خطأ طباعي، اذ انه في المتن ثبت برقم(١)، وفي الهامش ثبت برقم(٢)؛ لذا اعتبرناه رقم(١).

(٢) حدث سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م ان امر المتوكل العباسي باقتصار اهل الذمة على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين. متر، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١.

(٣) اراد هنا ان يقول بان هذا من علامات قيام الساعة.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١ هامش ٤.

(٥) الخصاء: هو قطع الخصيتين واخراجهما، والشخص الذي يتعرض لهذا العمل يسمى: (خصي)، وان قطع معها الذمير سمي: (ممسوح أو مجبوب)، وان دُقت الخصيتين بحجر دون استخراجهما، سمي: (موجوء)، والوجيء: المراد به قطع النكاح. ابن منظور، لسان العرب، ١/١٩١، ٢٤٨. للمزيد من التفاصيل ينظر: الشمري، ظاهرة الخصاء في العصور القديمة، ١٥٩؛ الشمري، الخصيان والمترجلة في الدولة العربية الاسلامية، ١٦٣-١٦٤.

(٦) البيروني: أبو الريحان محمد بن احمد المنسوب لمدينة بيرون في بلاد السند، اشتغل في العلوم والحكمة، واهتم بصناعة الطب، وله فيه مصنفات توفي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م. ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء من طبقات الاطباء، ٤٥٩.

تكلم البيروني في ضوء كلامه عن العقوبات والكفارة عند الهنود في فلسفة نبيلة منهم...^(١)، ثم يدرج البيروني نصاً يذكر فيه كيف يتقابل الهنود من يسيء اليهم بالإحسان، والدعاء للعدو بالصحة والعافية^(٢).

ب- المقارنة بين بغداد والقاهرة.

ركز متز على العلاقة بين بغداد والقاهرة جاء هذا الوجه من المقارنة للاختلاف العقائدي والاداري بين الجانبين، وكان العامل الرئيس في اخراج عنوان خاص عن بغداد والقاهرة هو الاهمية التي مثلتها هاتين المنطقتين، كونهما نالا حيزاً كبيراً في كتاب الحضارة الاسلامية لمتز؛ لانهما مركزان لخلافتين اسلاميتين مثل كل واحد منهما عقيدة وفلسفة دينية وادارية تختلف بعض الشيء عن الاخرى؛ كما انهما دخلتا بمنافسة حول مناطق النفوذ في بلاد الشام، وقداهتم متز بموضوع المقارنة بين هتين المنطقتين ففي صميم العادات والأخلاق اشار الى موضوع السجون، وبغض النظر عن موضوع ظلم العديد من الذين دخلوا السجن عن غير ذنب اقترفوه، لكن السجن هو واحد من العقوبات التي يفترض ان يعاقب بها المجرمين والذين يتسببون في ابداء الآخرين وارياك حياتهم الطبيعية، قارن متز بين السجن في بغداد أيام العباسيين، وفي القاهرة أيام الفاطميين، مشيراً إلى المصادر الاسلامية التي تناولتها، ففي بغداد كان الاهتمام بالسجن وتحديد بعض الاموال التي تُصرف على السجناء، وقد استقى متز من أبي يوسف رواية، قال فيها: "... وفي عهد هارون الرشيد رأى الفقهاء ان اهل الدعارة والفسق والتلصص، اذا أخذوا في شيء من الجنايات وحُبسوا، فلا بد ان تُجري عليهم الصدقات أو من بيت المال ما يقوتهم، وتُجري على كل منهم عشرة دراهم في الشهر، تُعطى له في يده، دفعا لظلم السجن لهم..."^(٣).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١/٨٧.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١/٨٧.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٩٥.

وجاء في نص آخر استقاؤه من الصابي تناول فيه القرن الثالث الهجري، فقال: "وقد جعل في ميزانية المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م) الف وخمسمائة دينار لنفقات السجون وثمان اقوات المحبوسين ومائهم وسائر شؤونهم"^(١).

وفي إشارة منه إلى السجون في مصر الفاطمية، وقد رجع فيها الى: الخطط المقرزية، فقال: "أما في مصر على عهد الفاطميين فكانت السجون تُضَمَّن، وكانت احب شيء إلى من يضمن امور الحكومة، وكانوا يتزايدون في ضمانها لكثرة ما يتحصل منها، وكان يؤخذ من كل مَنْ يُسَجَّن ستة دراهم بمجرد دخوله السجن ولو لم يقم به الا لحظة"^(٢).

لم تكن الاجراءات المتبعة من قبل الفاطميين تعسفية أو لا انسانية، بقدر ما يمكن بحسب رأينا عدّها اجراءات رادعة وتأديبية تقلل من ارتكاب جرم من شأنه ان يُدخِل فاعله السجن، وكذلك ما فعله العباسيون فهو من واجب الدولة، لأن السجن مؤسسة اصلاحية وتأهيلية لمن يدخله، حتى يتمكن من الرجوع مرة أخرى بعد قضاء محكوميته انساناً اجتماعياً صالحاً يمكنه الانصهار بالمجتمع مرة اخرى.

النصوص السابقة تؤكد اعتماد متز على أكثر من مصدر لتوضيح عادة اجتماعية معينة في بغداد وفي مصر.

وعند حديثه عن الحمامات واعدادها في كل من بغداد والقاهرة، فقد اعتمد متز على كتابي: تاريخ بغداد، والخطط المقرزية، ليعطي مقارنة عن اعداد الحمامات في كلا المكانين، فقال: "وكان في جانبي بغداد في النصف الاول من القرن الرابع عشرة الاف [حمام]"^(٣).

أما عن القاهرة فانه اشار لما ذكره المقرزي، فقال: "أما بمصر فلم تكن العناية بانتشار الحمامات كثيرة... وكانت حمامات القاهرة في عام ٦٨٥هـ/٢٨٦م ثمانين حماماً"^(٤).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٥/٢.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٦/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢١٨-٢١٩.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢١٩/٢.

وأعطى مقارنة بين بغداد والقاهرة أيام العباسيين والفاطميين، فيما يتعلق باتخاذ السرايين ملاذاً من قسوة الطقس، وقد رجع إلى قول المقرئ في خطه، والذي أعطى مقارنة بين المنطقتين، فقال: "... ان من محاسن مصر ان اهله لا يحتاجون في حر الصيف الدخول في جوف الأرض، كما يعانیه أهل بغداد"^(١).

ما تقدم في محتوى النص يوضح أن متر ساق مصدراً واحداً، وضح فيه عادة كانت سائدة في كل من بغداد والقاهرة، وكيف كان يتعامل اهالي المدينتين مع هذه العادة الاجتماعية.

ت- المقارنة بين الحوادث التاريخية في الدولة الاسلامية.

فيما تقدم من القول تناولنا فيه المقارنة بين بغداد والقاهرة؛ اما في هذه الفقرة سنتناول مناطق الدولة الاسلامية، خلا المقارنة بين بغداد والقاهرة؛ لذلك وحتى لا نغفل عن باقي اجزاء الدولة الاسلامية وجدنا ان نتناولها تحت هذا العنوان، وقد ظهرت المنهجية المقارنة في كتاب متر بعدة اماكن، ومنها ما اشار اليه عند تناوله موضوع العادات والاخلاق، لاسيما حديثه عن الخدم الخصيان الذين قال بأنهم في العصور الاسلامية الاولى كانوا ينظر اليهم باستخفاف واستهزاء وتشهير ويطلقون على واحدهم اسم: (الخصي)، الا انهم ويمرور الزمن سيما القرن الرابع الهجري فان تسمياتهم والقابهم اختلفت، مقارنة مع القرن الاول، فوصف متر هذه المقارنة بالنص الاتي: "وحوالي ٣٠٠هـ/٩١٢م اطلق على هؤلاء [الخصيان] التّعساء اسماء اقرب إلى الاحترام، فسمي الواحد منهم بال خادم، أو المعلم، أو الشيخ، أو الاستاذ، على حين كانوا في العصور الاولى يسمون بالخصيان، مع ما في ذلك من تشهير"^(٢).

وهذا يدل على ان هؤلاء الخصيان عندما شعروا بالنقص العضوي الذي تحوّل إلى انعكاس نفسي، عملوا على تعويض ذلك النقص، ونجح عدد منهم بالوصول إلى مراتب اجتماعية او ادارية أفضل.

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٥.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/١٥٤-١٥٥.

كذلك أعطى وجه مقارنة بين شرق الدولة ومغربها، وهو يتحدث عن الغواني والفحش والزنا، فقارن بين روايتي المقدسي وابن حوقل، فقال: "غير ان المقدسي يحكي لنا انه في مدينة السوس، قصبة خوزستان^(١)، ترى دور الزنا عند أبواب الجامع ظاهرة؛ هذا على حين ان ابن حوقل يقول انه ليس في بلدان المغرب من الفواحش الظاهرة وتعاطي الامور المنكرة والفسق الشنيع مثل ما في الشرق"^(٢).

وبذات الاطار أشار إلى موقف الشرع الاسلامي من ان العُزف كان يُنكر البغاء ويشجع على تعدد الزوجات، وانه قد وضع حدود للزنا كانت صادمة حدّ الموت، ملوحاً بأنه بعد هذا التشريع يفترض ان يكون ارتكاب هذا الإثم امراً شاذاً جداً، ثم ما لبث بعض امراء الدولة ان فرض ضريبة على الغواني والراقصات وبائعات الهوى في بلاد فارس، وعمل على ان يضمّن هذه الضريبة طلباً للمال، وقال بالمكان نفسه بأن الفاطميين عملوا بهذه الضريبة وفرضوا الرسوم على بيوت الفواحش، وساق رواية عن احدى نساء الأمراء^(٣) وقعت اسيرة بأيدي البويهيين، وفرض عليها مال، اما ان تؤديه أو تذهب إلى دار المويقات لتكسب المال فتؤديه اليهم^(٤).

وقارن متر بين ما كان عليه العربي في القرن الاول الهجري، إذ كان يعد العقوبة البدنية تحديش كرامته وتؤثر فيه ايما تأثير، اما في العصور اللاحقة، فقال: "اما في القرن الرابع فقد كانت العقوبة

(١) خوزستان: هي اسم لجميع بلاد الخوز، ليس بها جبال ولا رمال الا القليل. الحموي، معجم البلدان، ٤٠٤/٢-٤٠٥.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٩/٢.

(٣) المقصود بها جميلة الحمدانية: وهي بنت ناصر الدولة الحسن بن عبد الله الحمداني، صاحب الموصل، وكانت واحدة من شهيرات النساء في الكرم، والعقل، والجمال، لم تنزوج آنفه من تحكم الزوج فيها، ولما تغلب عضد الدولة البويهي على اخيها ابي تغلب امير الموصل سنة ٩٧٩هـ/٩٧٩م، فرّ ابو تغلب الى الرملة، واخته جميلة معه، فخرج عليهم امير طي دغفل بن مفرج، وكان يعتقد ان الحمدانيين تجاوزوا على اراضيه وانهم سيسيطرون عليها، فدخل بمعركة مع الحمدانيين وتمكن من قتل اخيها وحملها الى حلب ثم الى بغداد، واهداها الى عضد الدولة الذي رفضت جميلة الحمدانية بفترة سابقة الزواج منه عندما طلبها، فامر باعتقالها بحجرة، ثم شهِرَ فيها، وطلب منها اموالاً الا انها ليس معها فيقال انه امرها بالاختلاف الى بيوت المويقات لجني المال، فديرت لنفسها مكيدة فألقت بنفسها في دجلة وماتت غرقاً، ويقال انه هو الذي امر بإغراقها بعد ان رفضت طلبه. عن ترجمتها، ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦٩٩/٨؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٣٢٦/١١؛ الزركلي، الاعلام، ١٣٩/٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٨/٢.

البدنية لا تكاد تعتبر مزرية بالكرامة^(١)؛ وربما كان ذلك بسبب انتشارها واعتياد الناس على مشاهدتها وسماع اخبارها.

ث- مقارنة الحوادث فيما سبقها من العصور وما جاء بعدها.

كان من جملة المنهج المقارن الذي اشتغل عليه متز هو ذكر ما له علاقة من اختلاف وتشابه بين النصوص التاريخية التي ذكرها عن نهضة الإسلام والعصور السابقة له، أو التي تلتها، سواء في المنطقة الاسلامية، أو غيرها، ومن النماذج التي يمكن ان يستدل بها هو ما ذكره عن ظاهرة الخصاء، مشيراً إلى مدينة في الحبشة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، فقال: "ان مدينة هدية بالحبشة النصرانية هي التي كان يداوى بها الخصيان دون غيرها من بلاد الحبشة..."^(٢)، ثم تحدث عن صعيد مصر في اوائل القرن التاسع عشر الميلادي/الثالث عشر الهجري، فقال: "... على انه في اوائل القرن التاسع عشر كان في الصعيد بمصر ديران قبطين دخلهما الأساسي مصدره الخصاء، وكان هذا يعمل بنسبة كبيرة، حتى كان يكفي لتمويل مصر كلها وجزء من تركيا بالخصيان"^(٣).

ان النصين المذكورين آنفا مع الفارق الزمني المذكور فيهما، الا انهما مركّزان على ظاهرة الخصاء عند النصارى، وكيف كان يعول على مردودها المادي بين الماضي والحاضر.

وبعد ان تناول متز ما حصل اليه بعض ارباب الدولة وامراءها من الولوج بالغلتمان والميل اليهم كالخليفة الامين، الذي يراه متز بأنه خروج عما كان سائداً في عصور سابقة، فعمل متز على التصريح بما كانت عليه طبائع العرب السابقة لعصر الأمين والعصور التي تلتها، فقال: "ولم يكن

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٨١/٢.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٢/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٢/٢.

لهذا الولوع بالغلمان شأن طوال العصور التي كانت السيادة فيها للروح العربية؛ ولم يكن ثم ما يدعو الفقهاء الأولين إلى الكلام في ذلك^(١)...^(٢).

وعندما كان الشعر واحداً من أهم لغات التخاطب المسجوع، وكذلك القصص وال نوادر عند العرب، والتي جسدت روح ثقافة العصر الذي نتجت عنه، ففي هذا الصدد فإن متز انتهج المنهج المقارن بين لغة العرب وشعرهم وما يعبرون بواسطته عن مشاعرهم، والكلمات التي تداولوها في القرن الاول الهجري مع ما احتوته الفاظهم في الشعر والقصص وال نوادر، فأنها ملئى بألفاظ الفُحش والخلاعة والمجون، مقارنة مع القرن الاول، فقال بهذا الصدد: "... ولم يكن انفصال النساء عن الرجال في الحياة الاجتماعية وحده السبب فيما يلاحظ في كلام امم الجنوب من فُحش نفير منه؛ فأننا لو قارنا قصص العرب من عصرهم الاول ونواديرهم وكلامهم وشعرهم بما في القرنين الثالث والرابع للهجرة لأدهشنا ما نجده في هذين القرنين من ميل شديد إلى الفُحش في القول، وليس هذا أيضاً -شأنه شأن غيره- الا من اثر سيطرة العادات الشرقية غير العربية التي كانت قبل الاسلام، سيطرة عادت لها من جديد؛ ولا يزال البدوي إلى اليوم اعفُ واطهر من غيره..."^(٣).

ثم ينتقل للمقارنة بين شعر عدد من شعراء القرن الاول، مع شعراء القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، فقال: "وقد تسيطر على شعر الهجاء بنوع خاص من الالفاظ البذيئة المستمدة من المجون المتصل بالمسائل الجنسية؛ ولو نظرنا إلى الاشعار القديمة التي جمعها أبو تمام^(٤) في ديوان الحماسة وقارناها

(١) اختلف فقهاء المذاهب الاسلامية الاربعة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حول اللواط بعضهم جعل حده كحد الزنا وعقوبته الرجم والقتل، وغيرهم عد اللواط بالملوك جائزاً. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ١٨/٣؛ متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٩-١٦٠.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٩/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٥/٢-١٧٦.

(٤) أبو تمام: هو حبيب بن اوس الطائي، له شعر كثير، ومؤلفات منها كتاب: الحماسة، والاختيارات من شعر الشعراء، والاختيارات من شعر القبائل، توفي في الموصل سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م. ابن النديم، الفهرست، ١٩٠؛ السمعاني، الانساب، ٣٦/٤.

بشعر البحتري^(١) -الذي كان من اتباع طريقة القدماء- لوجدناها اشدَّ عفةً وطهارةً، أما ابن المعتز^(٢)، وهو الامير العباسي الشاعر (المتوفى عام ٢٦٩هـ/٩٠٩م) فانه اجاب على حبيب له في ظهر كتابه، وهو يبيِّن سبب ذلك، فيقول^(٣):

واجبت في ظهر الكتاب اذ أتى ليلوط خطي في الكتاب بخطه

واستكمالاً لما بدأه متز من مقارنة بين القرن الاول والقرنين الثالث والرابع، فانه يبين ان الفحش والمجون قد طغى على شعراء القرنين المذكورين وامتألت قصائدهم ورسائلهم بالألفاظ الفاحشة وسُخف الكلام الماجن^(٤).

وعلق آدم متز على عادة من العادات التي كانت سائدة في سجون بغداد، إذ كان من يحكم عليه في السجن مدة من الزمن فانه يتعلم المهارات اليدوية ليتكسب منها، ومن هذه المهارات التي اعتاد المسجونين القيام بها هي: (صناعة التِّكك)، وقد مرَّ بنا الكلام عنها، والتي عندما ذكرها متز علق عليها بأنها لا تزال يعمل بها إلى العصر الذي عاشه متز^(٥)، فقال: "... وكثيراً ما نجد الاخبار بأن المسجونين كانوا يشتغلون بعمل التِّكك، وهي لا تزال إلى اليوم^(٦)، اجمل ما يصنع ببغداد"^(٧).

(١) البحتري: هو الوليد بن عباد الشاعر المعروف، له كتب منها: حماسة ابو تمام، وكتاب: معاني الشعر، توفي في منبج سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م. ابن النديم، الفهرست، ١٩٠؛ السمعاني، الانساب، ٢٨٩/١-٢٩٠.

(٢) ابن المعتز: هو عبد الله بن الخليفة العباسي المعتز، عين خليفة بعد خلع المقتدر بالله، سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، ولقب نفسه بالمنصف بالله. القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ١٣. لكن ابن المعتز لم يدم حكمه سوى يوم وليلة اذ تمكن اصحاب المقتدر من قتله وارجاع المقتدر مرة اخرى الى الخلافة. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٧٦/٣ ترجمة رقم ٣٤١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢.

(٤) للمزيد من التفاصيل بهذا الخصوص ينظر: متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢-١٧٧.

(٥) وانا اقول ان العصر المعاش الحالي يعمل السجناء بالمهارات اليدوية فمن الخيوط يحكون امدسة والياف لغسل الاجسام، ويتقنون بمهارات الرسم وغيرها.

(٦) المقصود هنا العصر الذي كان يعيش فيه آدم متز مؤلف الكتاب.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٦/٢.

غاص متز بمظاهر الابهة العمرانية والبذخ فيها، مشيراً إلى كل ما هو لافت للنظر، ومن هذه الجوانب التي تناولها هو حديثه عن البُرك والعيون المائية الاصطناعية في مصر بقصر خمارويه^(١)، وقارن بين هذه البُرك الاصطناعية، وبين ما كان مستعملاً منها في قصور المصريين القدامى، فقال: "... وجعل [خمارويه] بين النحاس واجسام النخل مزاريب الرصاص، واجرى فيها الماء المدبّر، فكان يخرج من تضاعيف قوائم النخل عيون الماء وتنحدر إلى مسافة معمولة، ويفيض منها الماء إلى مجارٍ تسقي سائر البستان، وبنى فيه بُرجاً من خشب الساج، فكانت هذه الفوارات والبُرك والعيون المائية الصناعية -على طريقة المصريين القدماء في عمل البساتين- إلى جانب ابراج الخشب، مما يزيد البستان جمالاً"^(٢).

ومما تجدر الإشارة اليه هو تعليق متز في هامش الصفحة^(٣) على النص المتقدم وكانت علامة الهامش فوق كلمة: (خشب الساج)، وعلّق بما نصه: "هذا ضرب من الذوق الشرقي القديم، وكان ملوك الفرس من قبل يجلسون إلى الناس تحت اشجار قد كُسيّت أجسامها بالفضة".

وقارن متز بين العصر الاسلامي وبين العصر الحديث الذي عاشه، فقال: "ويذكر لنا الرحالة فون فيريدي V.Wrede انه شاهد بحضرموت حاكياً هزلياً يقلد اعمال الترك والبحريين بل الاعراب، ويحدثنا سخاو Sachau في العصر الحديث عن رجل كهذا"^(٤).

ج- المقارنة بين الحضارة الاسلامية والحضارات المجاورة لها.

تكررت عند متز منهجية المقارنة بين الحضارة الرومانية والبيزنطية من جهة، والحضارة الاسلامية من جهة أخرى، فقد اشار إلى الكثير من العادات والأخلاق في الدولة الإسلامية، ثم عمل على المقارنة بما يتعلق بهذه العادات والاخلاق مع الحضارة الرومانية القديمة والحضارة البيزنطية،

(١) خمارويه: هو ابو الجيوش بن احمد بن طولون، تولى حكم مصر بعد وفاة والده، وله من العمر ٢٠ عاماً، في ايام الخليفة المعتمد العباسي، كان ذلك سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م، وبقي حتى وفاته سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م. وله من العمر ثلاثون

عاماً. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/ ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/ ٢١٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/ ٢١٢ هامش(٢).

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/ ٢٦١.

وفيما يلي نماذج على سبيل المثال والاثبات، لا على سبيل الحصر، فعند تناوله للأخلاق والعادات التي كانت سائدة في قصور الاسياد والكبراء في الدولة الاسلامية، فإنه قرن وجود الخصيان من العبيد والخدم، والزام تهيئتها لهم، فقال بهذا الخصوص: "استلذمت العادة في بيوت السادة والكبراء عند الدول الشرقية القديمة وفي الدولة الرومانية والبيزنطية ان تهيأ هذه البيوت بالخصيان"^(١).

وعند حديث متز عن السراييب واكتشافها وكيف انها اصبحت عادة معمول فيها، فانه ارجعها إلى بلاد اسيا معتمداً في ذلك على ما قاله الرحالة الصيني وانج تي Wang Yen Te فقال: "ويرجع اصل هذه العادة -عادة اتقاء الحر الشديد بالنزول في السراييب- إلى بلاد آسيا الوسطى يحكى لنا الرحالة وانج ين تي Wang Yan te في عام ١٩٨١م ان بعض اهل تلك البلاد يسكنون في الصيف مساكن تحت الارض"^(٢).

ثم عمل مترع على اعطاء مقارنة بخصوص المدن الاسلامية التي تتبّع هذه العادة، فقال: "اما في بلاد الاسلام لذلك العهد فقد كانت مدينة زرنج^(٣) اكبر مدن سجستان^(٤)، ومدينة ارجان^(٥)، بفارس اول مدينتين اتخذ اهلهما في الصيف سراييب تحت الارض يجري فيها الماء"^(٦).

وعندما تناول موضوع التكيف للجوّ وطرقه، فانه اعطى مقارنة بين الطرق والوسائل التي استخدمها اكاسرة الفرس، وبين ما يعمل به في الدولة الاسلامية ليصبح عادة متبّعة من العادات الاجتماعية، فقال: "وكانت عادة الاكاسرة ان يُطِين سقّف بيت [اي احد بيوته] في كل يوم صائف، فتكون قيلولة الملك فيه..."^(٧).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥١/٢.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٤/٢.

(٣) زرنج: هي قصبه سجستان، وسجستان اسم الكورة كلها. الحموي، معجم البلدان، ١٣٨/٣.

(٤) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة، واسم مدينتها زرنج، بينها وبين هراة عشرة ايام، وتقع في الإقليم الثالث، ارضها سنجة ورمالها حارة، فيها نخيل، ولا يقع فيها ثلج. الحموي، معجم البلدان، ١٩٠/٣.

(٥) ارجان: عامة العجم يسمونها ارغام، وكورة ارغان بعضها إلى اصبهان وبعضها إلى اصطخر، وبعضها إلى رام هرمز، فأصبحت كورة واحدة ايام الاسلام تقع في بلاد فارس. الحموي، معجم البلدان، ١٤٢/١-١٤٣.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٤/٢.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٥/٢.

واستدرك مقارناً مع العصر العباسي فقال: "ولكن في عهد المنصور العباسي [١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م] اتخذت طريقة اخرى للتبريد، فكانوا ينصبون الخيش^(١) الغليظ ولا يزالون يبلّونه بالماء، فيبرد الجو، وكان الخيش ينصب على قُبّة، ثم اتّخذت بعدها الشرائح فاتخذها الناس"^(٢).

وقد أجرى متز مقارنة بين قصور الخليفة المقتدر التي كانت تحيطها البساتين، وكيف ان قصور مدينة روما في ايام الإمبراطور اوغسطس Augustus عملت بهذه العادة، وهي على الطريقة المصرية فقال: "وقد ظهرت بمدينة رومه في عصر اوغسطس Augustus عادة إنشاء البساتين على الطريقة المسماة بالمصرية؛ وهي في العصر القديم تشبه على وجه التقريب ما صار يعرف فيما بعد بالبساتين الانجليزية..."^(٣).

وبذات المضمار الذي تحدث فيه عن القصور عند خلفاء العباسيين، وما اوجدت فيه من عجائب تبهر الانظار، فإنه اشار إلى قصر الشجرة، وما كان يحوي من غرائب التصاميم المعمارية، والمعادن التي صنعت منها الاسطوانات والبرك، فانه اشار إلى قصر الإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية، وما كان يحويه من تحف نفيسة وتصاميم بناء غريبة، وسباع مذهبة تحفّ العرش الإمبراطوري، وكيف كانت تزار وتضرب الارض بأذناها^(٤).

وعند حديثه عن الحمامات، وكيف ان المسلمين اعتنوا بها عناية خاصّة، وكيف استعملوا الحمامات الساخنة وشيّدوها، فإنه أشار إلى مقارنة مع الفرس، الذين يبدو من قوله انهم تأثروا بالفكرة الإسلامية للحمامات، التي يرى انها بالأصل يونانية ورومانية، فقال: "اما الحمامات الساخنة فنجد عناية المسلمين بها وتشبيدهم الكثير منها ميراثاً من أحسن ما أخذ عن اليونان والرومان، ولم يكن اتخاذ الحمامات العامة من مظاهر الحياة في الشرق القديم، حتى انه ليحكى عن بلاش ملك

(١) الخيش: ثياب من اردأ الكتان. الجوهري، الصحاح، ٣/١٠٠٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٦/٣٠١.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٥.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١١.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٥.

الفرس (عام ٤٨٤م-٤٨٨م) انه لما أمر بإنشاء الحمامات للناس في مدن مملكته جلب على نفسه سخط الكهنة؛ لأنهم رأوا في ذلك انتهاكاً لحرمة الدين، ولما جاء قبّاذ بعد ذلك واستولى على مدينة آمد^(١)، ودخل أحد حماماتها العامة سُرَّ به كثيراً، وأمر ان يُبني حمام مثله في كل مدينة من مدن فارس، ويذكر الطبري وهو من مؤرخي العرب المتقدمين، ان الفرس لم يكن لهم قبل الإسلام حمامات^(٢). ولا يمكن الاخذ بشكل مطلق برواية الطبري، لاسيما اذ كانت روايته مرسله بلا سند تاريخي، حيث ان الفرس كانت لهم حضارة معروفة في دولة كبيرة هي الدولة الساسانية، وبالتالي فان رواية منز هي الاخرى لا يمكن الاعتداد بها ايضا.

أما ما يتعلق بالملبس فقد كان من اكثر المظاهر الاجتماعية تأثراً بالناس، فعندما تمكنت الدولة الاسلامية من مدّ نفوذها شرقاً وغرباً، فأنها تفاعلت مع تلك المناطق فأثرت فيها كثيراً، لكنها هي الأخرى تأثرت ايضا بعادات واخلاقيات تلك الامم، سيما منطقة المشرق الإسلامي، وبعد مدّة يسيرة من قيام الخلافة العباسية فقد بدت العادات المشرقية واضحة في المجتمع الإسلامي، حتى ظهر التأثير جلياً في القرن الرابع الهجري، سيما ما يتعلق بالملابس، وقد اولى متز اهتماماً بهذا الجانب من خلال تركيزه عليه، إذ انه عند حديثه عن الطيلسان - هو لباس على الراس - فقد اعطى مقارنة تتعلق بطول وقصر الطيلسانات التي لبست، حتى اصبحت عرفاً وعادة معمول فيها بالدولة الاسلامية، فقال: "وكانت القلائس والمناطق [مفرداً نطاق] في نظر العرب الجاهليين من لباس الفرس... ان المعتصم اعاد لبس القلائس تشبيهاً بملوك الاعاجم، فلبسها الناس اقتداءً بفعله وسميت المعتصميات..."^(٣).

وقارن بين ألوان الخفاف^(٤)، وكيف ان اللون الاحمر كان لباس غير مرغوب فيه عند المسلمين، الا انه اعطى مقارنة بهذا الخصوص مع قياصرة الروم واولياء عهدهم، فقال: "وكان لبس الخفاف الحُمر معيباً وان كان قد لبسها قيصر الروم وعامة المسلمين؛ وكان ولي العهد عند الروم

(١) آمد: هي اكبر مدن ديار بكر واعظمها، تقع في الاقليم الخامس. الحموي، معجم البلدان، ١/٥٦.

(٢) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٨.

(٣) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٠ هامش (١).

(٤) الخفاف: مفرداً خَفَّ.

البيزنطيين^(١) يلبس خُفاً احمر وخُفاً اسود، كما كان يلبس ذلك اهل البلاد من المتظرّفين والمتخنّثين الجهّال^(٢).

وعند حديثه عن أهل الذمة، وما يسمح لهم ان يركبوا من الحيوانات وما منعوا عنه، فقال^(٣): "... وفي عام ٢٣٩هـ/٨٥٣م امر المتوكل ان يقتصر أهل الذمة في مراكبهم على البغال والخمر^(٤)، دون الخيل والبرذون^(٥)"، علق على هذا القول في الهامش بعد ان ثبت مصادره، عاقداً مقارنة، موضحاً فيها الكيفية التي تعامل بها المسيحيون مع اليهود، فقال: "... ويحكي بنيامين...^(٦) ان اليهود كانوا يُمنعون في القرن الثاني عشر الميلادي من ركوب الخيل في القسطنطينية^(٧)".

وهذا يؤكد ان الموقف التشريعي مصدره واحد في كل ديانات التوحيد، الا ان الاختلاف كان في التطبيق وصحته.

اما الطبخ في الدولة الاسلامية، فقد تناوله متز وبين ان الذين صنّفوا في هذا الفن كُثُر، فمنهم من كان يجالس الخلفاء، مثل: أبي الحسن علي بن هارون المعروف بالمنجم^(٨)، وكذلك أحد الامراء

(١) هكذا في النص.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٢٤.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١/٨٥.

(٤) يقصد: الحمير.

(٥) البرذون: نوع من الخيول غير الاصيلية؛ ويكون احد ابويه او كلاهما غير عربي. ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٢/٨٦. للتعرف على انواع الخيول، اصيلها وهجينها، صفاتها، انسائها، حلبات سباقها. ينظر: ابن الكلبي، نسب الخيل في الجاهلية والاسلام؛ الاصمعي، الخيل؛ الصالحي التاجي، الحلبية في اسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام؛ البلقيني، قطر السيل في امر الخيل؛ السيوطي، جرّ الذيل في علم الخيل؛ المكي، فوائد النيل بفضائل الخيل.

(٦) وضع هنا رقم صفحة كتاب بنيامين التي اخذ منها.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ١/٨٥ هامش (٢).

(٨) أبو الحسن علي بن هارون المنجم: هو علي بن هارون بن يحيى بن ابي منصور كنيته ابو الحسن، ولد سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م، له كتب عدّة مثل كتاب النوروز وكتاب الرد على الخليل في العروض، وغيرها، توفي سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥/٧٧؛ المعجم الادباء، ١٥/١١٢.

المعنيين وهو ابراهيم بن المهدي، والشاعر المعروف ب: جحظة^(١)، والمؤرخ الشهير ابن مسكويه، الا انه تأسف على فقدان تلك الكتب فقال: "... ولكن يظهر ان جميع الكتب ضاعت مع الاسف، وكتب الطبيخ التي وصلت الينا كلها حديثة بالعهد..."^(٢)، وقد عقد مقارنة بين وصفات الطبخ في الكتب الحديثة عهدا وما كان يطبخه الايطاليون، فقال: "... وكُتِبَ الطبخ التي وصلت الينا كلها حديثة بالعهد، وهي تشتمل على ضروب من الطبخ وهي مزيج مروع... كما كان إلى ذلك يميل الايطاليون في عصر النهضة"^(٣).

وعند تناوله لموضوع الفحش والبغاء، فانه عمل على المقارنة بين ما كان موجوداً في الدولة الاسلامية، وما كان في الصين، وقد تناول موقف الشرع الاسلامي والعقوبة التي حددها بحق الزاني والزانية وان يرجمتا حتى الموت، مبيّناً تشديد الشرع من جانب آخر في الاحتياط بتهمة الزنا واثباتها، إلى الدرجة التي من الصعب معها اثبات هذه التهمة^(٤)، وبعد هذا الحديث انتقل متر إلى قول لأحد الرحالة المسلمين حدود سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، وهو يصف حال البغاء والزواني في الصين، وان لهن ديوان خاص بهن يسمى ب: (ديوان الزواني)، وعليهن ضريبة تؤدي لبيت المال كل سنة^(٥).

وبالسياق ذاته تحدث عن قيام عضد الدولة البويهى بفرض رسوم ضريبية على الراقصات والغواني والزواني في منطقة المشرق الاسلامي، طلباً للمال، وقام بتضمين هذه الضريبة، وقد مرّ بنا هذا سابقاً، ثم قارن ما كان يحدث في الهند، فقال: "يقول البيروني بعد حكاية ما كان عليه ملوك الهند من فرض الضريبة على المغنيات والراقصات طلباً للمال وهكذا كان عضد الدولة..."^(٦).

(١) جحظة الشاعر: هو احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أبو الحسن النديم المعروف ب: جحظة الشاعر الاديب والاحباري، صاحب فنون ونوادر، يجيد الغناء، له اشعار بفنون عدة. الحموي، معجم الادباء، ٢/٢٤١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦/١٧٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/٢٠٩.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٦.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٦.

(٤) تثبت تهمة الزنا اذا شهد اربعة شهود بانهم رأوا العين انه يدخل بها كدخول الميل بالمكحلة.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/١٦٧-١٦٨.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/١٦٨.

تحدّث متز عن تأثير الإسلام في اسبانيا الاسلامية (الأندلس)، وذكر بأن ثقافة سادت هناك، وهي عدم خروج النساء من البيوت، سيما نساء الكبراء والامراء والاشراف في اسبانيا، ثم ذكر ان هذا التأثير انتقل إلى ايطاليا، فقال: "وبتأثير الاسبان كانت لا ترى المرأة قط في شوارع ايطاليا حوالي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي"⁽¹⁾.

مما تقدم من النصوص يتضح ان متز اعتمد المنهج المقارن بين الحضارة الاسلامية عندما وصلت ذروة مجدها، مع الحضارة الغربية التي تزعمت العالم قبل الاسلام، ومع اوربا في عصورها المختلفة على اعتبار ان اوربا في عصري النهضة والانوار ارتقت لتتجه صوب زعامة العالم بعنوان الحضارة الاوربية، اذن انتهج متز المقارنة بين حضارات تمكنت كل واحدة منها سيادة العالم في حقبة من الحقب التاريخية.

5. المنهج الوصفي.

يعد المنهج الوصفي واحداً من منهجيات البحث التاريخي، ويرتكز على وصف الحوادث بصيغ مختلفة، تارة وصف دقيق بجزيئات تفصيلية، وأخرى وصف مختصر وبسيط، وكان هذا طاغياً على عدد من صفحات كتاب متز، ونتناول نماذج منها نحاول من خلالها ان نثبت بأن متز اعتمد هذا النهج، ومن هذه الامثلة هي: وصف متز صفات الخصيان من الخدم، وكان الوصف بمنتهى الدقة متناولاً صفاتهم الجسمانية، وكيف تتغير من صفات طبيعية إلى صفات متحولة، كمناطق نمو الشعر في الجسم أو المناطق التي ينجرد منها الشعر، بعد التعرض للخصاء، ثم صفاتهم الانفعالية المزاجية والنفسية، من سرعة الغضب وسرعة البكاء من جهة، وسرعة الاسترضاء من جهة أخرى، كذلك صفاتهم الوظيفية مثل حبهم للأعمال المنزلية كالرش والكنس والمسح، والرغبة في مشاهدة مهارشة الديكة ونطاح الكباش، وغيرها من الاوصاف التي وصفها متز في كتابه⁽²⁾.

وفي اطار تناوله احوال المعيشة تحدّث عن الجانب العمراني الخططي لمدينة سامراء، واصفاً بيوتها وطراز البناء الذي شيّدت فيه، وكيف كانت الشوارع والدروب والدهاليز المسقوفة، ومن الدهاليز يفضى إلى صحن واسع، زواياه قائمة، واصفاً ابعاده وطواله، والقاعة الكبرى التي تكاد تكون موجودة

(1) متز، الحضارة الاسلامية، 2/170.

(2) متز، الحضارة الاسلامية، 2/104-109.

في اغلب البيوت، ويصف الغرف المطلّة على صحن الدار والتي تمتاز بصغرهما، ثم يصف المرافق المنزلية والطارمات ذات منافذ تهوية، وربما يصل عدد غرف الدار الواحدة الستين غرفة، فيها شبابيك مزججة بالواح متنوعة الالوان، ويستمر بوصف تلك الدور وطرز بنائها وباحاتها^(١).

وعند تناوله وسائل التكيف في بيوت وقصور الامراء، يصف الكيفية التي كانت بواسطتها تكيف تلك القصور من خلال وضع الخيش الغليظ المبلول بالماء لتبريد الجو، ثم يصف طريقة عمل مروحة شراع، يشبه شراع السفينة يُحرّك بعد ربطه بسقف الغرفة، ولّه بماء الورد ليبعث رائحة طيبة^(٢).

ووصف الكيفية والطريقة التي يبني فيها البناء على الطراز الحيري الذي استخدمه المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)^(٣)، كما وصف سقوف بعض بيوت اليمنيين الرخامية الصافية بوصف مذهل، إلى الدرجة التي من الممكن ان يُرى ظل الطائر الذي يمر فوق سطح البيت، كذلك لو ازيل الستر عن النوافذ لما اختلف ضوء البيت^(٤)، ووصف قصور دار الخلافة وأزقتها وبيساتينها واسواقها، وقصر الشجرة ببغداد، ووصف قصور الامراء الطولونيين^(٥) والاخشديين، والبُرك الزئبقية الجميلة او المطلية بالرخام، والزاهية الالوان^(٦).

اما الدعوات والولائم ومجالس السهر واللهو فقد كان لها حضوراً في كتاب متر، إذ استخدم المنهج الوصفي في اكثر من مكان، واصفاً تلك المجالس وما يدور فيها بتفاصيل دقيقة، من طريقة الجلوس إلى تقديم الاطباق وفي كل طبق سكين لقطع الفاكهة، والطبق

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٣-٢٠٤.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٥-٢٠٦.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٧.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٧.

(٥) الدولة الطولونية: هي دولة قامت في مصر ايام الخلافة العباسية، اسسها احمد بن طولون اول امراءها، وانتهت بحكم اخر امراءها وهو ابو المناقب شيبان بن احمد، واستغرق حكمها المدة التاريخية: (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٤م).

زامبور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، ١/١٤٣.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٩، ٢١٣-٢١٧.

الكبير الرئيسي الذي يحوي اصناف من الفاكهة الموجودة، ويصف كل دقائق تلك المائدة وما يدور حولها^(١).

وفي ذات الموضوع وصف منز بكلام تفصيلي عن ما يُكره اكله مما موجود على المائدة، وما يكره فعله والقيام به، فلا يؤكل الاكل بلقْم كبيرة ولا بشراهة ونَهْم، وان يؤكل الرقيق من المائدة وما يتوسطها، وعدم اكل العَضَل والعَصَب والعِرْق والكِلوة والكِرش والطِحال والرِئَة، وان لا يُحتسى المرق احتساءً، والابتعاد عن اماكن الدَسَم، ويبدأ بتعديد النواهي التي يفضل الابتعاد عنها بكلام تطول اسطره^(٢).

وبعد الحديث الوصفي للمائدة تناول الشراب المسكر وما يعمله ذلك الشراب بعقل شاربه، ووصف الافعال التي يمارسها بعض من تأخذ الخمرة في راسه مأخذها، إلى درجة فقدان عقله، وقيامه بتصرفات شبه مجنونة كالانفعال الكبير الذي يصل به حدّ تمزيق الثياب، وضرب رأسه بقوة بحائط، ومنهم من يمرغ راسه وجسمه بالتراب، وبعضهم من يزداد هيجانه فيعضّ أصابعه ويأكلها تمزيقاً ويفحص برجليه بالأرض، وكذلك لطم الوجه بكل قوة بضربات سريعة قوية ومؤلمة، وغيرها من الافعال القبيحة التي تتمّ عن قبح عمل السكر، وقبح فعلٍ بعد السكر^(٣).

وأورد منز كلام عن مآدبة حضرها الشاعر المعروف المتنبي، وكيف كان اولئك الشعراء يرتجلون شعرهم، فقال واصفاً مآدبتهم، بقوله: "وكان الادباء من له ملكة شعرية ومن ليس له- يرتجلون القصائد القصيرة في وصف الزهر وآنية الشراب الجميلة والمغنين والمغنيات والسما، ويحكى انه أحضرت في مجلس لأصحاب الشاعر الكبير ابي الطيب [المتنبي] صورة دُمية، تدور حول نفسها، وقد رفعت احد ساقيها، وامسكت بيديها باقة زهر، فكانت كلما دارت وجهها نحو احدهم شرب على ذلك، ثم دفعها لتدور، وكان المتنبي كلما جاء دوره يقول فيها بعض الشعر"^(٤).

(١) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٠-٢٣١.

(٢) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٤-٢٣٦.

(٣) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٥.

(٤) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٧.

ووصف المستشرق باكثر من صفحتين، حكاية لأربعة كتّاب قصدوا مصر في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكيف التقوا بشاب قام باستضافتهم في بيته، وما حدث من مجالس طرب وغناء وخمر وسكر ومجون وبذخ وجواري خليعات، ويصف الحوادث بدقة وتفصيل غير غافل لأصغر الامور ودقائقها، وما كان يقوم به صاحب الدار من بذخ واسراف ومجون، من خلال تقديم ادوات الفسق والخلاعة والدعارة لهم في بيته^(١).

وليس بعيداً عن الموائد واللهو والخلاعة، فأن متز تناول لعبتي الشطرنج^(٢)، والنرد^(٣)، وقد وصف الشطرنج وآلاته ولاعبيه وكيفية جلوسهم والجو الذي يفضل ان يلعبون فيه، وزاد على ذلك اوصاف لعبة النرد ذاكراً وصف الرقعة ومنازلها التي عددها ١٤ منزلاً أو ٢٤ منزلاً، وعدد احجارها ٣٠ حجراً وفصين، ثم يصف كيفية اللعب بكل مراحلها وسبب تسميات كل منزل من هذه المنازل، وتعليقه للألوان الموجودة بتفاصيل دقيقة^(٤).

كما انتهج ذات المنهج عند حديثه عن لعبة الصولجان^(٥)، وميادينها ومراحل اللعب وكيفية استخدام المضرب، وعند نهاية اللعب يدخل اللاعبون حمامات ساخنة يرافقها تدليك لتنشيط اجسادهم

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٤٩٩-٢٥١.

(٢) الشطرنج: لفظ فارسي معرب، وكسر الشين فيه. ابن منظور، لسان العرب، ٢/٣٠٨. وهو لعبة تلعب على رقعة ذات اربع وستين مربعاً مثل دولتين متحاربتين باثنتين وثلاثين قطعة تمثل الملكين والوزيرين والخيالة والقلاع والفيلة والجنود. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ٢٦٣.

(٣) النرد: هو الكعب الذي يلعب فيه. الفراهيدي، كتاب العين، ٨/٢٢. والنرد لفظ اعجمي معرب ويشير بمعنى الحلو. ابن منظور، لسان العرب، ٣/٤٢١. وضع النرد اردشير بن بابك؛ لهذا يقال له: النردشير. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١/٣٤١. وقال قلعجي: "النرد: بفتح فسكون لفظ معرب: لعبة تعتمد على الحظ، ذات صندوق وحجارة وزهرين وينتقل فيها الحجارة حسبما ياتي به الزهرين، وتعرف اليوم بـ: (الطاولة). Game at dice" معجم لغة الفقهاء، ٤٧٧.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٢-٢٥٣.

(٥) لعبة الصولجان: وهي لعبة عرفت باسماء عدة، منها: الصوالجة والصولجان والطشخان والجوكان. القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الاميرية، ٥/٤٥٨. للمزيد في التفاصيل عن هذه اللعبة. ينظر: الشمري، مظاهر البذخ والتترف عند الخلفاء والامراء، ١٥٠.

واستعادة قوتها^(١).

ووصف ملاهي القاهرة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ذاكراً اعداد الملاهي وأماكنها، فقال: "مصايد الغزلان بجانب الأهرام، ومواخير الجيزة وجسرهما، وبساتين القسّ وملعب دير مرحنًا^(٢)، وأحسنها كلها دَيْر القعير، وكان على جبل المقطم، وكان له منظر جميل..."^(٣).

ولابد من القول ان ما ذكر ما هو الأ نماذج لأمثلة كثيرة استخدم فيها متر المنهج الوصفي، وبصفحات عدة من كتابه^(٤).

٦. منهجية التنوع في المصادر المعتمدة:

١- الموارد التي اشار اليها متر في متن الكتاب.

اعتمد متر الكثير من الموارد التي ذكرها في هوامش كتابه، وكانت بحق موارد اساسية مهمة، والمقياس في اختيارها هو علاقتها الرئيسة بالموضوع الذي يعالجه، وكان ضمن المنهجية التي اشتغل فيها متر، ذكره للعديد من الموارد في متن كتابه بإشارات إلى اسم الكتاب مرة، وأخرى اسم الكتاب مقرون مع اسم شهرة المؤلف، وثالثة اشار لاسم شهرة المؤلف فقط، وفيما يأتي نماذج لما ذكره متر من موارد في متن كتابه فقط دون الهامش، ويمكن تقسيم هذه الموارد إلى أقسام بحسب العلم الذي تنتمي اليه، وندرجها مرتبة تنازلياً بحسب حروف المعجم.

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٦.

(٢) دَيْر مرحنًا: هو دَيْر في مصر على شاطئ بركة الحبش، بينه وبين الفسطاط، قريب من النيل، الى جانبه بساتين ومجلس على عمد من الرخام، ويقرب الدَيْر بئر تعرف ببئر ماتي عليها شجرة يجتمع عندها الناس ويتزهدون عندها، وهو نزه سيما اذا زاد منسوب النيل وامتلأت البركة فانه يصبح احسن منتزه في مصر. الحموي، معجم البلدان، ٢/٥٣٥.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٧.

(٤) ينظر: متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٨-٢٩٥.

أ - كتب الادب واللغة.

سجّلت هذه المصادر حضوراً متميزاً في متون صفحات الكتاب قيد الدراسة، وكان لكتب الأدب سيما الدواوين منها الاثر الفاعل في رقد المعلومات التاريخية عند متز، وفي مقدمتها ما له علاقة بالجوانب الاجتماعية التي تصدّرتها الاخلاق والعادات ومستوى المعيشة.

احتلت الدواوين الشعرية الصدارة في الاحالات اليها، ومن أهم الدواوين التي اعتمدها متز هي: (ديوان ابن المعتز)، فقد ذكره في متن كتابه عدة مرات، وبصيغ مختلفة، منها: (يقول ابن المعتز)^(١)، وبإحالة إلى الشاعر: (المتبّي) عن ديوانه، قال: "على انه يحكى عن المتبّي الشاعر الكبير... انه هجر الخمر، وعزم على الا يشرب الا ما يشربه الكرم، يعني الماء..."^(٢)، وأشار إلى: (ديوان الهمذاني)^(٣)، وأخذ ايضاً عن: (ديوان الشريف الرضي)^(٤).

وأحال إلى اسماء شعراء استقى ابياتهم الشعرية لكن لم يُحيل القارئ إلى دواوينهم بل إلى كتب أدبية اخرى، فإشار الى: (أبي نؤاس)^(٥)، وذكر: (لأبي دلامة) ابياتاً شعرية بحضرة المنصور العباسي^(٦)، والشاعر: (البحرّي)^(٧)، والشاعر المشهور بـ: (الخبز أرزي)^(٨)، وهي تسمية نسبة الى المهنة التي يمتنهنها^(٩)، وأحال إلى الشاعر

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٧٧، ٢٩٩.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٤١/٢. ينظر أيضاً: ٢٤٧.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٨/٢.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٥/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥١/٢، ٢٣٧، ٢٤١ - ٢٤٢.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩/٢ - ٢٢٠.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٤/٢.

(٨) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦١/٢.

(٩) نصر بن احمد الخبزاري: هو ابو القاسم نصر بن احمد بن نصر بن مامون البصري المعروف بـ: الخبزاري، وكان امياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يخبز الارز بمريد البصرة وينشد الشعر في دكانه، ويزدحم عليه الناس، وله مع =

: (كشاجم)^(١)، والشاعر: (الصنوبري)^(٢)، والشاعر: (ابي فراس الحمداني)^(٣)، كذلك الشاعر: (أبو اسحاق الصابي)^(٤)، وأحال إلى الشاعر: (الصاحب بن عباد)، بأبيات شعرية له^(٥)، والشاعر: (السلامي)^(٦)، واقتطف أبيات للشاعر: (أبو العلاء المعري)^(٧)، وكذلك الشاعر: (ابن بسام)^(٨)، واخذ ايضا عن الشاعر: (عبدان الاصفهاني)^(٩).

وأشار إلى شعراء دون ذكر اسمهم الصريح، بل ذكرهم بالتلويح دون الاسم، وكانت احوالاته اليهم بالصيغ الآتية: (ويحكى أحد الشعراء)^(١٠)، أو بالصياغة التالية: (كما قال بعضهم)^(١١)، ويذكر أبيات شعرية، كذلك وردت بالاتي: (واستجيد قول بعض)^(١٢)، وبهذه العبارة: (ومن المأثور قول بعضهم)^(١٣)، وجاءت بهذه الصيغة أيضاً: (وقال الشاعر)^(١٤)، ووردت بهذا النص: (ومن ذلك قال أحد الشعراء)^(١٥).

=الخطيب البغدادي مجالس ادب، توفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٧٦-٣٨٣ ترجمة رقم

(٧٦٠)؛ السمعاني، الانساب، ٣١٩/٢.

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١٣/٢، ٢٣٢.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٦/٢، ٢٤٣.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٠/٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٤٨/٢، ٢٩٠.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٧/٢.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٤٣/٢.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٣/٢ - ١٧٤.

(٨) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٢/٢.

(٩) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٤٣/٢.

(١٠) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٧/٢.

(١١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٣٣/٢.

(١٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٣٤/٢.

(١٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٣٤/٢.

(١٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٣٤/٢.

(١٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٤٢/٢.

ومن كتب الأدب التي أشار إليها مترز هي كتب: (الجاحظ) الذي ورد اسمه بأماكن عدة^(١)، وكتاب: (العقد الفريد)، لإبن عبد ربه الاندلسي^(٢)، أما كتب اللغة العربية ومعاجمها فقد أشار لاثنتين منها هما: كتاب: (الزمخشري)^(٣)، وأشار إلى: (صاحح الجوهري)^(٤)، وكان للحكايات والقصص حضوراً في كتاب مترز، مثل: (حكاية أبو القاسم البغدادي)^(٥)، الذي قال فيه مترز: "وفي القرن الخامس الهجري نجد محمد بن احمد ابو المظهر الازدي يؤلف كتاب سماه حكاية ابي القاسم البغدادي، جعل فيه مثل المحاكاة والتمثيل موضوعاً للأدب، وجعل ذلك وسيلة لوصف اخلاق عامة بغداد وكلامهم القبيح"^(٦).

ووردت اشارات إلى كتب النوادر والقصص، لوح إليها بالأقوال: (أصحاب النوادر)^(٧)، وأشار إلى النوادر بقوله: "...الحكايات القصيرة من النوادر الهزلية..."^(٨)، وكذلك بهذا القول: ما يقال من القصص الخيالية"^(٩). وهكذا جاءت اشارات مترز الى المصادر الادبي والتي ذكرها في متن كتابه دون الهامش.

ب . كتب التاريخ.

حتمت طبيعة موضوع الكتاب الرجوع إلى المصادر التاريخية بمختلف أصنافها، وكذلك الكتب التي اهتمت بتاريخ المدن، وهذا امر طبيعي لمن يكتب بهكذا عنوان، فانه يتوجب عليه الاطلاع على مثل هذه المصادر واستقاء معلوماته منها، ومن هذه المصادر كتب التاريخ العام التي تتبّع المنهج: (الحولي)، مثل كتاب: (مروج الذهب للمسعودي)، والذي أحال اليه في الصياغات الاتية:

(١) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٩.

(٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ٨٢/١، ٨٤، ٨٧، ١٧٤/٢، ٢١٦، ٢٣٤.

(٣) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٧٠/٢.

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢١٧.

(٥) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٥٥/٢.

(٦) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢١٦/٢-٢٥٢.

(٧) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٦٠/٢-٢٦١.

(٨) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٤٦/٢.

(٩) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٩٤/٢.

(يقول المسعودي، ذكر المسعودي، حكى المسعودي)^(١)، كذلك كان كتاب: (الكامل في التاريخ لابن الاثير)^(٢)، وهو من جملة كتب التاريخ العام التي اعتمدها متر في متن كتابه، ومنها: (تاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبري)^(٣)، الذي أحال اليه احالات لها علاقة برصد الموضوع، إلا انها قليلة؛ مقارنة مع اهمية تاريخ الطبري بالنسبة لكاتب في تاريخ الدولة الاسلامية، وربما سبب ذلك يعود إلى ان كتاب مترزركز على القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، والطبري توفي مطلع هذا القرن (٣١٠هـ/٩٢١م)، وأحال ايضا إلى: (المختصر في اخبار البشر لابي الفداء اسماعيل)^(٤)، وكتاب: (الاثار الباقية للبيروني)^(٥).

ومؤلفات تاريخية اخرى يسمى المصدر مرة واسم المؤلف أخرى، مثل: (وحكى ابن هشام) "ان الرسول صلى الله عليه وسلم..."^(٦)، وقال أيضاً: "وكذلك كتب الخوارزمي"^(٧) يقصد به: رسائل الخوارزمي، ومن الامثلة الاخرى على هذه المنهجية الآتي من الاسماء: (اليقوبي)^(٨)، (الفهرست)^(٩)، (التوخي)^(١٠)، (ابن مسكويه)^(١١)، (الخطيب البغدادي)^(١٢)، (ابن الجوزي)^(١٣)،

(١) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٩٠/١، ١٥٢/٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٩٠، ١٩٢، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٨٤، ٣٠٠.

(٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٥٤/٢، ١٩٠، ١٩٣-١٩٤، ٢١٨.

(٣) مترز، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١، ١٥١/٢، ٢١٧.

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٩٠/٢، ٢٨١.

(٥) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٢، ٢٨٨.

(٦) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٨٠/٢.

(٧) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٧٥/٢.

(٨) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٦٨/٢.

(٩) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٩٢/٢.

(١٠) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢١٣/٢، ٢٤٩.

(١١) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٣٦/٢، ٢٣٨.

(١٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٣/٢، ٢٦٦.

(١٣) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٨١/٢.

(المقريري)^(١)، (ابن طباطبا)^(٢)، (العيون والحدائق)^(٣)، وهذه المسميات تدل على التنوع في المصادر التاريخية، فقد مثلت كل من: (تاريخ السيرة، التاريخ العام (الحولي)، تواريخ المدن والخطط).

وذكر في المتن مؤرخين لم يصرح بأسمائهم، وبصيغ مختلفة، مثل: (حكى المؤرخ النصراني)^(٤)، (مؤرخو النصارى)^(٥)، (المؤرخون المتأخرون)^(٦)، (أصحاب السير والتواريخ)^(٧)، (ومن المؤرخين)^(٨)، (وفي الاخبار المأثورة)^(٩)، (ومن المأثور قول بعضهم)^(١٠)، (كما في الأخبار)^(١١)، (ولا نجد له ذكر في الحكايات المأثورة)^(١٢)، وهي كما يلاحظ من بعضها اشارات غير دقيقة الى مصادر معلومات الكتاب لاسيما حينما يستخدم صيغة الجمع.

وقد أشار إلى كتاب مهم لم يطلع هو عليه بل اشار اليه وهو يتحدث عن حلبات سباق الخيل في مصر، فقال: "ويذكر المسعودي ان لعيسى بن لهيعة المصري كتاب يسمى الجلائب والحلائب، وذكر فيه كل حلبة اجريت، في الجاهلية والإسلام"^(١٣).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٨٩/٢، ٢١٩.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٤١/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٦/٢.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ١٨٣/٢. ويقصد به. (أبو سعيد).

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ١٨٩/٢.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٢/٢.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٠/٢.

(٨) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٠/٢.

(٩) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٠/٢.

(١٠) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٤/٢.

(١١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٨٤/٢.

(١٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٤٧/٢.

(١٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٥٤/٢.

ت . كتب الجغرافية والرحلات.

ذكر متز عدد مهم من الموارد البلدانية وكتب الرحلات، ومن هذه الموارد كتاب: (المسالك والممالك لابن خردادبة)^(١)، وأشار أيضا إلى: (المسالك والممالك للاصطخري)، وكتاب: (صورة الارض لابن حوقل)^(٢)، كذلك كتاب: (احسن التقاسم للمقدسي)^(٣)، كما اعتمد كثيراً على رحلتي بنيامين التطيلي وبتاحيا اليهوديين، وكانت الإحالات اليهما كثيرة، لاسيما ما يتعلق باليهود وتوزيعهم الجغرافي واعدادهم^(٤)، اما بالنسبة للرحلات فقد كان أهمها عند متز هي: (رحلة ناصر خسرو)، التي ذكرها عدة مرات^(٥)، وأشار إلى رحالة اخرين مثل: (الرحالة الصيني وانج)^(٦)، والرحالة (ماركوبولو)^(٧)، والرحالة: (سخاو)^(٨)، وأشار إلى رحالة دون ذكر اسماءهم أو أسماء كتبهم وبصيغة الجمع^(٩)، وهي اشارات ضعيفة كما اسلفنا.

ث . كتب الفقه والولايات الدينية.

لقد كان لهذه الكتب إشارات عدة وردت في متن كتاب متز، وقد صرح بأسماء بعض الكتب ولوّح إلى بعضها الآخر، نستدل على الكتب الفقهية التي اشار اليها دون ذكر اسم الكتاب، ولا اسم المؤلف من خلال قوله الاتي: "الحشيش لم يظهر في مؤلفات الفقهاء الا في القرن الثالث الهجري

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٧٨/١، ٢٠٨/٢.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٦٦/١، ٢٦٦/٢، ٢٧١، ٣٠١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١، ٦٧، ١٥٢/٢ - ١٥٤، ١٧١-١٧٢، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٣٨، ٢٥٣، ٢٧٥.

٢٨٠ - ٢٨١، ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣٠٠.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٦٣-٦٥، ٦٩، ٧٧-٧٨، ٢٨٣.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٥/٢، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢٦٦ - ٢٦٩، ٢٧١.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٤/٢، ٢٨٨.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ١٨٩/٢، ٣٠٢.

(٨) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٦١/٢.

(٩) متز، الحضارة الاسلامية، ٧٨/١، ٢٣٨/٢، ٢٤٧، ٢٦٠ - ٢٦١، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٧٩.

فقد حرّمه الشافعية وإباحه الحنفيّة"^(١)، وأشار إلى الفقيه الشيعي ابن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ/٩٩١م)، عند تناوله لأحد اعياد النصارى فقال: "... وقد تكلم ابن بابوية القمي الشيعي الفارسي..."^(٢)، وقال أيضاً: "وذهب بعض الفقهاء"^(٣)، وعند حديثه عن الرياضة قال: "غير ان الفقهاء اشترطوا في هذه الرياضة التي اقاموها وهي مسابقة الخيل، ان لا تلعب طلباً للمال"^(٤)، وعند حديث الفقيه أبو الليث السمرقندي^(٥) عن النرد، وصفه بقوله: "عمل الشيطان"^(٦).

أما بالنسبة للكتب الأخرى فمنها على سبيل المثال: كتاب: (الموالي للكندي)^(٧)، وكتاب: (حلية الوزراء للصابي)^(٨)، وذكر ايضا كتاب: (الاحكام السلطانية للماوردي)^(٩).

٧. منهجيته عند ذكره للنبي (ﷺ).

ذكر متر النبي (ﷺ) في كتابه مرّات كثيرة، وقد اختلفت منهجيته من مكان لآخر عند ذكره، سيما الصلاة والتسليم عليه، وقد ورد اسمه بما يتعلق موضوع الدراسة (٤) مرة، وجاءت بالصيغ الآتية: (النبي)^(١٠)، (رسول الله)^(١١)، (ويروى عنه)^(١٢)، ومثلما كانت اشارته للنبي بهذه الصيغ التي

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٧.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨١.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١/٧٧.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٣.

(٥) ابو الليث السمرقندي: هو نصر بن محمد بن ابراهيم الحنفي صاحب كتاب الفتاوى، توفي سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م.

الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٧/٥٤.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٣.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٦٩.

(٨) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/١٧٧، ٢٤٨، ٣٠١.

(٩) متر، الحضارة الاسلامية، ١/٨٦، ٢/١٥١، ١٦٩، ٢٩٨.

(١٠) متر، الحضارة الاسلامية، ١/٦٩، ٢٨٨، ١٨٠/٢، ١٩٩، ٢٢٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٨٨، ٢٩٢ ذكر فيها مرتين،

٢٩٣.

(١١) متر، الحضارة الاسلامية، ١/٦٠، ٢/١٨٠.

(١٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٣.

من خلالها نستدل بأنه يقرّ بنبوته ورسالته ميديا الاحترام له^(١)، كما تجلّى مظهر الاحترام واضحا عند متز من خلال صلاته أو تسليمه على النبي (ﷺ)، فعندما تناول مواريث أهل الذمة الذين اطلق عليهم متز اسم: (الصائبين) قال: "لأن امير المؤمنين [يقصد عمر بن الخطاب] يرى من مواريث الصائبين وغيرهم من المخالفين رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم..."^(٢). النص المتقدم ذكر متز النبي (ﷺ) بقوله: (رسول الله) ثم انه قال: (صلى الله عليه وسلم)، وهذه الصلاة والتسليم علامة من علامات الاحترام والتقدير، كما جاءت نصوص اخرى عند متز، صلى وسلم فيها على النبي محمد (ﷺ)، ومنها ما جاء في هامش صفحات كتابه، وهو يتحدث عن دية رجل ذمّي كتابي قتله احد المسلمين، فقال: "حكى ان رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من اهل الكتاب فرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم..."^(٣)، ومن حديثه عن ابن هشام صاحب السيرة، قال: "حكى ابن هشام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم..."^(٤)، وفي حديثه عن الملابس وان اللون الابيض له خاصية على غيره، قال: "... وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم..."^(٥)، وقد تناول متز الالعب التي تقام لغرض الاكتساب والمراهنة، فقد ذكر ان النبي كان يشجع على المسابقة بالخييل، ولكن ليس رهاناً من اجل الكسب، وأشار متز إلى ان النبي (ﷺ) قد سابق بالخييل، فقال: "... ويحكى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سابق بين الخيل..."^(٦)، وفي حديث ساقه عن النبي (ﷺ) بخصوص معاملة العبيد، فقال متز: "ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم..."^(٧).

(١) هناك العديد من المستشرقين لا يقرّون ولا يعترفون بالرسالة الاسلامية، ولا يعدّون النبي محمد (ﷺ) نبياً أو رسولاً بالأساس، بل عندما يذكرونه فانهم يذكرونه بالاستخفاف والاستهزاء، مثل: مونتغري وات، ولانسن، وغيرهم.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٦٩/١ هامش (٢).

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ١٨٠/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٢٢/٢.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٥٣.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٨/١.

النصوص المقتبسة متقدمة الذكر، المتمعن فيها يجد ان متز قد اظهر الاحترام والتقدير لشخص النبي (ﷺ) من خلال الصلاة والتسليم عليه تارة، واخرى من خلال تقديم صفة الرسول (ﷺ) بالقول: (الرسول) مرة و(النبي) أخرى.

كذلك جاءت عبارات الاحترام للنبي (ﷺ) في كتاب متز المتعلق بالموضوع، بان سلم على النبي (ﷺ) في أماكن عدة بقوله: (عليه السلام)، وقد سبق هذا التسليم في كل مرة صفة: (النبي) ثم يلحقها ب: (عليه السلام)، ونورد نماذجاً تخص هذه المنهجية التي اتبعها متز، وقد أشار إلى رواية تدل على شعور العربي بالعرّة والكرامة، رويت عن النبي، فقال: "... على انه تروى عن النبي عليه السلام حكاية...^(١)، فعند حديثه عن طبقات المجتمع تحديداً العبيد، ونهي النبي عن ضرب العبد، قال: "... وقد نسب... إلى امر النبي عليه السلام..."^(٢).

وعلّ متز ظاهرة العطف على اليتامى، وقَرَنَ هذه الظاهرة بِيَتَمِ النبي (ﷺ)، فقال: "ونظراً لأن النبي عليه السلام كان يتيماً فقد صار المسلمون يعطفون على اليتامى عطفاً خاصاً..."^(٣)، وبالتأكيد فان متز لم يُصِبْ كيد الحقيقة؛ لأن الاهتمام باليتامى ظاهرة كان لها وجود قبل الاسلام، وعند مجيء الاسلام عزّزها آيات قرآنية تؤكد وتوجب على المسلمين الاهتمام باليتامى^(٤).

وعند تناول متز المقامرة والمراهنات اشار إلى شاهد تاريخي عن القمار في عصر النبي (ﷺ)، فقال: "... وقد شغف الناس بذلك [القمار] رغم تحريم القرآن^(٥) للقمار، بل يحكى من اخبار عصر النبي عليه السلام ان ابا لهب قامر العاصي بن هشام فقمروا حتى اخرجوه من ماله..."^(٦).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٨٠.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١/٢٨٨.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٩٩.

(٤) ينظر: سورة البقرة، الايتان/١٧٧، ٢٢٠، سورة الانسان، الاية/٨، سورة البلد، الاية/١٥، سورة النساء، الايات/٣، ٨،

٣٦، سورة الماعون، الايتان/١-٢، سورة البقرة، الاية/٢٢٠.

(٥) ينظر: سورة البقرة، الاية/٢١٩، سورة المائدة، الايتان/٩٠-٩١.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٥.

أشار متز إلى العادات الاجتماعية التي عمّت الدولة الإسلامية، ومنها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فقال: "وكان ازدياد التعظيم للنبي عليه السلام بين اهل الصلاح والورع سبباً من ان صار يُحتفل بمولده... وكان ذلك بدعة في نظر المتمسكين بالعادات الإسلامية الاولى، ويحكى ان الكرجي (المتوفى عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م) كان من الزهاد المتعبدين، انه كان لا يفطر الا في العيدين وفي يوم مولد النبي عليه السلام"^(١)، وارجع متز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إلى الربع الاول من القرن السابع الهجري، فقال: "على ان اول من احتفل بمولد النبي عليه السلام احتفالاً عظيماً هو - كما يقال - لأمير ابو سعيد مظفر الدين الاربلي"^(٢)..."^(٣).

النصوص السابقة دلّت دلالة واضحة على منهجية متز عند ذكر النبي (ﷺ)، باظهار التقديس والاحلال لشخصه الكريم في كل مرة يذكره فيها، وهذا يدل دلالة واضحة على انصاف واعتدال متز ازاء شخص الرسول (ﷺ)، وبهذا يمكن ضمّه إلى المدرسة الاستشراقية المنصفة ذات الراي المعتدل، المبتعدة عن التصعب الديني، الراكنة إلى المنهج العلمي الرصين.

(١) متز، الحضارة الإسلامية، ٢/٢٩٢.

(٢) ابو سعيد مظفر الدين الأربلي: وهو حاكم اربل الذي يقال انه اول من احتفل بالمولد النبوي الشريف، ولكن هناك ردود على هذا القول. للمزيد من التفاصيل عنها. ينظر: العاملي، المواسم والمراسم، قم، ١٩.

(٣) متز، الحضارة الإسلامية، ٢/٢٩٣.



الفصل الثالث

العادات والأخلاق

توطئة:

لا بد لنا قبل اللوج في موضوع العادات والاخلاق عند متز ان نتعرف على تعريفهما في اللغة والاصطلاح، فقال ابن منظور^(١) معرفة العادة بالقول: "هي الدين يُعاد اليه، معروفة وجمعها عاد وعادات وعيد... انما العيد ما عاد اليه من الشوق والمرض ونحوه... وتعود الشيء وعاده وعاوده معاودة وعودا واعتاده واستعاده واعاده اي صار عادة له".

وقال الزبيدي^(٢): "العادة تكرير الشيء دائما او غالبا على نهج واحد بلا علاقة عقلية. وقيل: ما يستقر في النفوس من الامور المتكررة والمعقولة عند الطباع السليمة، ونقل شيئا عن جماعة ان العادة والعرف بمعنى، وقال قوم: وقد تختص العادة بالافعال والعرف بالاقوال".

وهناك من ذهب الى القول بان العادة هي: مأخوذة من المعاودة وهي تقتضي تكرار الامر مرة بعد اخرى حتى يخرج عن كونه واقعا بطريق الاتفاق^(٣)، وجاء في المعجم الوسيط^(٤) عن العادة: "انها كل ما اعتيد حتى صار يفعل من غير جهد... والحالة التي تتكرر على نهج واحد، عادة وعادات وعودا"، اما الجرجاني^(٥)، فقد ذكر أن العادات هي ما استمر الناس عليه على حكم المعقول وعاودوا اليه مرة بعد اخرى.

وثمة من ذهب الى القول بان العادات هي: "كل سلوك متكرر يكتسب اجتماعيا ويُتَعَلَّم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا"^(٦). والتعريف الاخير احتوى المتقدم من الكلام السابق عن العادات.

وقد اقترنت كلمة: (العادات) بكلمة اخرى رافقتها على الاعم الاغلب، وهي كلمة: (التقاليد)، قال ابن منظور^(٧): "القلادة ما جعل في العنق يكون للانسان والفرس والكلب والبدنة التي تهدي

(١) لسان العرب، ٣/٢٧٠.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ١٣٥/٥ مادة (عود).

(٣) الحنفي، غمز عيون البصائر، ٢٩٥.

(٤) مجموعة مؤلفين، ٢/٦٥٣.

(٥) التعريفات، ١٤٦.

(٦) دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ١٠٤-١٠٥.

(٧) لسان العرب، ٣/٢٤٢-٢٤٥.

ونحوها؛ وقُلِّدت المرأة فتقلدت هي. قال ابن الاعرابي: قيل لاعرابي ما تقول في نساء بني فلان؟ قال: قلاند الخيل اي هنّ كرام ولا يُقلد من الخيل الا سابق كريم... وقد قلّده قلادا وتقلدا؛ ومنها التقليد في الدين، وتقليد الولاة الاعمال... وتقلد الامر احتمله وكذلك تقلد السيف... ويقال قلّته الحمى اخذته كل يوم تقلّده قلدا... وقد قلّتنا وسقلّتنا السماء قلدا في كل اسبوع اي مطرتنا لوقت... يقال سقى ابله قلدا وهو السقي كل يوم بمنزلة الظاهرة. ويقال: كيف قلّد نخل بني فلان؟ فقال عشر مرة...".

وهناك من قال ان التقاليد، هي: كل العادات المتوارثة التي يقلّد فيها الخلف السلف^(١)، اذن التقليد اصبح مقترنا بالقدم ومضي الزمان، واذا اتصف السلوك بانه تقليدي، فانه يستشفّ من ذلك ان مزاولته دامت زمنا طويلا، وانه محاكاة لسلوك القدامى ومتوارث عنهم^(٢).

واشار الجرجاني^(٣) الى التقاليد موضحا انها عبارة عن اتّباع الانسان غيره فيما يقول او يفعل معتقدا الحقيقة فيه من غير نظر وتامل في الدليل، كأن المنتبّع جعل قول غيره او فعله قلادة في عنقه، وهو قبول قول السلف بلا حجة ولا دليل.

اذن من خلال ما تقدم من نصوص يمكن القول ان التقاليد هي عادات مكتسبة اكتسابا من الماضي الى الحاضر، ثم من الحاضر الى المستقبل، فهي تنتقل وتورث من جيل الى جيل، ومن سلف الى خلف، ويزداد تمسك الفرد بالتقاليد كلما مرّ الزمن.

ومن هنا يمكن القول ان العادات هو سلوك يعتاده الانسان نتيجة تكراره، وقد يكون سلبيبا او ايجابيا، اما التقاليد فهي العادات المتوارثة من الالباء الى الابناء، وهي الاخرى تدخل في بابي السلب والايجاب.

اما بالنسبة للاخلاق فقد اولى المسلمون اهتماما كبيرا بها، ومنذ نزول الرسالة السماوية على النبي محمد صلى الله عليه وآله، اكد القرآن الكريم على الاخلاق، واصفا النبي محمد صلى الله عليه وآله انه على خلق عظيم.

(١) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، ٢/٢٤١.

(٢) ابو زر، اخطاء عقائدية في الامثال، .

(٣) التعريفات، ٦٤.

والاخلاق في اللغة: "هي جمع خُلُق، واصلها خُلِقَ، قال ابن فارس^(١): "الخاء واللام والقاف اصلان احدهما تقدير الشيء والآخر ملامسه الشيء"، اما ابن منظور^(٢) فانه قال: "الخلق: الدين والطبع والسجية، وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه ووصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة ووصافها ومعانيها"، وقال ابن الاثير^(٣) عن صورة الانسان الباطنة ذات العلاقة بالخلق، ما نصه: "ولها اوصاف حسنة وقيحة، والثواب والعقاب مما يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الاحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع"، ومن هذا المنطلق يمكن تثبيت حقيقتين مهمتين هما:

١. ان الاخلاق صفات للنفس الباطنة.
 ٢. ان الاخلاق خاصة بطباع النفس وقواها التي يمكن وصفها بالحسن والقيح^(٤).
- وعرف الخلق بانه: "ان الخلق تلك الحالة النفسانية التي تدعو الانسان لأفعال لا تحتاج الى التفكير والتدبر"^(٥)، وعرف الفيض الكاشاني^(٦) علم الاخلاق بقوله: "اعلم ان الخلق هو عبارة عن هيئة قائمة في النفس، تصدر منها الأفعال بسهولة من دون الحاجة الى تدبر وتفكر"، ومن هنا قسّم ناصر مكارم الشيرازي^(٧) الاخلاق على قسمين، هما: الملكات التي تتبع فيها الاعمال والسلوكيات الحسنة وتسمى: (الفضائل)، واخرى تكون مصدر للسلوكيات السيئة وتسمى: (الردائل). من هذا المنطلق عرف الشيرازي علم الاخلاق انه: "علم يبحث فيه عن الملكات والصفات الحسنة والسيئة وآثارها وجذورها"، وقال احمد امين^(٨) معرفا علم الاخلاق: "هو علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي ان تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا، ويشرح الغاية التي ينبغي ان يقصدها الناس في اعمالهم وينير السبل لعمل ما ينبغي".

(١) معجم مقاييس اللغة، ٢/٢١٣.

(٢) لسان العرب، ١٠/٨٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث، ٢/٥٨. ينظر ايضا: المازندراني، شرح اصول الكافي، ٧/١٦٩.

(٤) الهلالي، تهذيب الاخلاق، ١٢.

(٥) ابن مسكويه، الاخلاق، ١٥.

(٦) الحقائق، ٥٤.

(٧) الاخلاق في القرآن، ١٥.

(٨) كتاب الاخلاق، ٢.

ولابد من القول هنا ان هناك الكثير من المصادر والمراجع^(١) التي تناولت بتفصيلات واختصاصات موضوعة الاخلاق الاسلامية، في التشريع والتطبيق، وهذه المؤلفات عكست الجانب النظري للاخلاق الاسلامية، والجانب العملي التطبيقي هو الاخر تجلى واضحا في هذه المصنفات وغيرها، ومع الاختلاف في وجهات النظر المتولدة نتيجة الاختلاف العقائدي بين المذاهب والفرق الاسلامية، الا ان الاختلاف في وجهات النظر تلك هو اختلاف جزئي وليس جذري، وعليه يمكننا القول ان التنظير الاسلامي وتطبيقاته هو ما كتب في هذه المصنفات، اما ما جاء عن سوء الخلق فهو يمثل وجهات نظر من تخلق بتلك الاخلاق السالبة، ولا يمثل التنظير والتطبيق الاسلامي. وفيما ياتي نتناول العادات والاخلاق التي تناولها متر في كتابه قيد الدراسة، وقد رتبناها بحسب الحروف الهجائية للعنوان التي ارتأينا وضعها لكل مادة.

١. الاشتراك في الاحتفالات الدينية لأهل الذمة:

افرد متر الفصل الثالث والعشرين من كتابه بعنوان: (الاعیاد)^(٢)، وكان يفترض به ان يتناول الاعیاد الاسلامية بشكل دقيق، مع عدم اغفال اعياد اهل الذمة الدينية، لأن عنوان كتابه هو: (نهضة الاسلام)، الا ان ما قام به هو العكس تماماً، فكان مجموع ما تناوله عن اعياد اهل الذمة هو: (١٧ صفحة)^(٣)، أما الاعیاد الاسلامية فقد تناولها بالصفحتين الاخيريتين من الفصل^(٤).

وقد بالغ كثيراً في تناوله لأعياد النصارى دون اليهود من اهل الذمة، وربما يكون الدافع في ذلك اسباب عدة، هي:

(١) نورد على سبيل المثال لا الحصر عينة من المصادر والمراجع التي تناولت الاخلاق الاسلامية، مثل: ابن ابي الدنيا، مكارم الاخلاق؛ الفارابي، كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة؛ ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق وتطبيب الاعراق؛ الطبرسي، مكارم الاخلاق؛ الشيرازي، الاخلاق في القرآن؛ سعد الدين، الاخلاق في الاسلام بين النظرية والتطبيق؛ الميداني، الاخلاق الاسلامية؛ السجمراني، الاخلاق في الاسلام والفلسفة القديمة؛ دراز، دستور الاخلاق في القرآن؛ من خلق القرآن؛ حلمي، الاخلاق الاسلامية؛ النكريتي، فلسفة الاخلاق بين ارسطو ومسكويه؛ وافي، المدينة الفاضلة.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٦-٢٩٥.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٦-٢٩٣.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩٣-٢٩٥.

- ١- انه كان مسيحياً من النصارى، فدفعته الى ذلك توجهاته الدينية التي ينتمي اليها.
- ٢- كانت له معرفة ودراية بأعياد النصارى كونه مسيحياً؛ لهذا السبب ركز على الاعياد المسيحية دون اليهودية.
- ٣- انغلاق اليهود على أنفسهم جعل من العسر التعرف على طقوسهم، مقارنة بالطقوس المسيحية.

هذه الاسباب وربما هناك اسباب اخرى غيرها ادت به إلى ان يتوسع في تناوله للأعياد المسيحية بشكل مفصل وموسع.

وكانت مبالغة متز أيضاً من ناحية اخرى عندما قال : "... كانت اعياد أهل بغداد تكاد تكون نصرانية من كل وجه، وكانت اعياد القديسين في مختلف الاديرة اكثر الاعياد نصيباً من احتفال الناس..."^(١).

ومن الانصاف القول إنه كان قد اشار إلى معلومة غاية بالدقة تتعلق بالمشاركين من المسلمين في اعياد النصارى، فقال: "... واشتركوا [المسلمين] في الجانب الاجتماعي المسلي من تلك الاعياد... وكانت الاديرة ببساتينها الفسيحة، وقاعات شرايها الباردة، مجتمع اهل البطالات ومقصد طلاب اللذات من البغداديين..."^(٢).

النص المتقدم يوضح بشكل صريح سبب اشتراك المسلمين بأعياد النصارى، وهو طلب التسلية والملاذات والترويح عن النفس، وليس التعبد والتدين معهم.

ومما يؤكد اعتياد الكثير من المسلمين الاشتراك بأعياد النصارى قول متز: "... فقد كان المسلمون يحتفلون بجميع الاعياد النصرانية طول العام..."^(٣).

وجرت العادة ان يشترك المسلمون من أهل الطرب واللهو الاشتراك بعيد الفصح، فقال: "وفي يوم الفصح ببغداد كان المسلمون والنصارى... ولا يبقى أحد من أهل الطرب واللهو الا حضره"^(٤).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٦.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٦-٢٧٧.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٦.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٩.

النص المتقدم يذكر المسلمين والنصارى على حد سواء، ولكن المسلمين من طالبي اللهو واللذة والمتعة، وتكرر هذه العبارة بعدّ اهل اللهو والمتعة والشراب والطرب، انهم كانوا يحضرون اعياد النصارى المتعددة في بغداد والقاهرة على حد سواء^(١).

ولم يغفل متز الإشارة إلى اشتراك الخلفاء والامراء في تلك الاعياد في بغداد أو في القاهرة، وأشار إلى قيام عدد منهم ببعض الممارسات والاسهام في ابهاج تلك الاحتفالات^(٢)، كما اشار متز إلى عدد من الاعلام أو المنصفين أو الرحالة الذين شاهدوا أو اشتركوا في تلك الاعياد ووصفوا جزء من احتفالاتها وطقوسها، مثل: إبراهيم بن القاسم الكاتب^(٣)، فقال: "فقد احصى إبراهيم بن القاسم الكاتب حوالي اواخر القرن الرابع معالم لهوها، كمصايد الغزلان بجانب الاهرام ومواخير الجيزة وجسرهما، وبستان القيس..."^(٤)، وقال ان الرحالة المقدسي يفتخر انه رأى عيد بريارة^(٥)، وكذلك المسعودي الذي شهد ليلة الغطاس^(٦) في مصر ووصفها بدقة^(٧).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٧٧/٢، ٢٧٩-، ٢٨٠، ٢٨٥-٢٨٧.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٧٧/٢، ٢٨٢-٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩١.

(٣) ابراهيم بن القاسم الكاتب: ويعرف بالرقيق القيرواني، والرقيق لقباً له، وهو رجل فاضل عالم بالاخبار له تصانيف كثيرة في علم الاخبار، ومنه كتاب تاريخ افريقية والمغرب، وكتاب النساء وكتاب الراح والارتياح، غلب عليه لقب الكتابه والتاريخ. الحموي، معجم الادباء، ٢١٦/١ ترجمة رقم (٢٨)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦١/٦.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٧٧/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨١/٢.

(٦) ليلة الغطاس: وهي الليلة الحادية عشر من كانون الثاني، قال المسعودي عنها: "ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند اهلها، لا ينام الناس فيها... ولقد حضرت [القول للمسعودي] سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر، والاخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها، وقد امر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط الف مشعل غير ما اسرج اهل مصر من المشاعل والشمع... وهي احسن ليلة تكون بمصر، واشملها سرورا، ولا تغلق الدروب، ويغطس اكثرهم في النيل، ويزعمون ان ذلك امان من المرض ومبرئ للداء". مروج الذهب، ٣٧٩/١.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/٢.

ومما يؤيد ذلك ويثبت ان المسلمين كانوا قد اعتادوا المساهمة والاشتراك في احتفالات النصارى واعيادهم، عبارات تدل على ذلك، فعند حديثه عن عيد الشعانين^(١) قال: "وكان يوم احد الشعانين يوم عيد كبير للعامة"^(٢)، وقال ايضاً: "وكان الرسم [العادة-التقليد] بمصر وسائر البلاد ايضاً..."^(٣)، وعن دير الثعالب^(٤)، قال: "وكان لا يتخلف عن عيده احد من النصارى والمسلمين"^(٥)، و اشار إلى عيد بريارة بان المقدسي وصفه: "انه من اعياد النصارى التي يتعارفها المسلمون..."^(٦)، وعن عيد الوقود، قال: "وجرت العادة في القرن الرابع الهجري بالتبخير ليلة الوقود"^(٧) لدفع المضرة... وصار في رسوم الملوك في ليلته ايقاد النيران وتأجيجها..."^(٨)، وعن ليلة الغطاس قال:

(١) عيد الشعانين: هو احد الاعياد المسيحية، يجتمع فيه النصارى من جميع النواحي ويحتفلون بهذا العيد، وكان يقوم فيه سوق عظيم من السنة الى السنة، فيبيعون ويشترون ثلاثة ايام، وقد شاركهم المسلمون هذا الاحتفال. الواقدي، فتوح الشام، ٩٧/١. وقال الذهبي بهذا العيد: "وهو عيد الشعانين الذي للنصارى... فعمل فيه من اللهو والخمور والمغاني ما يضاهاى المولد المكرم [ربما يقصد المولد النبوي] فكان يمد سماطاً طويلاً الى الغاية بظاهر البلد، ويجمع مغاني البلاد". الذهبي، تاريخ الاسلام، ٣٢٣/٤٨؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ٣٠٨/٢٤. وذكره القلقشندي بالقول: "... عيد الشعانين وتفسيره بالعربية التسبيح، يعملونه في سابع احد صومهم؛ وسنتهم فيه ان يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور [الحمار] في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه". صحاح الاعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية، ٤٥٤/٢، ٤٦١.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٧/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٨/٢.

(٤) دير الثعالب: وهو دير من ديارات بغداد، في جانبها الغربي، في الموضع المعروف ب: باب الحديد، يقصده اهل بغداد للنتزه، ولا يكاد يخلو من قاصد، وله عيد لا يتخلف عنه احد من المسلمين ولا النصارى، وقال فيه الشعراء القصائد والاشعار. للمزيد من التفاصيل. ينظر: الشابشتي، الديارات، ٢٤-٢٧.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/٢.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/٢.

(٧) ليلة الوقود: وهي ليلة الميلاد المسيحي، وكان يجمع الحطب فيها ويشعل. ونقل ابن الاثير رواية عن ليلة الوقود سنة ٩٣٤م/٥٣٢٣م وكيف احتفل فيها بعد ان جمع الحطب كالتقريب ووضع حول الجبل بقرب مدينة زندروز في المشرق الاسلامي وجمع نطف ورش على الحطب واشعل في ليلة الميلاد، وكيف مَدَّ سماط فيه انواع الماكولات والمشروبات، ثم اشعلت النار والناس تتفرج عليها. الكامل في التاريخ، ٢٩٨/٨. ينظر ايضاً: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٤٢٩/٤.

(٨) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨١-٢٨٢.

"... وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو^(١) الالوف من الناس من المسلمين والنصارى..."^(٢)، وعن عيد الشعانين^(٣)، قال: "وكانت العادة ان يضاء سوق الشماعين بإضاءة كبيرة..."^(٤)، وفي عيد دير درماس قال: "وكان يجتمع اليه نصارى بغداد، ولا يبقى احد يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم، وكان الناس يقيمون فيه الايام"^(٥).

وقال في عيد سجن يوسف^(٦): "وكان من الأعياد الكبرى عند النصارى بمصر عيد سرعان ما اتخذه المسلمون، وهو عيد الخروج لسجن يوسف بالجيزة"^(٧)، وكانت عادة العامة والسوقة ان يطوفوا قبل الخروج للسجن... فامر الخليفة الظاهر التجار بان يدفعوا ما جرت به العادة..."^(٨).

وفي احتفال عيد السنة القبطية بمصر، قال: "وكانت العادة في رأس السنة الفارسية والقبطية ان يرشّ الناس بعضهم بعضاً بالماء..."^(٩).

(١) هكذا وردت عند مترز، وعند الرجوع الى المصدر الذي اخذ عنه مترز، وجدناه مطابق لما نقله مترز.

(٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/٢.

(٣) عيد الشعانين: هو احد الاعياد المسيحية، ويسمى ايضا عيد الزيتونة، يقوم يوم الاحد السابق لعيد الفصح، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس. ينظر: النويري، نهاية الارب، ٤١٧/٣١؛ ابو حبيب، القاموس الفقهي، ١٨٩. وكان النصارى ببغداد في هذا العيد يحضرون فيه الطعام بانواعه، ويحتسون الخمر، ويمارسون الجنس مع الغلمان، ويشاركهم المسلمون الذين يبحثون عن المتعة واللهو هذه الافعال. الخصيبي، الهداية الكبرى، ٣٢٥؛ الثعالبي، بيتمة الدهر، ١٧٠/٤، ٤٦١.

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/٢.

(٥) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٥/٢.

(٦) يقصد به مناسبة خروج النبي يوسف بن يعقوب الذي اودعه عزيز مصر السجن في منطقة الجيزة، فاحتفل النصارى بمناسبة ذكرى اخراجه من السجن.

(٧) الجيزة: بالكسر، في لغة العرب تعني افضل موضع في الوادي، وهي بليدة غربي فسطاط مصر ومن افضل كورة بمصر، كره اهلها الانضمام لعمر بن العاص بعد الفتح، فاخذوا الجيزة خططا وبقوا فيها. الحموي، معجم البلدان، ٢٠٠/٢.

(٨) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٥/٢.

(٩) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٧/٢.

وفي عيد النيروز قال: "وكان العامة [المسلمون] بمصر من عيد النيروز ينتخبون رجلاً يسمونه امير النيروز..."^(١).

وقال في عند احد اعيادهم: "ونستطيع ان نتبين في العادة الجارية بمصر انها تشبه عيد الكرنفال شبيهاً واضحاً..."^(٢).

وفي عيد النيروز ايضاً قال: "وكان من العادات بقصور العباسيين نثر الزهور..."^(٣)، وفي عيد النيروز ايضاً قال: "وكان العامة يغيرون فيه الفرش والآلات وكثيراً من الملابس"^(٤).

وفي عيد الغطاس بمصر كان يقام احتفال مهيب وكبير، قال فيه منتر: "وكان من الرسوم [العادات] القديمة بمصر ان يركب متولي الشرطة السفلانية ليلة الغطاس في موكب كبير، وتوقد بين يديه الشموع الموكبية والمشاعل..."^(٥).

النصوص مقدمة الذكر تدل دلالة واضحة على العادات التي اعتادها المسلمون بمساهماتهم بأعياد النصارى من كل بغداد والقاهرة، حتى اصبح رسماً وعادة معمولاً بها، بان يحتفل بالأعياد غير الاسلامية (النصرانية).

٢. التكافل الاجتماعي.

قال ابن منظور^(٦): "... والكافل.. العائل... والكفيل الضامن... وتكفل به كلفه ضمنه... وأما الكافل فهو الذي كفل انساناً يعوله وينفق عليه..."^(٧) وغالباً ما يرتبط لفظ: (الكفيل)، ارتباطاً كبيراً بكفالة اليتيم واعدته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...﴾^(٨).

(١) منتر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٨.

(٢) منتر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٩.

(٣) منتر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩١.

(٤) منتر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩٠.

(٥) منتر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٣.

(٦) لسان العرب، ١١/٥٨٩-٥٩٠.

(٧) الجوهري، الصحاح، ٥/١٨١١.

(٨) سورة ال عمران، جزء من الاية/٣٧.

قال أبو زهرة^(١) بهذا الشأن: "يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي ان يكون احاد الشعب في كفالة جماعتهم، وان يكون كل قادر أو من ذوي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمدّه بالخير...".

تناول متر موضوع التكافل الاجتماعي في ثنايا صفحات كتبه على شكل روايات وحوادث ارتبطت بشكل مباشر بالتكافل الاجتماعي، وقد اورد ثلاث روايات اشار فيها إلى تجار كانت لهم تضامنية تكافلية مع من يستحق الوقوف لجانبيهم وتكفل جزء من نفقاتهم، ومن هؤلاء ابو عبدالله بن ابي ذهل الضبي الهروي (ت: ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)^(٢)، والذي كان يطلب ان تضرب له دنانير ذهبية وزن الواحد منها مثقال ونصف المثقال أو اكثر، ثم يتصدق بها، ويقول: "اني لأفرح، اذا ناولت فقيراً كاغداً فيتوهم انه فضة، فاذا فتحه ورأى صفرته فرح، ثم اذا وزنه فزاد على مثقال، فرح ايضاً"^(٣).

كان لأبي عبدالله الهروي الضبي غلال كثيرة، ولم يكن يدخل بيته الا عُشر هذه الغلال وتسعة اعشارها كان يتصدق به، حتى يقال انها كانت تزيد على حمل الف جمل، ويقال: "... ان النسخة التي كانت عنده بأسماء من يقوتهم أبو عبدالله بهراة يزيد على خمسة الاف بيت، وعرضت عليه ولايات جليلة فامتنع"^(٤).

اما دعلج بن احمد بن دعلج^(٥) (ت: ٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، فقد كان تاجراً غنياً وله صدقات جارية على اهل الحديث بمكة والعراق وسجستان^(٦)، ذكر متر: "انه بعث بالمسند إلى ابن

(١) محمد، التكافل الاجتماعي في الاسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ٧. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبدالعال، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ٢٧/١١.

(٢) أبو عبدالله ابي زهل: هو محمد بن العباس بن محمد بن عصم بن بلال بن بجادة الضبي العصمي، كان رئيساً عالماً فاضلاً معتزاً من الحديث له رحية من هراة إلى نيسابور ودخل بغداد سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩، وكانت له نفقات لرجال ادين صالحين، ويدخل عشر غلانه إلى بيته، ويحمل التسعي اعشار إلى المستورين والفقراء، وكان اكثر المتمثلين من هراة يتقوتون من اعشاره طول السنة. السمعاني، الانساب، ٢٠٥/٤.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٦/٢ - ١٩٧. ينظر باختلاف قليل في النص: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣/٣٣٦.

(٤) الذهبي، تاريخ الاسلام، ٢٦/٦٣٤.

(٥) للمزيد من التفاصيل عن ترجمته. يراجع: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨/٣٨٣؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/٢٧١.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣/٨٨١.

عقدة^(١) ينظر فيه، وجعل في الجزء كل ورقتين ديناراً^(٢)، النص المتقدم الذي ساقه متر يدل دلالة واضحة على اهتمام المترجم له برواية الحديث والتصنيف من جهة، ومن جهة أخرى كان يعرض كتبه على المختصين المعروفين باهتمامهم بالحديث، ومن طرف ثالث يعمل على مساعدتهم والإحسان اليهم كونه تاجراً ميسور الحال، وينفق على أهل الحديث كما ورد في نص سابق ذكرناه.

وفي رواية عن جحظة الشاعر البرمكي، وكان قد وقع في ضيق شديد من الحال والعوز بعد ان كان ميسوراً الحال إلى الدرجة التي وصف فيها بيته، بالقول: 'صار بيته افرغ من فؤاد ام موسى'^(٣)، وقد عرف احد العمال المتقاعدین فوصله وزاره واحضر له الكثير من الاحتياجات، ومنها ما ذكره متر بقوله: "... واحظر له من بيته فرشاً وقماشاً وكل ما يحتاج اليه البيت من آلات ومؤونة، وحلّ عنده طول يومه... وفي اليوم التالي ارسل اليه كيساً فيه الفا درهم ورزمة ثياب من فاخر الثياب... فقال له: احفظ بابك فكل ما في دارك لك"^(٤).

الاعلام الثلاثة المتقدم ذكرهم كان متر قد تناولهم في كتابه، ولكن لم تكن هذه الشواهد والدلائل تشمل انموذج التكافل الاجتماعي الافضل والابرز في الدولة الاسلامية، ولكن ساقها كدلائل اراد من خلالها ان يوضح ان هناك تعاوناً وتآزراً في هذا المجال، وان الملاحظ ان هذه الامثلة اختارها متر لأن هؤلاء الاعلام الثلاثة عاشوا جميعهم في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي والذي يمثل موضوع كتابه.

وما دمننا في صدد الحديث عن التجار ومالهم من دور في الاهتمام باهل العلم والوعظ، فقد قال متر: "ويحكى ان أحد التجار المشهورين بكثرة المال في بغداد انه ارسل

(١) ابن عقدة: هو ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد الهمداني الفقيه الحافظ، له مصنفات عدة، توفي سنة ٩٤٤هـ/٩٤٤م. العلوي، المجدي في انساب الطالبين، ٣٢٢؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣/٨٣٩-٨٤٢.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٧/٢.

(٣) وهو مثل اطلق بهذه الصفة نسبة إلى قلب ام النبي موسى (عليه السلام) بعد ان حزنت على فقدانه، مأخوذة من قوله تعالى: ﴿أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لِتُبَدِّي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة القصص، الآية/١٠.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٩٧/٢.

لابن سمعون الواعظ خمسمائة خشكانكة^(١) في كل منها دينار^(٢)، النص المتقدم يوضح الطريقة التي اوصل فيها التاجر المال لابن سمعون الواعظ فكان قد ارسل اليه الطعام وفي الطعام وضع له المال، فهو اراد ان يوصل الاموال بطريقة سرية لا يعرفها احد كي لا يتسبب له بالإحراج، وهذه الطريقة يمكن ان نطلق عليها اسم: (صدقة السر)، وهي نوع من انواع التكافل الاجتماعي الراقي السامي.

وكان للتنشئة الاجتماعية الاثر الكبير في تعليم وتربية الصغار على التكافل الاجتماعي منذ الصغر فيتعلمها ويمارسها في الكبر، اذ ساق متز رواية عن ام لاهد الكتاب، فقال: "وكان لاهد الكتاب ام سالحة، فعودته منذ وُلد ان تجعل تحت رأسه عند نومه في كل ليلة رَغِيفاً فيه رطل؛ فاذا كان الصباح تصدقت به؛ فظل ابنها يفعل ذلك طوال حياته"^(٣).

ومن العادات والاخلاق الحسنة هو ما كان يقوم به أهل كرمان^(٤) وكانت لهم الكثير من النخيل الا انهم كانوا لا يلتقطون ما يسقطه الريح من التمور بل يتركونه للمحتاجين والمعوزين احساناً لهم، وربما في المواسم التي تهب فيها رياح شديدة تكون حصّة الفقراء والمساكين اكثر من حصّة اصحاب النخيل؛ لكثرة ما يسقط من التمر جراء هبوب الرياح^(٥).

وكانت كفالة اليتيم تعد من جملة العادات والاخلاق الاسلامية الحسنة، ويعتقد متز خطأً ان الاهتمام باليتام في الاسلام يرجع إلى كون النبي محمد (ﷺ) يتيماً، فقال: "ونظراً لأن النبي عليه السلام كان يتيماً، فقد صار المسلمون يعطفون على اليتامى عطفاً

(١) خشكانكة: قيل انه لفظ في الفارسية (خشكانج) ويعني العجين المحشي باللوز والجوز، البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد الكاتب (ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٤، ٧٩؛ مرزبان، الالفاظ الفارسية ومجالاتها الحضارية، العدد/ ٦-٧، ٨٨.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٧/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٧/٢.

(٤) كرمان: من الاقليم الرابع ذات بلاد فارس ومدن واسعة من بلاد فارس ومكران وسجستان وخراسان، تكثر فيه التمور والارطاب والأشجار والثمار. الحموي، معجم البلدان، ٤/٤٥٤.

(٥) ابن حوقل، صورة الارض، ٢١٢-٢١٣؛ متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٨/٢.

خاصاً^(١)، متناسياً عن جهل ام عن عمد ان القرآن الكريم والشرائع الإسلامية اكدت على الاهتمام بالأيتام ورعايتهم رعاية خاصة، وقد اكد القرآن على ذلك في اكثر من (٢٠) موضعاً في القرآن الكريم^(٢).

وهنا لا بد من القول ان ما ذكره مترز من روايات وجدناها تنطبق على التكافل الاجتماعي اذ انه لم يفرّد عنواناً بهذا المسمى، لا تعني ان هذه النماذج والامثلة هي الاسمى والافضل في الحضارة الإسلامية، بل ان هناك نصوصاً وروايات كثيرة جداً تعطي الصورة الحقيقية لهذا العنوان، وقد كتبت عنها وتداولتها المصادر الاولية والمراجع الحديثة والابحاث^(٣).

وقد نقل مترز بهذا الخصوص قوله عن اليتامى والاهتمام بهم، ما نصه: "ففي اصفهان^(٤) مثلاً كان احد الصالحين يذهب بالأيتام يوم الجمعة إلى منزله، ويدهن رؤوسهم"، وفي مصر كان يوضع في المسجد خزانة فيها ادوية واشربة متعددة الاصناف، ويجلس في يوم الجمعة في المسجد طبيب للعلاج^(٥).

(١) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٩٩/٢.

(٢) ينظر: القرآن الكريم، سورة البقرة الآية /٨٣، ١٧٧، ٢١٥، ٢٢٠، سورة النساء الآية/٢، ٦، ٨، ١٠، سورة الانعام، الآية /١٢٥، سورة الانفال، الآية /٤١، سورة الاسراء، الآية /٣٤، سورة الكهف، الآية/٨٢، سورة الحشر، الآية /٧، سورة الانسان، الآية ٨، سورة الفجر، الآية /١٧، سورة البلد، الآية/١٥، سورة الضحى، الآية ٩، سورة الماعون، الآية ٢.

(٣) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٩٩/٢-٢٠٠.

(٤) اصفهان: لم اجد في معجم البلدان اسم لمدينة اسمها اصفهان، بل وجدت اسم مدينة اصبهان، وقال عنها الحموي: "اصبهان: منهم بفتح الهمزة، وهم الاكثر، وكسرها آخرون... مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن والمدن واعيانها... الاصب بلغة الفرس هو الفرس، وهان كانه دليل الجمع، فمعناه الفرسان والاصبھاني الفارس... كان اسبهاان وهي جمع اسبها، واسبها: اسم للجنود والكلب... وذلك ان افعالهما الحراسة [الجنود والكلب]". الحموي، معجم البلدان، ١/٢٠٥.

(٥) أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الاسلام؛ عبد العال، التكافل الاجتماعي في الاسلام.

٣. العادات والأخلاق السلبية:

يعد المجتمع الإسلامي واحداً من المجتمعات الكثيرة، التي تتخللها اخلاق وعادات سالبة غير محمودة، ولكن لا بد من القول ان هناك عادات واخلاقاً يطبع بها المجتمع وتصبح هي السائدة والغالبة، اما في المجتمعات الاسلامية فان الاخلاق والعادات الإيجابية هي التي كانت سائدة، اما ما هو سلبي فانه موجود معمول فيه، ولكن نسبة الذين يُقدّمون عليه، هل هي نسبة كبيرة، ام محدودة؟ وهل كان يفعله الخاصة والعامة معاً؟ ام الخاصة بشكل عام وجزء من العامة؟ وهل كل الخاصة كانت تقوم بتلك الافعال السلبية؟ حقيقة هذه التساؤلات ليس لدينا عليها اجابات رقمية دقيقة، ولكن من خلال استنتاج النصوص التي ذكرها متر يمكن الوصول إلى نتيجة معينة تؤكد ان هذه المظاهر ما هي الا مظاهر نسبية جبل عليها بعضهم دون الآخر، من كل الطبقات الاجتماعية، مع التركيز على الطبقة الخاصة منها.

أ . التشبب بالغلتمان:

عمل متر على تتبع النصوص والاقوال ذات العلاقة بالعادات والاخلاق السلبية، ورجع إلى المصادر الاسلامية المعتبرة مقتبساً منها ماله علاقة بالموضوع، واعطى بعض الاحكام عليها، وتأخذ نماذج مما افاد منه متر .

تناول متر موضوع الخصاء والخصيان، وولع بعض الخاصة منهم، وضرب مثلاً بهذا الشأن الخليفة الأمين، وقد اخذ متر عن المسعودي فقال: "يحكي المسعودي انه لما افضى الامر الى الامين قدم الخدم وأثرهم ورفع منازلهم، فلما رأته ام جعفر شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه وعمّت رؤوسهن... فاتخذ الناس الجواري المظوموات، والبسوهن الاقبيّة، والمناطق، وسموهن الغلاميات"^(١)، وفي مكان آخر وبهذا الخصوص المتعلق بالخليفة الأمين، وقد اخذ عن الطبري، قوله: "... وذلك ان الامين وهو ابن هارون الرشيد، لما ملك، بلغ من كلفه بالخصيان انه طلبهم، وابتاعهم، وغالى بهم، وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره... ورفض النساء الحرائر والإماء حتى رمي بهن وحتى قال أبو نؤاس ساخراً:

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٥٩/٢.

احمدو الله جميعاً
ثم قولوا لا تمأوا
صير الخصيان حتى
فاقتدى الناس جميعاً
يا جميع المسمأنا
ربنا ابقي الامينا
صير التعنين دينا
بامير المؤمنين^(١)

لقد تضمن النصان المتقدمان تضمناً كلام يفهم منه ان الخليفة الامين -بغض النظر عن صحة القول من عدمه- عندما كان مولعاً بالخصيان من الغلمان، كان الناس قد تأثروا فيه، واخذوا طريقته ومنهجه، فالعبارة في النص الاول التي تقول: (فاتخذ الناس الجواري...)، وفي النص الثاني البيت الشعري الذي قاله أبو نؤاس (فاقتدى الناس جميعاً بأمر المؤمنين)، يفهم من القولين ان هذا الفعل قد انتشر بين الناس بشكل كبير، وهذا ما سناتي إلى توضيحه وتبينه لاحقاً، وهذا ما يثبت القول الشائع بان: (الناس على دين ملوكهم).

وأشار متر إلى موضوع خطير ومهم بذات الوقت، الا وهو الاختلاف الفقهي بين فقهاء القرن الرابع الهجري بخصوص اللواط بالغلام المملوك وغير المملوك مستعيناً بقوله على: طبقات السبكي، وكتاب الخراج وصناعة الكتاب لقدامه بن جعفر، فقال: "... اما في القرن الرابع الهجري فقد اختلفت آراء الفقهاء في اللواط بالغلمان اختلافاً بيناً، فاراد البعض ان يعتبروه كالزنا، وان يجعلوا عقابه القتل والرجم، واراد اخرون ان يفرقوا بين اللواط بالغلام المملوك وغير المملوك، وقالوا ان الحد لا يلزم الاول بخلاف الثاني..."^(٢)، وهذا النص يؤيد انتشار ظاهرة اللواط في المجتمع إلى الدرجة التي اوصلت بعض الفقهاء للحديث عنه للوصول إلى حل وسط لمرتكب هذا الفعل، ولكن ربما هذا الاختلاف فيما بينهم، اوجد لتخليص بعض الخواص أو لإيجاد عذر ما، يبرر لهم القيام بأفعالهم الخارجة عن الاخلاق الاسلامية، وكان متر قد اشار في مكان آخر من كتابه بروايات عن بعض الخاصة حاول الفقهاء المتعلقون لهم، وليس الفقهاء الحقيقيون ان يجدوا لهم العذر للقيام بشرب

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٥١/٢-١٥٢. للمزيد من التفاصيل عن هذه الابيات. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١١٠/٧.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٥٩/٢-١٦٠.

الخمير مثلاً، وهذا ما قاله متز عن الخليفة الراضي^(١) (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م)، بالرجوع إلى (المنتظم لابن الجوزي، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي)، فقال متز: "... انه [الخليفة الراضي] كان اعطى الله عهداً الا يشرب [الخمير]... ولكن لم يزلوا به، ليشرب، فكتب رقعة بلفظ يمينه، وعرضها على الفقهاء، فوجدوا له رخصة كالعادة، فأعطى استاذه ونديمه الصولي الف دينار ليتصدق بها عنه وشرب"^(٢).

وهناك نص آخر يوضح فيه متز كيف ان عدداً من الفقهاء والقضاة كانوا يجتمعون ليلتين في الاسبوع بدار الوزير المهلبي، ويقضون ليلة حمراء من شرب وزنا ودعارة حتى الصباح، ثم يذهبون إلى محالّ عملهم بالوظائف الدينية المكلفون فيها رسمياً، وقد أشار متز إلى (بيتمة الدهر للثعالبي)، فاخذ عنه ما نصّه: "وكان الشراب عادة للكثيرين، حتى كبار ذوي المناصب الشرعية، فيحكى انه كان جماعة من الكبراء ينادمون الوزير المهلبي^(٣)، ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين، على المراح والتبسط في القصف والخلاعة، وانهم ثلاثة قضاة... وما منهم الا ابيض اللحية طويلها، فاذا تكامل الانس وطاب المجلس... وضع في يد كل منهم كاس ذهب، وزنه الف مثقال، مملوءة

(١) ذكر القاضي التنوخي رواية نستدل منها الاسراف الذي كان يقوم به خلفاء بني العباس، وعُتُوْنَ الكلام بـ: انموذج من اسراف الخليفة الراضي. اشار فيه الى مجلس شراب كيف هياه لنفسه وندماءه، والكمية التي وضعت من الكافور والريحان المغطى بالقطن الابيض المندوف عليه، حتى قدر الكفار بان كميته تزيد على الف مثقال وبعد ان طرب وشرب مع خاصته امر بنهب الكافور. وروى الصولي نديم الخليفة الراضي كيف ان الخليفة كان جالسا يوماً على اجرة، وكان نديمه الصولي وبعض الخواص وقوفا فامرهم ان يجلسوا فاخذ كل واحد منهم اجرة وجلس عليها وحدث ان اخذ الصولي اجرقتين ملتصقتين ببعضهما، وعندما نهضوا امر الخليفة بان يعطى لكل واحد منهم وزن الاجرة الجالس عليها دنانير، فتضاعفت جائزة الصولي. نشوار المحاضرة، ٢٩٦/١-٢٩٨.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٩.

(٣) الوزير المهلبي: ابو محمد الحسن بن محمد بن هارون، سمي بالمهلبي لانه يرجع بالنسب الى المهلب بن ابي صفرة، كان وزيراً لمعز الدولة احمد بن بويه، كانت وزارته في المدة ٣٣٩-٣٥٢هـ/٩٥٠-٩٦٣م. ابن خلكان وفيات الاعيان، ٢/١٢٤-١٢٧ ترجمة رقم (١٧٨)؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٣٣٨-٣٤١ ترجمة رقم (١٢٧).

شرباً فُطْرِيًّا^(١)، أو عكبرياً^(٢)، فيغمس لحيته فيه، بل ينقعها نَقْعاً، حتى تنتشر بكثرة، ويرش منه بعضهم على بعض ويرقصون اجمعهم... فاذا اصبحوا عادوا عادتهم إلى التزمّت والتوقّر والتحفّظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء^(٣).

النص الأول المتعلق بحلف وقسم الخليفة الظاهر، اثبت ان هناك عدداً من الفقهاء من يبيع شرف مهنته لإرضاء السلطان، وهذا ما اردنا قوله بخصوص الفقهاء الذين اختلفوا حول جواز اللواط بالمملوك وغير المملوك، فرما جاء في هذا النقاش والاختلاف بين الفقهاء الذي ذكره متر، والذي اشرنا اليه سابقاً، ربما لإيجاد عذر شرعي قد شرّعه الذين سمّوا انفسهم فقهاء لإرضاء غريزة بعضهم من اهل السلطة السيئين، امثال الخليفة الظاهر -ان صحّت الرواية- الذي ورد في نص القول، اذن هذه الرواية يمكن من خلالها اثبات القول الذي اردناه، وهو وجود فقهاء لا نمة لهم امام ارضاء السلطان، ووجود بعض الخاصة يمكن ان تشرّع لأجل غرائزهم التشريعات التي لا اساس لها من الشرع الصحيح، ولدينا من الخاصة واصحاب النفوذ والسلطة ورجال المناصب الدينية ممن ارتكب اعظم الكبائر وهو ما جاء في بنص الرواية الثانية التي ذكرناها عن الوزير المهلب والقضاة الثلاثة الذين كانوا يسمرون عنده ليلتين من كل اسبوع، وما يقومون به لياليهم الماجنة الخليعة، وما يصبحون عليه بمزاولة مهنتهم الدينية كقضاة وقرين.

وذكر متر عدداً من الاعلام الذين لهم شهرة في التاريخ والذي كان لهم هوى في حب الغلمان والتشبيب بهم، مثل: الفقيه أبو داود^(٤)، والشاعر الخبز أُرزي^(٥)، والشاعر أبو بكر الصنوبري^(٦)،

(١) شراب فُطْرِيْل: بالضم ثم السكون ثم ثم فتح الراء وباء موحدة ه مشددة مضمومة ولام، وهي كلمة اعجمية لاسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب اليها الخمر، وما زالت -اي عصر ياقوت- منتزها للطالبيين وحانة للخمارين، وينسب اليها الشراب. الحموي، معجم البلدان، ٣٧١-٣٧٢.

(٢) شراب عكبري: نسبة لبليدة عكبرا وهي من نواحي الدجيل قرب صريفيين تبعد عن بغداد عشرة فراسخ، وهذا الشراب نسبة اليها؛ لان ياقوت الحموي ذكر ابيات شعرية ذكر فيها النبيذ عند ترجمته لهذه البليدة. الحموي، معجم البلدان، ١٢٤/٤.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٤٠/٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٢/٢.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦١/٢.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٥/٢.

وسيف الدولة الحمداني^(١)، أبي فراس الحمداني^(٢)، والشاعر احمد بن كليب الحموي^(٣)، وغيرهم ممن وردت اسماؤهم في كتاب متر، الذي بدوره ساق لكل واحد منهم قصة علاقاتهم الانحرافية مع الغلمان والتعزّل بهم واتخاذهم كمقربين لهم ومن جملة حاشياتهم وخاصتهم^(٤).

الاعلام الذين ذكروا سابقاً، والحكايات التي كتبت عنهم بهذا الشأن ليست مقياساً لباقي المسلمين، وليس بالضرورة ان كان هؤلاء حقاً قد قاموا بأفعال من هذا النوع ان يكون غيرهم قد فعلها ايضاً، كما انهم لا يمثلون عامة المسلمين، ولا يمثلون من عمل عملهم، الا الذين اقتنوا بهم وصنعوا مثل صنيعهم، اذن يمكن القول ان هكذا نوع من العمل للأخلاقي موجود ولكن بنسبة معينة لا يمكن من خلالها ان نقول عن المجتمع انه طبع بهذا الطابع السلبي، فقط لأن عدداً من الخاصة والعامة مارسوا هكذا فعل.

ب. الخصاء.

الخصاء في اللغة جاء بتعاريف عدة، فالخصي حسب قول ابن منظور^(٥) هو: "من الفعل خصاء، والخصيتان هما بيضتا الذكر، والخصيتان الجلدتان اللتان منهما البيضتان"، والخصي يأتي بضم الخاء وبكسره، وخصاه أي شلّ خصيتيه، والخصية من اعضاء التناسل^(٦).

أما في الاصطلاح، فقد قال الشيخ الطوسي^(٧): "الخصي الذي سلّت بيضتاه وبقي ذكره فهذا يولج اشد من ايلاج الفحل، وينزل ماءً رقيقاً لا يكون منه الولد، وقيل انه لا ينزل اصلاً"، وقيل ايضاً: "خصيت الفحل خصاء: اذا سللت اثنييه أو قطعتهما فهو خصي"^(٨).

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٢/٢.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٠/٢.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٣/٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٥-١٥٩/٢.

(٥) لسان العرب، ٢٣٠/١٤.

(٦) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٣٢٤/٤.

(٧) المبسوط في فقه الامامية، ١٤٢/٥.

(٨) قلعي، معجم لغة الفقهاء، ١٩٦.

وقد نهى الدين الإسلامي عن الإقدام على هذا الفعل سواء أكان المرء مختاراً^(١)، أو مجبراً^(٢)، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا مُرْتَهَمٌ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾^(٣)، واختلف العلماء في معنى كلمة: (التغيير) في الآية، فقالت طائفة منهم ان المقصود هو: (الخصاء)^(٤).

وقد وردت مرادفات عدة في اللغة العربية للخصاء، وكل منها يعط معنى خاص به، وكان لظاهرة الخساء جذور تاريخية تعود إلى العصور القديمة في العراق القديم، واختلفت مسمياتها القديمة، وكذلك المعلومات التي تناولت الاقوام التي مارست هذه الظاهرة، والكيفية التي كان يمارس بها الخساء، مع الاسباب المتعددة التي تسببت بإيجاز هذا الفعل، والتغيرات الدينية والنفسية التي ترافق الشخص الذي يعرض للخصاء، وكذلك التغيرات الوظيفية وغيرها^(٥).

تناول متز هذه الظاهرة، مبيناً تحريم الاسلام خساء الانسان والبهائم معا، ولكن يوعز متز وجود هذه الظاهرة في الدولة الاسلامية بانها قد جاءت من الشرق، فقال: "... وهذا [الخصاء] ايضاً دخل على الإسلام حوالي عام ٢٠٠هـ/٨١٥م، بسبب تقلص ظل الروح العربية، عادات شرقية قديمة..."^(٦).

وارجع متز هذا الفعل للنصارى واليهود، دون المسلمين، فقال: "وقد احتال المسلمون للإفلات من حرمة الخساء بأن كانوا يشتركون الخصيان، تاركين لليهود والنصارى اثم هذا العمل الشنيع"^(٧)،

(١) تحدث الجاحظ عن اقدم النصارى على اخصاء اولادهم وايفادهم إلى بيوت العبادة للخدمة فيها، أو يطلبون الخساء لأنفسهم، ويقدمون عليه برغبتهم طلباً للديانة والتعبد والابتعاد عن المحارم والآثام، اشتهر الصابئة بشكل كبير للأقدام على اخصاء انفسهم، وأشار الجاحظ إلى اسماءهم وانسابهم، كتاب الحيوان، ١/١٢٤-١٢٩.

(٢) مارس عدد من الخلفاء الخساء عن طريق إعطاء الامر بإخصائها اشخاص، لتصفية الحساب في العصر الاموي والعباسي كذلك الاندلس. الشمري، الخصيان والمترجلة، ١٧٩-١٨٢.

(٣) سورة النساء، الآية/١١٩.

(٤) النحاس، معاني القرآن، ٢/١٩٥؛ الشيخ الطوسي، التبيان من تفسير القرآن، ٣/٣٤؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥/٣٨٩.

(٥) للتفاصيل عن الجذور التاريخية والمسميات والاسباب مع التغيرات التي تطرأ على المسمي. ينظر: الشمري، ظاهرة الخساء خلال العصور القديمة، ١٥٨-١٧١؛ الشمري، الخصيان والمترجلة، ١٦٢-٢٠٧.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٥١.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/١٥٢.

ذكر الجاحظ^(١) ان اول من ابتدع هذا العمل هم الرومان^(٢)، اذ قال: "وكل خصاء من الدنيا قائما اصله من قبل الروم"، وذكر متز المناطق التي كان يمارس بها الخصاء، مثل مدينة هدية في الحبشة، وذكر ان هناك ديّارات اعتمدت على الخصاء كمورد اقتصادي مهم لها، مثل مصر التي كان فيها ديّران قبطيّان دخلهما الرئيس هو الخصاء، حتى ذكرا أنهما يمولان كل مصر والمناطق الاخرى بالخصيان^(٣).

شاع عند المسلمين لاسيما اهل الغنى واليسار والسلطان الذين مستوى معيشتهم مرتفعا، بأن يكون في قصورهم عدد من الخصيان للخدمة والقيام بالأعمال التي يحتاجها صاحب القصر أو نساؤه، حتى أصبحت من العادات الشائعة، وجودهم في تلك البيوت والقصور، واعتاد العامة السخرية من اولئك الخصيان الخدم والاستهزاء بهم، لما يرونه منهم من ردود فعل تبعث السخرية والضحك، وبهذا الخصوص قال متز: "وكان الخصيان دائما يلقون من العوام كثيرا من السخرية؛ ويحكي المسعودي ان العوام كانوا يستهزئون بالخدم السودان في الشوارع، ويصيحون بهم ويقولون: يا عقيق، صب ماء واطرح الدقيق، يا عاق ياطويل الساق..."^(٤)

وانتشرت حكايات وقصص الخدم الخصيان حتى اصبح ذكر قصصهم وحكاياتهم مادة مشوقة تداولها اصحاب النوادر، فقال متز: "وكانت قصص الخدم [الخصيان] موضوعاً دائماً للقصص واصحاب النوادر والمضحك في الطرق، وكان تقليد اصواتهم وحركاتهم مما يجذب الناس اليهم"^(٥).

الا ان هذه العادات التي شاعت وانتشرت، لم تستمر طويلاً فسرعان ما انحسرت واستبدلت بضعها خلال القرون الرابع والخامس والسادس الهجرية، فانقلبت العادات والاخلاق المعمول بها مع الخدم الخصيان رأساً على عقب، وصارت تطلق عليهم القاب الاحترام والتفخيم، بل حتى الاسماء

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١٢٤/١.

(٢) النصوص التاريخية اثبتت ان اول من مارس هذا الفعل هم الآشوريون. للتفاصيل، ينظر: الشمري، ظاهرة الخصاء في العصور القديمة، ١٦٠-١٦١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٢/٢.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٥/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٥/٢.

التي تسموا بها اصبحت تدل على الاحترام، فسمى بعضهم بـ: (المعلم، الشيخ، الاستاذ)، وقال متز: "على حين كانوا في العصور الاولى يسمون بالخصيان، مع ما في ذلك من تشهير"^(١).

مارس الخصيان عادات وعرفوا باهتمامهم بها، حتى قال متز في هذا المجال: "ومن صفاتهم التي يختصون بها ولوعهم بالعبث واللعب بالطير والفخ، وهم اكثر من يرتاد اسواق الطيور..."^(٢).

ومما تجدر الاشارة اليه أن هناك الكثير من الخصيان، اصبح لهم دور كبير في تاريخ الدولة الاسلامية، فمنهم من تدرج إلى قيادة جيوش أو الانفصال بإمارات مستقلة، ومنهم من عينوا امراء على امصار، وغيرهم اوفد بسفارات، بعد ان اصبحوا يجيدون اخلاق السفراء، ونجد منهم من برع في الفقه، ورواية الحديث، وصنفوا في العلوم الاسلامية^(٣).

ت . شرب الخمر:

نهى الدين الاسلامي عن شرب الخمر نهياً شديداً، وحذر من الاقدام على شربه كثيره وقليله، وجاء النهي بنصوص قرآنية^(٤)، وحديثية^(٥)، منها بالتصريح وغيرها بالتلويح، وقد ساق متز الكثير من النصوص والاقوال التي تدل دلالة واضحة على أن شرب الخمر والمسكر اصبح واحداً من العادات والاخلاق المنبوذة التي عمت الكثير من الاوساط في المجتمع الاسلامي خاصته وعامته، فقال متز: "وكان الشراب منتشراً رغم نهى القرآن عنه، ولكن مسألة الشراب كانت تختلف باختلاف البلاد،

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٥/٢.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١٥٧/٢.

(٣) الشمري، الخصيان والترجلة، ١٧٩-١٨٢.

(٤) الآيات القرآنية التي جاء فيها نهى شرب الخمر هي سورة البقرة، الآية/٢١٩، سورة الاعراف، الآية/٣٣، سورة المائدة، الآية/٩٠-٩١، سورة النساء، الآية/٤٢.

(٥) جاء في الاحاديث النبوية نهى وتحذير عن شرب الخمر. للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابن حنبل، مسند الامام احمد، ١٤٠/١، ١٩/٢، ٢٢، ٢٨، ٣٥، ٢٣٤/٤، ٣٨٤، البخاري، صحيح البخاري، ١٥٨/٦، ٢٤٠، ١٧٧/٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ٧٦/٣، ١٠١-١٠٠/٦؛ الشيخ الطوسي، الاستبصار، ١٢/٣، ١٧٩، ٢١٢/٤، ٢٢٩، ٢٣٥؛ تهذيب الاحكام، ٢٩٨/٧، ٣٩٨، ١٠٩-١١٠/٨، ١١٦.

فبينما كان يُعاقب عليه في الحجاز... كان اهل العراق لا يرون ان بالشراب باساً^(١)، وهذا القول اخذه عن تاريخ الطبري، ويدل على الاخلاق والعادات التي كانت تتعلق بهذا الأمر، فبالرغم من ان التشريع واحد والقانون والنظام واحد، الا ان العادات السالبة والاخلاق المنبوذة اختلفت من مكان لآخر، وقد اشار متر إلى مدينة مراكش في بلاد المغرب الإسلامي فقال: "ويحكى عن نساء مراكش، وهي بلاد كثيرة الاعناب، انهن كنّ مولعات بالشراب، ويحدثنا [القول لمتز] أحد الرحالين المُحدّثين ان اول جني العنب يكون الكثير من اهل مراكش سكارى"^(٢).

النص السابق اشار فيه متر إلى النساء في مراكش وخصّهن بقوله وقرن شرابهن بكثرة الاعناب، ثم عمّ القول: (الكثير من اهل مراكش)، وقرنهم بكلمة: (سكارى)، وهذا الكلام يدل على انتشار شرب المسكر الذي يصنع من العنب، ويقول اسنده للمقدسي عن مصر، بيّن فيه تحديّ هواة وعشاق شرب الخمر للسلطة، فقال: "ان المشايخ بها [مصر] لا يتورعون عن شرب الخمر، حتى ترى الشيخ منهم سكران، وذهبت كل اوامر رجال الشرطة سدى..."^(٣)، وفي هذا النص عندما قال: (المشايخ)، فالمقصود هنا ليس الرجال كبار السن، بل ربما يقصد ممن كان له دور في المشيخة الدينية، أو ممن تولوا المناصب الدينية، لأن هناك نصوصاً أخرى واقوالاً ذكرها متر عن رجال تولوا ولايات دينية في بعض مناطق الدولة الإسلامية المعروفة، قد تعاطوا شرب الخمر والسكر، فقد قال متر عن الخليفة القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م) سانداً قوله: (لمسكويه، وابن تغري بردي)^(٤)،

(١) متر، الحضارة الإسلامية، ٢٣٨/٢.

(٢) متر، الحضارة الإسلامية، ٢٣٨/٢.

(٣) متر، الحضارة الإسلامية، ٢٣٨/٢. قول متر المذكور في المتن راجعنا مصدره الذي اخذ عنه فوجدنا ان هذا القول ذكره المقدسي عند ترجمته لمدينة الفسطاط بمصر، فقال: "...لايتورّع مشايخهم عن شرب الخمر، ولا نساؤهم عن الفجور. للمرأة زوجان، وترى الشيخ سكران...". المقدسي، احسن التقاسيم، طبعة المؤسسة العربية، ٢٠٠٣م، ١٩٤. نص المقدسي الذي سقناه هنا لايمكن الركون اليه وتعميمه، بل يمكن القول ان هذه الظاهرة التي اشار اليها المقدسي ان وجدت بالفعل فهي نسبية الحصول وليس مطلقة.

(٤) وذكر الذهبي في حوادث سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م، فقال: "وفيها امر القاهر بتحريم القيان والخمر، وقبض على المغنين، ونفى المخانيث، وكسر آلات اللهو. وامر ببيع المغنيات من الجوارى على انهن سواذج. وكان مع ذلك يشرب المطبوخ والسلاف، ولا يكاد يصحو من السكر، ويختار القينات ويسمعهن". تاريخ الاسلام، ٩/٢٤.

ما نصه: "لا يكاد يصحو من السكر"^(١)، وقال عن المستكفي (٤١٤-٤١٦هـ/١٠٢٤-١٠٢٦م): "قد ترك النبيذ، فلما افضت اليه الخلافة عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م دعا به من وقته، وعاد إلى شربه"^(٢)، وبإشارة صريحة منه أن الشراب أصبح عادة الكثير من الخاصة^(٣)، فقال: "وكان الشراب عادة الكثيرين، حتى كبار ذوي المناصب الشرعية..."^(٤).

وبإشارة طريفة منه عن الخليفة الراضي الذي حلف ان لا يشرب، الا ان حاشيته اوجدوا له حلاً ورخصةً - كما مر بنا- تخوله من شرب الخمر، وعاود شربه^(٥).

ومن المآخذ والسليبات التي يمكن تاشيرها على متز، هو اعتماده مصادر متأخرة -تعود الى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي- في دراسة شخصيات عاشت في العراق في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

أما قول متز: "وانتشرت دور الخمر..."^(٦)، فهي دلالة على انتشار طاليبه، وشاربيه، والذين كانوا يقدمون عليه بكثرة ايام الاحتفالات الدينية للنصارى، اذ ترددت العبارات الدالة، على تعاطيه، بأماكن عدة عند متز، مثل: "وكثيراً ما يقرن ذكر الاديرة بذكر الشراب..."^(٧)، وقال في ليلة الوقود: "... وحضر الوقت الذي ينبغي ان يجلس فيه مع الناس للطعام ثم للشراب..."^(٨)، وقال في أحد الاعياد: "وهناك يدور الشراب"^(٩)، وفي عيد آخر، قال: "ويعترون ديّره واكنافه وحاناته"^(١٠)، وقال

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٩.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٩.

(٣) للاطلاع على التفاصيل. ينظر: السهمي، تاريخ جرجان، ٤٧٦ ترجمة رقم ٩٥١؛ السمعاني، الانساب، ٤/٥٠٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١/٥٠٩، ٥٩/٣٠٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ٩/٣٩٣، ٢٥/٢٥٣؛ تذكرة الحفاظ، ٢/٧٥٦؛ ميزان الاعتدال، ٣/١٣١، ٤٩/٣؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٤/٢٣٠، ٤٣٦.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٠.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٩.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٨.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٧.

(٨) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٢.

(٩) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٧٩.

(١٠) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٠.

ليلة الغطاس: "... ويظهرون كل ما يمكنهم اظهاره من المأكل والمشرب..."^(١)، وقال يصف احتفال النصارى والمسلمين بأحد الاعياد، ما نصه: "... فاجتمع عند كنيسة المقدس^(٢)، خلق كثير من النصارى والمسلمين من القيام للأكل والشرب واللهو، وشوهد من سكر النساء وتهتكهن وحملهن في قفاف الحمّالين سكارى..."^(٣)، وأشار إلى أحد اعياد مصر، فقال: "وكان يُباع فيه من الخمر خاصة بما يزيد على مائة الف درهم فضة..."^(٤).

وكان في بيوت الخاصة والكبراء شخص يسمى: (الشرابي)^(٥)، وظيفته العناية بالشراب وأدواته، وما يحتاجه الشراب، وان يكون مجيداً للصنعة التي اوجد لأجلها^(٦)، ووصف متز مجالس الشراب وانواع هذه المجالس ومسمياتها، فقال: "اما كثرة الشاربين وقَلَّتْهم فكان يكره جلوس الاثنتين للشراب، وهو يسمى المنشار، لأن المنشار يجلس عليه رجلان؛ وكان الثلاثة يعتبرون اتمّ مجلساً، لأن الاثنتين ان نهض احدهما لبعض حاجته فيبقى الاخر وحده واجما... فإننا نجد أبا نؤاس يقول:

وصاحب الدعوة والضارب

ثلاثة في مجلس طيب

اتاك منهم شغب شاغب^(٧)

فان تجاوزت إلى سادس

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٤.

(٢) كنيسة المقدس: بالفتح ثم السكون ثم سين مهملة، والمقدس مسيحية قبل بناء القسطنطين، حاصرها عمرو بن العاص وقاتله اهلها قتالا شديدا سنة ٢٠هـ/٦٤١م، ثم فتحها. الحموي، معجم البلدان، ٥/١٧٥. ينظر: القرشي فتوح مصر واخبارها، ١٥٨.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٦.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٨٦.

(٥) الشرابي: بفتح الشين المعجمة والراء، وهي نسبة الى الشراب، واشتهر بهذه النسبة جماعة من المحدثين كان بعض اجدادهم اشتهر بهذه الصنعة وحفظ الشراب. السمعاني، الانساب، ٣/٤١١.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٠.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٢.

النص المتقدم يوضح عدد الجالسين على مجلس الشراب، الذي يستحب الآ يزيد عددهم^(١) كي يكون المجلس بحسب رأيهم مثالي، وقد اشير إلى ذلك ايضاً بأبيات من الشعر:

فليدع منا خمسة متميزين ولا يزد
فدوين هذا وحشه وفويقه سوق الاحد^(٢)

وكان من مصاحبات الشراب، الغناء والرقص والموسيقى، واستحسن حضور مجلس الشراب نساء ذوات لباقة، وجرت العادة ان تنتثر ارض قاعة الشراب بالزهور، وكذلك وضعت آداب معينة عندهم اعتادوا الالتزام بها والتأدب بما يقتضي، والآ كان الامر عيباً ومأخذاً على من يخالفها، فقال: "وكان المتظرفون يحيي بعضهم بعضاً بالورد، وكان لا يستحسن ان يدفع بعضهم إلى بعض وردة واحدة؛ ولا تقول متظرفة لأخرى هذه وردتك، فهذا عندهن من اكبر العيوب، ويعتبرونه كلام العوام، وكان الادباء يحيي بعضهم بعضاً بالفاكهة على الشراب"^(٣).

وقد تفنن البعض بالتعرف على انواع المشروب من الخمر تمييزاً لجيده عن رديئه، فنقل متز عن: (معجم الادباء لياقوت)، عن قاضي من القضاة كان يحضر مجلس شراب كاتب ل احد الخلفاء،

(١) نقل الابشيبي ابيات شعرية يبين فيها المجلس المثالي للشرب وهو ثلاثة اشخاص فقال:

ثلاثة في مجلس طيب عيشهم مافييه تكدير
هذا يغني ذا وهذا الذي يسقي وذا بالشرب مسرور

وقال في المجلس الذي يتكون من اربعة اشخاص:

الا انما خير المجالس مجلس فتاة وساق والمغني وصاحب
به وله صفو الزمان مساعد وخامسهم هم على الكل زائد

وقيل في مجلس الشراب الذي يجمع ستة اشخاص:

خير المجالس خمسة او ستة فاذا تعدى صار شغلا شاغلا
او سبعة او على الكثير ثمانية ولئن اتيت به فامك زاننة
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس

المستطرف في كل فن مستظرف، ٢/٧٢٠.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٢-٢٤٣.

قد شرب سبعة انواع من الخمر بذلك المجلس، ثم لفّ بطيلسانه وحمل على داره بعد ان اخذ منه السكر مأخذاً^(١).

هذه العادات والاخلاق التي ذُكرت فيما مرّ من القول تدل دلالة واضحة على أن اصحاب السلطة والغنى كان الكثير منهم يمارس هذا الفعل ويدمن شرب المسكر، بل تعدّاه إلى اكثر من هذا، اذ عمّت هذه العادات والاخلاق الفقهاء الذين تولوا مناصب الوزارة، والكتابة، وقاضي القضاة، والقضاة، والكتّاب، ناهيك عن ما كان يفعله الخلفاء انفسهم في بغداد وفي القاهرة على حد سواء، ولا نستثنى الاندلس التي سجل تاريخها هذه الأخلاق وتناقلتها المصادر، كالعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي، والرقيق القيرواني وغيرهم.

ث . الفُحش والبغاء .

كثيرة هي النصوص التي تناولها آدم منز بخصوص ظاهرة: (الفُحش)، والتي أصبحت عادة قد اعتادها عدد من الخاصة والعامة، ناهيك عن كونها من الاخلاق التي تُخلّق بها سلباً اولئك الذين مارسوها وزاولوها، وسنعمل على سوق نماذج منها على سبيل الامثلة التي تدعم كون ممارسة مثل هذا الأمر قد اعتيد على عمله وتكراره بشكل مستمر من قبل افراد معينين من دون غيرهم.

بالرغم من تشريع الإسلام لتعدد الأزواج، وفرض عقوبات تشريعية صارمة قد سنّها الدين الاسلامي الحنيف بحق الزناة ومرتكبي الفاحشة بمختلف تصنيفهم الاجتماعي سواء كانوا عزاباً أو محصنين، وتباينت هذه العقوبات والزواجر بين الحدّ والرجم، لكل حسب ما ارتكبه من جُرم، وبتفصيل للحالات والأدلة والشهود، كما شدد الاسلام على اثبات ذلك تشدداً منقطع النضير بما يتعلق بالشهود، حرصاً منه على وقوع العقوبة المغلّظة بحق الذي يخطئ بهذه الكبيرة^(٢)، ولو ان هذا التشريع سرى مفعوله حقاً من دون مجاملة على الجميع لاسيما أصحاب النفوذ والسلطة منهم، لكان الحال بغير ما وصلت اليه الامور من انتشار الرذيلة وتفشيها في اوساط اهل النفوذ والسلطة.

(١) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤٠. للتفاصيل عن الرواية، ينظر: الحموي، معجم الادباء، ١٤/٣٥-٣٩.

(٢) ينظر: الامام مالك، كتاب الموطأ، ٢/٨٢٦ (باب حد الزنا)؛ الشافعي، كتاب الام، ٥/١٨٦، ٦/١٤٥، ١٥٦، ١٦٨،

٢٧٠؛ الشيخ الطوسي، المبسوط في فقه الامامية، ٥/١٨٢، ١٩١-١٩٢، ١٩٩، ٢٠١-٢٠٢، ٢١٢.

ذكر متز البغاء في الدولة الاسلامية مؤكداً على شيوعه، فقال: "... وقد انتشر البغاء في الاسلام على الرغم من انه اباح الزواج بأكثر من واحدة..."^(١)، وهنا بيّن متز ان البغاء قد انتشر برغم التهديد والوعيد بالعرف الاجتماعي والحكم الشرعي، ومن جانب آخر السماح بتعدد الزوجات^(٢)، فقال: "ان العرف كان ينكر البغاء... على الرغم من ان الشريعة جعلت حد الزاني المتزوج قاسياً، ففضت ان يرجم حتى الموت"^(٣).

وعن الفحش فإنه اخذ عن المقدسي، فقال: "ان النساء بمصر لا يتورعن عن الفجور، وللمرأة زوجان؛ وهو يقول [المقدسي] عن أهل شيراز، وحُدثت عن نساءهم بشيء قبيح، ويحكى ان نساء هراة يغتلمن اذا ازدهرت اشجار الغبيراء كما تغتلم السنانير"^(٤). ومن نافلة القول ان رواية المقدسي عن نساء مصر التي اخذ بها المستشرق لا يمكن ان تعمم على جميع نساء مصر، ويصعب قبولها؛ لأن التعميم ولاسيما في مثل هذه الحالات محفوف بالخطأ والمبالغة.

أشار متز إلى وجود أماكن عامة في بغداد ومصر خُصّصت للهو والخلاعة والخمر وطلابها، فقال: "... كان على شاطئ دجلة مكان للهو فيه إلى جانب الخمار، والخمر (ضبي غرير)، أو (ضبية غريرة) وقاصده لا يدفع لهذا كله في الليلة الآ درهمين"^(٥)، وفي هذا المضمار الذي يؤكد وجود أماكن ودور خاصة للزواني يمارسن فيها الفحش والبغاء، فقد ذكر متز حكاية قال عنها انها: (اخترعت)، أي حكم على نفيها، ولكن نفهم ان هناك أماكن خاصة للخلاعة وبيوت الزواني بعلم الدولة، فقال: "وفي حكاية اخترعت حوالي القرن الرابع الهجري ان عضد الدولة (٣٧٢هـ/٩٨٢م) خطب الاميرة جميلة الحمدانية، فامتنعت عليه، فلما اسرها استولى على جميع اموالها، وقيل انه فرض عليها مالاً، والزمها اما ان تؤديه أو تختلف إلى دار القحاب، لتكتسب ما تؤديه"^(٦)، وأكد

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٧/٢.

(٢) قال تعالى في كتابه الكريم: "وان خفتن الآ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتن الآ تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الآ تعولوا" سورة النساء، الآية/٣.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٧/٢. للتفاصيل عن حكم الزاني. ينظر: احمد بن حنبل، مسند احمد، ٤/٢٨٦؛ مسلم، صحيح مسلم، ١٢٢/٥.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٢/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٢/٢. ينظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، ١/٤٨٣.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٨/٢.

متز ذلك بمعلومات عن وجود مثل هذه الاماكن في مناطق مختلفة من الدولة الاسلامية، فقال: "... غير ان المقدسي يحكي لنا انه في مدينة السوس قسبة خوزستان، ترى دور الزنا عند ابواب الجامع ظاهرة"^(١).

وبإشارة صريحة ذكرها متزن تعطينا صورة بوضوح أكثر على ان ظاهرة الفحش كانت تزاول على مرآى السلطة ومسمعا ودرابتها، وتخويلها، لأن النص الذي سناتي عليه ذكر فيه (المحتسب)^(٢)، والوالي، ويذكر فيه تخويلا: (اجازة بالعمل)، ويذكر الفندق كمكان يمارس فيه الزنا، فقال: "ومما اخصت به مدينة اللاذقية"^(٣)، ان المحتسب فيها كان يجمع القحاب والغرباء المؤثرين للفساد من الروم في حلقة وينادي على كل واحدة منهم، ويتزايد الفسقة فيهن لليلة؛ ثم يؤخذن إلى الفنادق التي يسكنها الغرباء، بعد ان تأخذ كل واحدة منهم خاتماً يسمى خاتم المطران^(٤)، ليكون حجة بيدها من تعقب الوالي لها، وأن وجد خاطئ مع خاطئة من غير خاتم المطران عوقب"^(٥).

وتناول متز الطريقة التي عمل فيها الهنود لكسب المال بان فرضوا ضريبة على الغواني والراقصات فقال: "وهكذا كان عضد الدولة، وأضاف اليه حماية الرعية من عزاب الجند، وقد اخذ الفاطميون بهذا النظام ايضاً، ففرضوا الرسوم على بيوت الفواحش"^(٦).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٩/٢.

(٢) المحتسب: نظام اوجد في الاسلام بهذا المسمى ويعني ايضاً: (صاحب السوق)، وكلف بواجبات عليه القيام بها على اكمل وجه، وهو جهة رقابية. النووي، المجموع، ٣٤/١٣، ٣٦؛ الحطاب الرعيني، مواهب الجليل، ١٨١/٨.

(٣) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام من اعمال حمص. الحموي، معجم البلدان، ٥/٥.

(٤) المطران: هو منصب ديني مسيحي والمناصب الدينية المسيحية تتدرج كالاتي: بطريق كنيسة انطاكية، يكون تحته الجائليق وهو رئيس نصارى بلاد الاسلام في العاصمة بغداد، ياتي بعده المطران، ويكون بعده الاسقف، ثم القسيس، ثم الشماس. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١٥٣/٣، ٣١٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ٥٩/١٣.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٨/٢-١٦٩. ينظر بهذا الشأن: الحموي، معجم البلدان، ٦/٥.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ١٦٨/٢.

النصوص متقدمة الذكر، اخذها متر عن المصادر الإسلامية، وقد عملنا على تتبع تلك المصادر فوجدنا دقة متر في استقاء معلوماته، كما وجدنا ما اشار اليه في مصادر اخرى معتبرة وقد تناولت شواهد وأدلة اكثر مما نقله متر عنها، ناهيك عن امانة متر في النقل بهذا الخصوص، كما نبين هنا بأن هذه الاخلاقيات والعادات لم تكن اخلاقيات عامة المجتمع، كما لا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات الاسلامية ان يكون مثالياً مطلقاً، لوجود وتباين بالقدرات والمعتقدات والظروف المحيطة بكل مجتمع من المجتمعات لاسيما الاسلامية منها، ونحن في خضم هذا الموضوع فكل ما كتبناه جاء من منطلق ايماننا بأن العادات والاخلاق والمظاهر السلبية موجودة في المجتمع الاسلامي الا أنها محدودة ولم يصطبغ المجتمع الإسلامي بصبغتها، بل على العكس فان مثل هذه العادات والاخلاق شذ فيها نفر من الخاصة والعامة، وهذا الشذوذ هو الذي جعل من الحوادث السلبية المتعلقة بهم محط انظار الذين كتبوا فركزوا عليها، بعدّها خارجة عن المسار العام للمجتمعات الاسلامية.

٤. ولع الخاصة بالشعر.

تتوعدت اهتمامات الخاصة الشعرية وتعددت أدواقهم والتلذذ بسماع الشعر وبمختلف اقسامه، وقد اصبح من العادات التي شاعت في الدولة الاسلامية لاسيما عند الخاصة، بل يمكن القول انه عكس اخلاقيات بعض منهم بحسب مادته التي يحتويها، واثار متر إلى ذلك في اكثر من مناسبة، محاولاً الافادة من ذلك الارث الكبير الضخم الذي خلفه العرب في مجال الشعر، وعمل على اقتباس ما يخدم الموضوع الذي يكتب عنه؛ لذلك سنعمل على تتبع ذلك وبالمقدار المتعلق بموضوع البحث.

نقلت دواوين الشعر مادة تاريخية ضخمة تعددت مجالاتها، ومع ان الشعر كتب لتخصصه ولم يكتب ليكون مادة تاريخية، الا ان الكثير من الشعراء اّرخوا لحوادث بأبيات شعرية اراد منها ان تكون وصفاً لحادثة أو لعمل معين ما، قد قام به شخص^(١)، ولا يمكن القول ان ما كتب شعراً يعطي وصفاً واقعياً حقيقياً عن حدث ما، بل يمكن القول ان هناك مبالغة في الاقوال وتزويقها وتلميعها،

(١) على سبيل المثال لا الحصر: الامين، اعيان الشيعة، ٦٧/٥.

واختيار الفاظ جاذبة ومؤثرة، وربما القيام بهكذا شيء سيصور الحادثة بصورة فيها نوع من الاختلاف عن الواقع -وان كان الاختلاف جزئيا- ولكن يمكن من خلالها السيطرة والاتقان على الكثير.

من العادات التي اعتادها اصحاب النفوذ والجاه من الخاصة تذوقهم للشعر في مجالسهم مع حاشيتهم وخواصهم، وقد تعددت الاخلاقيات المذكورة في الشعر الذي يُنشد أو يُغنى في تلك المجالس، والغالب على ما ذكره آدم متز من الابيات الشعرية ذات العلاقة بالموضوع هو شعر المجون والخلاعة والسُخف^(١)، وربما يعود السبب في ذلك الى ان ادم متز كان مهتما بالادب العربي واللغة العربية، واراد ان يكتب كل ما هو مثير وجديد.

وقد وصف متز الشعر الذي تداوله شعراء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فقال: "وقد سيطرت على شعراء الهجاء بنوع خاص من الالفاظ البذيئة المستمدة من المجون المتصل بالمسائل الجنسية..."^(٢).

وينتقد متز الاعلام والشعراء المشهورين من خلال تهكمه عليهم بألفاظ، منها عندما قال ابن المعتز: "اما ابن المعتز، وهو الامير العباسي الشاعر (المتوفى عام ٢٦٩هـ/٩٠٩م)، فانه اجاب على حبيب له في ظهر كتابه، وهو يبين سبب ذلك فيقول:

واجبت في ظهر الكتاب اذ اتى ليلوط خطي في الكتاب بخطه^(٣)

وقال بحق الوزير ابن سليمان: "وفي القرن الثاني زاد الفحش، وحتى يحكى عن الوزير سليمان بن الحسن^(٤) حوالي عام ٣١٩هـ/٩٣١م انه اظهر من سخف الكلام وضرب الامثلة

(١) آدم متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢-١٧٨، ١٩٨، ٢٢٥، ٢٣٨.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢.

(٤) سليمان بن الحسن: هو سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح ابو القاسم، ولي عدة ولايات للخليفة المقتدر ثم ولاه الوزارة سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م، وكانت وزارته سنة وشهرين وتسعة ايام، ثم استوزره الخليفة الراضي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، لمدة عشرة اشهر وثلاثة ايام، ثم استوزر للراضي مرة ثانية سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، لمدة سنة وثلاثة اشهر وعشرين يوما، توفي سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، وله من العمر ٧١ عاما. الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٥/٢٢٤. عن ترجمته. ينظر: مسكويه، تجارب الامم، ٥/٢٨٩-٢٩٠؛ الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ١/٦٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ٢٣/٣٨٩.

المضحكة واطهار اللفظ القبيح بين يدي الخليفة ما يُجَلّ الوزراء عنه، فاستنقصه الخلق، وهجاه الشعراء واستعظمو الوزارة لمثله^(١).

ثم قال في الوزير ابن عباد ما نصه: "ولكن في أواخر هذا القرن [الخامس الهجري] نجد ابن عباد الوزير الجليل المشهور بالصاحب يستعمل في شعره افحش الاوصاف؛ وهو يبيّن رأيه في احد شعراء اهل عصره في ثوب من الفحش..."^(٢).

وذكر الصابي (ت: ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) بالقول: "بل نجد ان الصابي هذا، مع انه مفخرة النثر العربي، اذا هجا اتى بألفاظ فاحشة مقدّعة من الفاظ المقانر والمجون..."^(٣).

وأشار إلى ابي فراس الحمداني (٣٢٠-٣٧٥هـ/٩٣٢-٩٦٨م) بقوله: "بل نجد للشاعر ابي فراس مع شرفه واتزانة، قصائد في التشبيب بالغلما" ^(٤).

وأشار متر إلى شعر الشاعر البصري احمد الخبز أرزي فقال: "وحوالي عام ٣٣٠ كان بالبصرة نصر بن احمد الخبزازي الشاعر، وكانت حرفته خبز الارز وكان بمريد البصرة؛ فكان يخبز وينشد اشعاره في الغزل، والناس يزدحمون عليه، وكان احداث البصرة يتنافسون في ميله اليهم وذكره لهم، ويحفظون كلامه لسهولته وقرب مأخذه..."^(٥).

ويهذا المضممار أيضاً قال متر يصف الغزل والتشبيب بالغلما، فقال: "والغزل الذي قيل في التوجّع من هوى الذكران يعادل ما قيل في النساء على الاقل..."^(٦).

ولايد من الإشارة هنا إلى انصاف متر الشعراء من خلال قوله: "... اما الشعراء الذين كان تشبيبهم مقصوراً على الغلمان دون غيرهم، وكانوا مجاهرين في الاستهتار بالغلما، فقد كانوا قليلين... على ان الشعراء الاخرين الذين اقتصروا بالنساء ليسوا هم

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٦/٢.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ١٧٧/٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦١/٢.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦١/٢.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ١٦٠/٢.

أيضاً بالكثيرين^(١)، وهذا بحق انصاف من قبل مترز بالشعراء جميعاً، إذ انه عدّ الخالصاء منهم والمتشبهين بالغلما ن والنساء القلة القليلة من الشعراء، الا انه ناقض نفسه بنفسه، عندما قال: "... ولكننا لم نسمع ان احد الخلفاء استهتر بـغلام"^(٢)، ويأتي التناقض من خلال ما ذكره عن الخليفة الامين الذي كان مولعاً بالغلما ن^(٣)، وربما اراد بقوله انهم لم يتشبهوا بهم ويذكرونهم بأشعارهم.

لم يكن موضوع التوجع والشكوى مقتصراً على فقدان الحبيب أو الحبيبة، التي وردت في صفحات كتاب مترز^(٤)، بل كان هناك حضور للتهنئة في مناسبات معينة كما جاء عند مترز ان الشريف الرضي كتب لأخيه بمناسبة مولودته البنت ابيات شعرية هنأه بها^(٥)، وجاءت ابيات شعرية بالتوجع كتبها احد الاعلام معزياً صاحباً له بفقدان ابنته جاء في آخرها دعاء لوالدها أن يعوضه الله عنها، فكتب: "أحاً لها سوى الخلق والخلق شريف الفعل والعرق"^(٦).

ومن العنوانات التي تناولها الشعر الذي ساق بعض ابياته مترز في كتابه قيد الدراسة، أبيات قالها شاعر عندما كان ضيف عنده وهو يبيّن الكيفية التي يجعل فيها الضيف منبسطة، فيخشى ان يتكلم فيكون كلامه سبباً في حشمة الضيف، ويخشى البقاء ساكناً خوفاً ان يفهم الضيف ان ذلك سببه البخل، وجاءت ابيات شعرية لآخر ينهي فيها عن قول: (الحمد لله) اثناء الطعام؛ خشية ان يفهم الضيف ان هذا ايداناً بالشبع فينهي طعامه قبل ان يكتفي منه^(٧).

(١) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٦٠/٢.

(٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٦١/٢.

(٣) بهذا الخصوص ينظر: مترز، الحضارة الاسلامية، ١٥١/٢-١٥٢.

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٧٥/٢.

(٥) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٧٥/٢.

(٦) مترز، الحضارة الاسلامية، ١٧٥/٢.

(٧) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٣٤/٢.

وهذا من جملة الاخلاق التي اعتيد القيام بها في المجتمع الإسلامي، مراعاة الضيف
أيما مراعاة كي يتأكد المضيف انه اكل من دون احتشام حتى الشبّع.

أما شعر الخمریات، فكان له حضور في مختارات متز، الذي انتقد بصورة غير
مباشرة نقيب الطالبین ابن طباطبا^(١)، فقال عنه: "... ويحكى عن ابن طباطبا نقيب
الطالبین بمصر... وهو يشغل منصباً دينياً من الطبقة الاولى، انه كان له شعر في
الخمر..."^(٢).

وأشار لأبيات شعرية قالها المتنبى (٣٥٤هـ/٩٦٥م)، يوضح فيها كيف ان هذا الشاعر
هجى الخمر واصبح يشرب الماء الصافي، ثم استدرك بعد تلك الابيات الشعرية منتقداً
المتنبى بالقول: "ولكن هذا لم يكن من المتنبى تورعاً، فهو لم يكن له بالدين اكثرثاً"^(٣).

وعند تناوله موضوع مائدة الشراب وانواعها ساق ابيات شعرية كشواهد على ما يذهب
اليه من القول، وتلك الابيات الشعرية تعطي مدلولات واضحة عن العادات والاخلاق التي
كانت سائدة آنذاك، لاسيما القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بغض النظر عن كون
تلك العادات والاخلاق مكتسبة او متجذرة في المجتمع، فاننا لا يمكننا الخروج عن وصفها
وعدها عادات واخلاقاً ممزوجة بين الاصاله والاكتساب والتأثر.

(١) ابن طباطبا: هو ابو القاسم احمد بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف ب: ابن طباطبا الزنبي المصري العلوي،
نقيب الطالبین بمصر، وكان من اكابر رؤسائها، وانمي سمي جده ب: طباطبا؛ لان امه كانت ترفضه وتقول كباكبا
يعني: نام، ويقال انه كان يلثغ في القاف، فيجعلها طاء، فطلب يوما من غلامه قباء يلبسه فجاءه بدراعة، فقال لا،
اردت طباطبا، اي قبقابا، فيقي عليه لقباً اشتهر فيه. توفي سنة ٣٤٥هـ/٩٦٥م، ويقال سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م، وهذا
الاختلاف ربما لشخصين وليس لواحد. عن ترجمته. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/١٣٠؛ الصفدي، الوافي
بالوفيات، ٢/١٥١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/١١٨١؛ البغدادي، ايضاح المكنون، ٢/١٣١؛ القمي، لکنى
والالقاب، ٢/٤٤١.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٤١.



الفصل الرابع

أحوال المعيشة

توطئة:

تناول متر احوال المعيشة في الدولة العربية الاسلامية، وضمنها صفحات كتابه وفصوله، مشيراً إلى القصور التي ابداع الخاصة ببنائها، وما اوجدوه فيها من حدائق وبُرك وبساتين، وتعلم عن الطرق التي تمكّنوا خلالها من تكييف تلك القصور بحسب فصول السنة، وتزيينها بكل ما هو مثير للانتباه، ومن خلال ما كتبه متر تمكنا من تقسيم المجتمع على طبقات هي: (الخاصة، العامة، العبيد)، ووسائل التسلية التي اثار اليها متر هي الاخرى كانت من ضمن العادات التي شاعت ممارستها في اوساط المجتمع، اما الاحتفالات بمناسبة الزواج والختان، والاعياد الاسلامية وغير الاسلامية، فقد كان لها حضور في عادات المجتمع واخلاقه، زد على ذلك مواكب الخلفاء والخاصة وما يتعلق بمناسباتها، اما المجالس الخاصة وموائد الشراب وطقوسها واساليب الدعوة فهي الاخرى دخلت ضمن العادات والاخلاق، التي تتأثر مباشرة ويتدخل فيها مستوى المعيشة.

١. الألعاب (الشطرنج، النرد، الصولجان).

تعددت الالعاب وتوتعت في الدولة الاسلامية، ومن الالعاب التي لعبها الخاصة والعامة هي لعبة: الشطرنج، حتى ان هناك من برع في هذه اللعبة فكانت سبباً في دخوله دار الخلافة، مثل الصولي (ت: ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م)، الذي يقال انه الأكثر مهارة في لعب الشطرنج^(١).

كان للفقهاء موقفاً من لعب الشطرنج^(٢)، ولكن حسب ما ذهب اليه متر بقوله: "ثم تساهلوا في امره"^(٣)، كان قوله هذا استنتاجاً لقول أحد فقهاء نيسابور، وهو: سهل بن سهل (ت: ٤٠٤هـ/ ١٠٣م) مفتي نيسابور، الذي قال عن لعب الشطرنج: "اذا سلم المال من الخسران والصلاة من النسيان فذلك انس بين الخلان"^(٤).

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٥١/٢.

(٢) موقف الفقهاء من لعبة الشطرنج.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٥١/٢.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية، دار احياء التراث العربي، ٤/١١٤؛ متر، الحضارة الاسلامية، ٢٥١/٢.

وذكر المسعودي آلات الشطرنج وأنواعها ودواليبها، قد تحدث عن الهند ولعبة الشطرنج وكيف لعبوها، وبعد تناوله آلات الشطرنج في العصور السابقة، قال: "ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية، استحدثت في زماننا هذا [القول للمسعودي]... في كل جهة منها ستة، كل واحد من الستة يسمى باسم جارحه من جوارح الانسان التي بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى..."^(١)، وهذه الآلة ادخلت قصر الخلافة بأيام الخليفة المعتضد اوآخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي^(٢).

قال العرب: "انما وضع الشطرنج للعجم؛ لأنهم اذا اجتمعوا تلاحظوا تلاحظ البقر، فجعلوا الشطرنج مشغلة"^(٣)، أما بالنسبة للعرب فإن من الغرابة بحسب طباعهم ان يجلسوا صامتين، لأنهم اعتادوا الشعر والامثال والحكايات البليغة والنوادر اللطيفة، وسماع الغناء، والإيقاع الموسيقي، وساق مترز رواية عن المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) أنه: "ويعد قدومه من خراسان وارتقائه عرش الخلافة"^(٤)، اشتهى الشطرنج، فاستحضر كبار اهله، فكانوا يتوقرون بين يديه، حتى ضاق بذلك، فقال: ان الشطرنج لا يلعب مع الهيبة؛ قولوا ما تقولون اذا خلوتهم"^(٥).

ومن المفيد القول هنا إن لاعب الشطرنج لم يكن مرغوباً فيه اجتماعياً، حتى عدّه النسفي وغيره ممن لا يجوز السلام عليهم^(٦)، بل إن أهل المدينة لم يكونوا يقبلون بتزويج لاعب الشطرنج^(٧)، كانت هذه اللعبة من ألعاب الخاصة بذوي الدخل المعاشي المرتفع، ولعبها أيضاً العامة.

(١) مروج الذهب، ٤/٢٣٣.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥١.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٢.

(٤) حدث ان بايع أهالي بغداد إبراهيم بن المهدي خليفة في بغداد على اثر اعطاء المأمون البيعة للإمام الرضا (عليه السلام)؛ لذلك توجه المأمون من خراسان إلى بغداد ليبقى فيها خليفة.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٢.

(٦) تفسير النسفي، ١/٢٣٨، وينظر أيضاً: الخطاب الرعيني، مواهب الجليل، ٢/٦٨.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٢.

أما النرد فكان من الألعاب التي يتسلّى بها الخاصة والعامة، إلا ان هناك الكثير ممن لعبها لاسيما الخاصة، على الرغم من نهي الفقهاء عن اللعب فيه^(١)، كان النرد يُعب ابتغاء الكسب، ويلعب على رقعة فيها (١٢ منزلاً)، أو فيها (٢٤ منزلاً)، وفيها (٣٠ حجراً) وفصين، واللعبة تدور على الصنعة والاتفاق، وشبهها بعضهم بـ: (عمل الشيطان)، فقال متز المقصود بعمل الشيطان: "هو [النرد] وسباق الحمير والصيد بالكلاب ومهارشة الكباش والديوك"^(٢).

أما لعبة الصولجان فكان أكثر من اشتغل بلعبها هم الكبراء من الخلفاء والوزراء، واللعب بالصولجان، هو ضرب الكرة بمضرب من على ظهر الفرس، وأصلها فارسي، وحدث في سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م ان دخل الوزير أبو الحسن عبدالله بن يحيى بن خاقان الى ميدان لَلعب الصولجان في داره، وكان قد سقط من على ظهر دابته فمات من حينه على أثر صدمة من خادمه^(٣).

وقد وضعت ضوابط لهذه اللعبة، أهمها:

- ١- ان يضرب اللاعب الكرة خلسة مترقفاً مترسلاً.
- ٢- توخي ضرب الكرة من تحت محزم الدابة^(٤).
- ٣- عدم الاستعانة بسوط.
- ٤- ان لا يضرب الارض بالصولجان^(٥) ويؤثر فيها فينكسر الصولجان، أو يعقر قوائم الدابة.
- ٥- الانتباه لمن معه في الميدان كي لا يتسبب بإيذائهم.
- ٦- مجانية الغضب في اللعب.

(١) حول تحريم لعبة النرد، ينظر: الامام مالك، كتاب الموطأ، ٩٥٨/٢؛ الشافعي، كتاب الام؛ علي بن الامام جعفر الصادق، رسائل علي بن جعفر، ٢٩٤.

(٢) الحضارة الاسلامية، ٢٥٣/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٥٦/٢.

(٤) محزم الدابة: أي منحر الدابة، وغالباً ما كان يتقرب منحر الدابة فتسمى مخرومة. ابن منظور، لسان العرب، ١٦٣/١٢. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٥/١٦.

(٥) الصولجان: بفتح اللام، فارسي معرب، والجمع صوالجة، وهي عبارة عن عصا يعقف طرفها يضرب بها الكرة من على الدواب. الجواهري، الصحاح، ٣٢٥/١؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣١٠/٢.

٧- الانتباه للنظارة والمشاهدين كي لا تصل اليهم ضربة صولجان^(١).

هذه الثوابت والقوانين يجب مراعاتها، ويجب على من يلعب الصولجان ان يكون عارفاً بها متقناً لها، زد على ذلك فإن هذه اللعبة كانت من الالعاب المسلية، وقد لعبها كبار الدولة وخاصتها^(٢).

ومن ألعاب التسلية الأخرى رياضاتها البدنية لعبة المصارعة، التي أنس بمشاهدتها والتسلي بها ارباب الدولة، فعندما جاء معز الدولة إلى بغداد، رغب ان يشاهد الصراع، فوصف مترز ميدان الصراع بالقول: "فتقام شجرة وتجعل عليها ثياب الديداج والمروى ونحوهما، وتوضع تحتها أكياس فيها دراهم، ويقف على سور الميدان اصحاب الطبول والزمور، وعلى الباب اصحاب الدبادب، ثم يؤذن للعامة في دخول الميدان، فمن غلب اخذ الثياب والشجرة والدراهم، ثم دخل في ذلك احداث^(٣) بغداد حتى صار بكل موضع صراع؛ فاذا برع أحدهم صارح بحضرة معز الدولة، فإن غلب اجريت عليه الجرايات، فكم من عين ذهبت بلطمة وكم من رجل اندقت..."^(٤).

وكانت السباحة من الرياضات المسلية التي أوجدوا لها شروطا فيها نوع من الصعوبة والطرافة، فقال عنها مترز: "وشغف شبان معز الدولة^(٥) بالسباحة، فتعاطاها أهل بغداد، حتى أحدثوا فيها الطرائف، فكان الشاب يسبح قائماً، وعلى يديه كانون^(٦)، فوفقه حطب يشعل تحت قدر إلى ان ينضج؛ ثم يأكل من القدر إلى ان يصل دار السلطان"^(٧). وعلى الرغم من المبالغة الواضحة التي جاءت في هذا النص، لكنه يعكس لنا حذق البعض ومهاراتهم.

ألعاب التسلية التي مرت بنا اهتم بها أصحاب السلطة والطبقة الخاصة أكثر من غيرهم، واتخذوها محطات لتسلية انفسهم أو ضيوفهم.

(١) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٦-٢٥٧.

(٢) الشمري، مظاهر البذخ والتترف عند الخلفاء والامراء، ١٥٠-١٥١.

(٣) الشباب اليافعين.

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٧.

(٥) طبقة من الاحداث البائعين كانوا يتدربون على السباقات ليشاركوا فيها اذا غلبوا اقرانهم بحفرة معز الدولة للفوز بالجائزة

والشهرة. مترز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٧.

(٦) كانون: نار مشتعلة.

(٧) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٧.

٢. الزواج والختان.

كان لمستوى المعيشة عند الخاصة سيما الخلفاء والوزراء الاثر الكبير على مناسبات الزواج والختان والاحتفال فيها ومقدار ما يهدر من الاموال فيها والمبالغة فيها، والعامه من الناس كانوا يحتفلون في هاتين المناسبتين ولكن ليس بالطريقة التي تحتفل بها الخاصة، اذ تكون اقل اسرافا وتبذيرا في كل الاحوال، من حيث ما تقدم فيهما من هدايا وما يبذّر من المال، اذ عندما تقام هذه الحفلات يعدّ لها اعدادا مبالغا فيه كل المبالغة من قبل الخلفاء وامرائهم، فتبذل الاموال وتوزع الحلوى ويغني المغنين وترقص الجوارى، وتقطع الاقطاعات، الى جانب نثر الذهب والدر والقطع الذهبية والاحجار الثمينة على الحاضرين، حتى كان كل واحد منهم ممن يقيم هكذا مناسبات يريد ان تكون مناسبته مميزة بالانفاق والتعبير عن الفرح والابتهاج من قبل الاخرين وارضائهم بكل ما يمكن تقديمه من الغالي والنفيس^(١).

وتعد حفلات الزفاف من اشهر الحفلات في قصور الخلافة، اذ يقال ان زفاف هارون الرشيد بلغت نفقاته: (خمسین الف الف درهم)، ونفقات زفاف المامون بلغت (سبعين الف الف درهم)^(٢)، ووصف ابن الطُّقْطُقَا زواج المامون وصفا يدل على تعبير حقيقيا للاسراف من قبل ارباب الدولة فقال: "استوزره المأمون [الحسن بن سهل] بعد اخيه الفضل بن سهل ومال اليه وتلافاه جبرا لمصابه بقتل اخيه، وتزوج ابنته بوران، وانحدر في اهله واصحابه وعساكره وامرائه الى فم الصلح بواسط، فقام الحسن بن سهل في انزالهم قياما عظيما، ويذل من الاموال ونثر من الدرر ما يفوت حد الكثرة، حتى انه عمل بطاطيخ من عنبر وجعل في وسط كل واحدة منها رقعة بضیعة من ضياعه ونثرها، فمن وقعت في يده بطيخة منها فتحها وتسلم الضیعة التي فيها. وكانت دعوة عظيمة تتجاوز حد التجمّل والكثرة، حتى ان المامون نسبه في ذلك الى السرف. وقالوا جملة ما اخرج على دعوة فم الصلح خمسون الف الف درهم. وكان الحسن بن سهل قد فرش للمأمون حصيرا منسوجا من الذهب ونثر عليه الف لؤلؤة من كبار اللؤلؤ، فلما رآه المأمون قال: قاتل الله ابا نؤاس كانه شاهد مجلسنا هذا حيث يقول:

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩٦.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩٤.

كأن صغرى وكبرى من فقاقمها حصباء درِ على ارضٍ من ذهب^(١)

من خلال النص السابق يمكن القول ان ارباب الدولة كانوا يعيشون في وادٍ وعامة الناس في وادٍ آخر، اذ ان هكذا وصف لمناسبة زواج الخليفة من بوران يعطينا مدلولاً واضحاً على المستوى الذي وصل اليه الوزراء والحكام من الرفاه والنعيم والعبث بمقدرات الدولة الاسلامية مع اعداد كبيرة من الناس تعيش بذلك العصر بفقر مدقع.

وحدث أن القى الخليفة المقتدر بالله القبض على ام موسى القهرماننة سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م، لأنها زوجت ابنة اختها بأمر من امراء البيت العباسي كان مرشحاً للخلافة، وكانت قد اكرت من نثار القطع النقدية وغيرها مما نثر على الحاضرين الذين دعته لحضور المناسبة، حتى اسرفت اموالاً طائلة^(٢).

قلّد العامة اسيادهم من ارباب الدولة لإظهار انفسهم بمظهر الغنى امام الاخرين مع عسر حالهم فكانوا يستأجرون بمثل هذه المناسبات الفرش الثمينة والزينة والآلات وغيرها^(٣).

ولم تختلف مناسبات الختان عن الزواج ، وكان احيانا عند الخاصة جماعياً، كأن يختن لعدد من الاخوة وابناء الاخ او ابناء الاسرة، ولعل ما جرى بمناسبة ختان ابن الخليفة المعتز (عبد الله) من انفاق كان مقداره ست وثمانون الف درهم، هو ما يفوق حد التصور بحسب رأي ناقل الرواية^(٤)، كما حدث عندما ختن الخليفة المقتدر لخمسة من اولاده سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م إذ نثر عليهم خمسة آلاف دينار ومائة الف درهم، وبلغت نفقة ذلك الختان ستون الف دينار، وفي ختان لاحد ارباب الدولة الذي ختن مجموعة من ابناء اسرته فطبخ طعاماً وصف بانه لا يُحدُّ مقداره، فنحر الف رأس شاة، وثلاثة آلاف دجاجة، واقبمت مظاهر الفرح والابتهاج^(٥)، وكان ختان الامير ابي العباس احمد وابي الفضل عبد الرحمن ابني الخليفة المستعصم بالله، سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، مع عدد من الامراء واولاد كبار

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ٢٢٢.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩٥.

(٣) الاصفهاني، الاغاني، ٥/١١٩.

(٤) الفخري في الآداب السلطانية، ٢٢٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٣٠٠.

القادة في غاية السرف والتترف^(١)، وفي سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م كان ختان الامير ابي المناقب المبارك ابن الخليفة المستعصم وختن معه عدد من الامراء وكبار القادة وقد صرفت اموال طائلة بهذه المناسبة، اذ وزعت الخُلع والهدايا^(٢).

٣. السجن وما يحدث فيها.

قال أبو غدة ان السجن بفتح السين مصدر سَجَنَ بمعنى حبس، وبكسر السين مكان الحبس، والجمع سجون^(٣)، والسجن في اللغة، قال ابن منظور: "ويقال للرجل: مسجون وسجين، والجماعة سجناء وتجنى (بفتح فسكون) ويقال للمرأة: سجين وسجينة ومسجونة... ويسمى من يتولى امر المسجونين وحراستهم سجاناً..."^(٤)، ويرادفه في الاصطلاح لفظ: (حبس)، وهو من المنع والامساك، ويقال للرجل: مجبوس وحبس، وللجماعة محبوسى ومحبسٌ بضمين، وللمرأة حبيسة وللجميع حباس، وبمن يقع فيه الحبس: حابس^(٥).

وجاءت آيات قرآنية تتضمن معنى السجن، أو الحبس كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فِيْئِسِمَانِ اللَّهُ﴾^(٧)، وأثبت القرآن الكريم ايضاً ان السجن كان متعارفاً عليه في العصور السابقة للإسلام لاسيما عند الفراعنة اذ جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسُجُنَّةً حَتَّى جِئِنَا﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾^(٩)، وقد تعارفت هذه العقوبة عند الامم القديمة وعمل بها.

(١) الغساني، المسجد المسبوك، ٥٨٦.

(٢) دول الاسلام، ١١٣/٢.

(٣) احكام السجن ومعالجة السجناء، ٣٩.

(٤) لسان العرب (مادة سجن).

(٥) الجواهري، الصحاح (مادة حبس).

(٦) سورة يوسف، الآية/٢٥.

(٧) سورة المائدة، الآية/١٠٦.

(٨) سورة يوسف، الآية/٣٥.

(٩) سورة يوسف، الآية/٣٦.

عُمل على تفعيل هذه المؤسسة الإصلاحية في الاسلام منذ ايام النبي (ﷺ)، فبعد ان قام الرسول بسجن البعض في المسجد، وفي البيوت والداهاليز والخيام، ثم الخلفاء من بعده، لكن العصر الذي بدت فيه واضحة جليّة هي مدة حكم الامام علي (عليه السلام) (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م)، ثم ايام الامويين والعباسيين اصبحت السجون تعمل بنظام متطور مقارنة بالمدة السابقة لها، فاصبح ينظر للمحبوس ومكانته الاجتماعية، ومنها سجون فردية واخرى جماعية، وعزل النساء بسجن خاص بهن، وعمل على وضع الاحداث في سجون خاصة بهم وتمييزهم عن الكبار^(١).

تناول متر نتف عن الحوادث ذات الصلة بموضوع الدراسة والمتعلقة بالسجون، وقد ركز في هذه المعلومات التي ثبتها على المقارنة بين السجون في بغداد، والسجون في القاهرة، وبما يتعلق بالعادات والاخلاق فانه اشار إلى بعض ما يعمله السجناء، وما تقوم به السلطات تجاه السجناء، ففي عصر الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) فقد صدرت التوجيهات بالتعامل مع السجناء المتهمين بتهمة اخلاقية، فقال متر^(٢): "وفي عهد الخليفة هارون الرشيد رأى الفقهاء ان اهل الدعارة والفسق والتلصص اذا أخذوا في شيء من الجنايات وحُبسوا، فلا بد ان يجري عليهم من الصدقات او من بيت المال ما يقوتهم، ويجري على كل منهم عشرة دراهم في الشهر، تعطى له في يده، دفعاً لظلم السجان لهم او حرمانه اياهم من طعامهم وشرابهم؛ ولا بد ان يكسو في الشتاء قميصاً وكساء، وفي الصيف قميصاً وازاراً ومقنعة، وذلك اعفاء لهم عن الخروج في سلاسل لطلب صدقة".

النص المتقدم بحاجة إلى الوقوف عنده قليلاً ومناقشته، وسنعمل على ذلك من خلال الرجوع إلى المصدر الذي استقى منه متر معلوماته، وهو: (كتاب الخراج)، قال متر: (وفي عهد هارون الرشيد رأى الفقهاء)، حدد متر من خلال هذا القول كان الفقهاء وضعوا هذا الحكم ايام الخليفة هارون، في الوقت الذي اشار أبو يوسف القاضي بكتابه الخراج، بالقول: "حدثنا بعض اشياخنا... كتب الينا عمر بن عبد العزيز لا تدعن في سجونكم احداً من المسلمين في وثاق... واجروا عليهم الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدبهم... فقم بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم وأدبهم، وصير

(١) حسن، احكام السجن ومعاملة السجناء، ٤٦-٥٢، ٣١٤-٣٢١.

(٢) الحضارة الاسلامية، ١٩٥/٢.

ذلك دراهم تجرى عليهم في كل شهر يدفع ذلك اليهم... ويكون للأجراء عشرة دراهم في الشهر لكل واحد...^(١).

اذن قول أبي يوسف واضح يدل دلالة صحيحة على أن هذا التعامل يعود للعصور السابقة لعصر هارون، وهو رأي فقهي واضح جاء على لسان عمر بن عبد العزيز، الذي بدوره لم يكن اول من عمل بهذا التشريع، كما ان المدقق بالنص سيعرف دون عناء ان هذا الكلام لا يخص فئة من السجناء من دون أخرى بل النص صريح، يقول: "لا تدعوا في سجونكم احداً من المسلمين في وثاق... واجروا عليهم [المسلمين] الصدقة..."، اذن لم يكن المقصود: (اهل الدعارة والفسق والتلصص)، وحدهم المخصوص بهذا القول، وعطفاً على قولنا السابق فإن عمر بن عبد العزيز لم يكن اول العاملين بهذا العمل، فإننا نرجع إلى العصر السابق للعصر الاموي الذي يتناول اهل الفسق والدعارة، اذ قال أبو يوسف^(٢): "... كان علي بن ابي طالب اذا كان من القبيلة او القوم الرجل الداعر حبسه فان كان له مال انفق عليه من ماله، وان لم يكن له مال انفق عليه من بيت مال المسلمين وقال: يحبس عنهم شرّة وينفق عليه من بيت مالهم"، الرّبط بين هذا النص مع النص الذي اقتبسناه من متز هو: هل ان يدفع لكل من اتهم بالدعارة والفسق والتلصص مبلغاً شهرياً، ام حدد منهم وحُصّوا دون غيرهم ممن ارتكب هذا النوع من الجنايات؟، الجواب قد تم تحديده في النص الاخير: "وان لم يكن له مال انفق عليه من بيت مال المسلمين"، أي قسم منهم، وهم الذين ليس لهم مال فتقوم الدولة بالانفاق عليهم، وليس جميعاً كما ذكر متز بقوله في النص الاول: "ان اهل الدعارة والفسق والتلصص اذا اخذوا في شيء من الجنايات وحبسوا فلا بد ان تجرى عليهم من الصدقات او من بيت المال ما يقوتهم"، ومفهوم الكلام هنا فانهم جميعاً تجرى عليهم النفقات.

كذلك لا بد لنا من مناقشة الفقرة الاخيرة من قول متز، والذي يتحدث عن أهل الدعارة والفسق والتلصص حتى يصل نهاية الكلام، والذي يقصدهم من دون غيرهم، معللاً احد اسباب الانفاق عليهم، فقال: "... وذلك اغناء لهم عن الخروج في سلاسل لطلب الصدقة"^(٣)، فعند الرجوع إلى

(١) كتاب الخراج، ١٤٩.

(٢) كتاب الخراج، ١٥٠.

(٣) كتاب الخراج، ١٥٠.

مصدر معلوماته وهو: (كتاب الخراج لابي يوسف)، نجد ان المعني بهذا القول ليس كما بينه متر، بل هذا الكلام جاء عند حديث أبي يوسف القاضي عن عامة سجناء المسلمين من دون خصوصية بعضهم، فذكر وهو يتحدث عن خروج السجناء بسلاسلهم طلباً للصدقة، فقال: "... واغْنهم [سجناء المسلمين] عن الخروج في السلاسل يتصدق عليهم الناس... وما اظن ان اهل الشرك يتصدقون لما لهم فيه من جهد الجوع، فريماً وجدوا ما يأكلون وربما لم يصيبوا..."^(١).

ورداً على متر الذي قال: "وفي عهد هارون الرشيد رأى الفقهاء..."، وهذا ما ارجع النص فيه لابي يوسف، الذي بدوره نقل، قائلاً: "... تجري على اهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وادمهم وكسوتهم الشتاء والصيف، واول من فعل ذلك علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بالعراق، ثم نقله معاوية بالشام، ثم فعل ذلك الخلفاء من بعده"^(٢)، اذن هذا دليل آخر يثبت ان هذا الاجراء والخلق بالتعامل مع السجناء لم يُتفق عليه أيام هارون، ولكن ربما قصد متر في هذا القول: (اتفق الفقهاء)، هو ان ما قاله أبو يوسف مثلاً وجهة نظر اتفاق الفقهاء، كونه قد الف كتابه الخراج للخليفة هارون الرشيد الذي كلفه بتصنيف كتاب في الخراج، وذلك ما صرح به أبو يوسف القاضي في مقدمة كتابه مبيناً سبب تصنيفه للكتاب، فقال: "... ان امير المؤمنين أيده الله امرني ان اضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج، والعشور والصدقات والجوالي وغير ذلك لما يجب النظر فيه والعمل به، وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته، والاصلاح لأمرهم"^(٣)، وهذا القول يدل دلالة واضحة على ان الخليفة هارون اراد ان يكون هذا الكتاب دستوراً تفصيلياً يخلص فيه مؤلفه بخلصه افكار الفقهاء الاقتصادية والادارية، ربما لهذا السبب قال متر: (اتفق الفقهاء).

ويقضي التتويه هنا إلى مسألة معينة هي ان العادات والاخلاق لا تقتصر على النشاط الفردي للأشخاص، ولا على جماعة معينة دون اخرى بل يمكن تعميم هذا الجانب على المستوى الإداري في التعامل مع الآخر، بل ربما يكون من الجميل ان يتحول التعامل إلى عادة وخلق حسن مع الذين لا سبيل لهم للتحرك كالمساجين بغض النظر عن جنائياتهم التي حبسوا بتهمتها.

(١) كتاب الخراج، ١٥٠-١٥١.

(٢) كتاب الخراج، ١٤٩-١٥٠.

(٣) كتاب الخراج، ٣.

وحدث ايام الخليفة المعتضد ان اهتم بتخصيص مبلغ ضخم قدره ١٥٠٠ دينار تنفق على السجون^(١)، وبضمنها قوت للمحبوسين ومائهم وكل مؤنهم^(٢).

اعتاد المساجين على العمل داخل السجون، وكانت تقتصر تلك الأعمال على الحرف البسيطة التي كانوا يقومون بها داخل السجن، وأشار متز إلى هذا بقوله: "وكثيراً ما نجد الاخبار بان المسجونين كانوا يشتغلون..."^(٣).

وقد كانت المهارات اليدوية والاشغال التي يقوم به السجناء عادة قد اعتادوها، سيما الذين يقضون مدة حكم طويلة تجعلهم يضطرون للقيام بعمل؛ ليتمكنوا من الانفاق على انفسهم داخل السجن، وهنا لا بد من القول انه ربما اضطر حتى اصحاب الجاه والتمكن من المسجونين للاشتغال بالسجن^(٤).

اهتمت المؤسسة الادارية في بغداد بالسجناء لاسيما القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فعملت على تخصيص اطباء افردوا للسجناء، يدخلون اليهم في كل يوم حاملين معهم الادوية والاشربة التي تعطى لمن يحتاجها^(٥).

وأشار متز إلى مصر ايام الفاطميين وكيف تعاملوا مع السجناء، واتضح من خلال ما ساقه من قول ان الفاطميين قد عملوا على تضمين السجون، واخضعوها للمزاد، وكانت احب شيء للضامن من الدولة هو ان يضمن السجون؛ لكثرة ما تدر عليه من اموال، وذكر ايضاً ان الضامن الذي يضمن السجون يستحصل ضريبة معينة، فقال: "... وكان يؤخذ من كل من يسجن ستة دراهم بمجرد دخوله السجن، ولو لم يتم الا لحظة"^(٦).

(١) قام الخليفة الظاهر بامر الله بتخصيص الاموال للمحبوسين. ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ١٣٧/٣.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٥/٢.

(٣) الحضارة الاسلامية، ١٩٦/٢.

(٤) الحضارة الاسلامية، ١٩٦/٢.

(٥) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء من طبقات الاطباء، ٣٠١؛ متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٦/٢.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ١٩٦/٢.

القول المتقدم الذي افاد به متز ربما يفهمه القارئ ان ما يقوم به الفاطميون ليس عدلاً وفيه جور على الرعية، نعم ان كان السجين أو المتهم بجناية ظلماً وعدواناً فان هذا الاجراء يعد تعسفياً بحقه، كونه مشتبه فيه، ويفترض ان تثبت مظلوميته وبرأته ان تسترجع المبالغ المستحصلة، ولكن لننظر لها من الجانب الآخر، فإننا يمكننا عدّ هذا الاجراء نوعاً من انواع الردع والتقليل من الجريمة والخروج عن القانون الحاكم، لاسيما اذا ما عرفنا ان هذا المبلغ يعدّ كبيراً على الطبقة العامة من الناس⁽¹⁾، اذن فهذا اجراء يمكن وصفه بانه نوع من انواع الردع.

٤. طبقات المجتمع.

أسهم مستوى المعيشة اسهاماً واضحاً في تقسيم المجتمع إلى عدة طبقات، لكل منها سمات ومواصفات خاصة بها بحسب الدخل الذي يدرّ على كل طبقة من هذه الطبقات والتي من خلال دراستنا لكتاب متز، يمكن تقسيمها على ثلاثة اقسام، هي: (الخاصة، العامة، العبيد).

أ. الطبقة الخاصة.

وتعدّ هذه الطبقة الرائدة والمتصدية، والتي بيدها زمام الامور، والتمتكنة من تحقيق متطلباتها من دون جهد وعناء، مقارنة بالطبقتين الأخرتين (العامة، العبيد).

ساق متز رواية، اخذها من كتاب: (الوزراء للصابي) بخصوص انفاق الوزير علي بن الفرات (ت: ٣١٢هـ/ ٩٢٤م)، على بيته، فقال: "ويحكى عن الوزير ابي الحسن بن الفرات انه انفق على الدار التي كان ينزلها في وزارته الثانية^(٢)، ثلاثمائة الف دينار، واشتهى في وزارته هذه ان يجمع حرمه وبنات اخوته واصاغر ولده في الدار المعروفة بدار البستان من الدار الكبرى، فامر

^(١) كان يكفي للرجل من عامة الناس وزوجته (٣٠٠ درهم) في العام الواحد هذا في عهد الخليفة هارون الرشيد، وان من

يملك (٧٠٠ دينار) تعتبر ثروة كبيرة. متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٣.

^(٢) بعد مراجعة النص عند الصابي اتضح ان هذا الانفاق كان في وزارته الثالثة وليس الثانية، وقد اشتبه متز بذلك.

الصابي، ابة الحسن بن المحسن الهلال، الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار احمد فراج،

مكتبة الاعيان، دت، ١٩٩.

بإصلاحها وتنظيفها وانفاق ما يحتاج اليه في اعدادها، فبلغت النفقة خمسين الف دينار^(١)، حدث هذا سنة ٣٠١هـ/٩١٣م والغريب ان هذا الوزير لم يسكنها الا يوماً واحدا فقط^(٢).

وكان لعضد الدولة البويهى قصر في شيراز، يحتوي على ثلاثمائة وستين حجرة، كان هذا الامير يجلس كل يوم في واحدة منها إلى الحول، هذا ما افاد به رئيس الفزاشين للمقدسي الذي اخذ عنه متر^(٣).

وقد تفنن الخلفاء والامراء والسلاطين في الاهتمام بغرائب الطرز في التصميم، ففي احد قصور الطولونيين (٢٥٢-٢٩٢هـ/٨٦٦-٩٠٥م)، بُركة من الزئبق طولها خمسون ذراعاً وعرضها خمسون، وكان للخليفة المقتدر بالله قصر^(٤)، في وسطه بُركة رصاص طولها ثلاثون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً، وحولها نهر رصاص^(٥).

عاش الخاصة حياة مترفة تلذذوا فيها بالذي يحبون ويتمنون بعيداً كل البعد عن معاناة الآخرين، فحتى طريقة تبادل الهدايا فيما بينهم كانت تنم عن بذخ العيش وترفه، وخير دليل هو ما اهداه الخليفة المقتدر لوزيره ابن الفرات، وهذه الهدية هي ثلاث موائد مستديرة كانت استدارة الكبرى منهن خمسون متراً، حتى ان الباب لم يسعها، فعمل على خلعه وتوسيعه لإدخالها^(٦).

أما ملابس الطبقة الخاصة وأهل الغنا فأنها كانت بحسب ما قال متر: "وكان التاجر الغني أو الغني من الناس يلبس قميصاً ورداءً فوق السريويلات، وهكذا كان لباس الخليفة القاهر يوم احضر للبيعة من عام ٣١٠هـ/٩٣٢^(٧)، ويحدث ان يحاول بعض الفقراء والمعوزين اظهار الغنى

(١) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٠٨/٢-٢٠٩.

(٢) الصابي، الوزراء، ١٩٩.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١٠/٢.

(٤) وهذا القصر هو قصر الجوسق، وهو قصر يقع بين البساتين، وفي وسطه بركة رصاص قلعي، وهي احسن من الفضة المجلوة، في البركة اربع طيارات بمجالس مذهبة مزينة بالديبقي المطرز المذهب. حول وصف هذا القصر وبركته. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١١٨/١.

(٥) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١١/٢.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١٦/٢.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٢٣/٢.

مع فقرهم، فقد أشار ابن عساكر^(١) إلى نص يعطي هذا المفهوم، فقال: "ما رأيت في الفقر احسن من ابي بكر بن اسماعيل الفرغاني وكان ممن يُظهر الغنى في الفقر يلبس قميصين ابيض ورداء وسراويل ونعلًا نظيفاً وعمامة وفي يده مفتاح كبير حسن وليس له بيت ياوي فيه يتطرح في المساجد ويطوي الخمس والست دائماً".

وتميزت موائد الخاصة واصحاب السلطة بتعدد أصنافها والوانها واطايب طعامها، وفي هذا المجال تناول أنموذجاً واحداً عنها، فقال منز: "ومن اوائل القرن الرابع الهجري كان أبو الحسن بن علي بن الفرات يدعو إلى طعامه كل يوم تسعة من الكتاب الذين اختص بهم، وكان منهم اربعة نصارى... ويقدم إلى كل واحد منهم طبق فيه اصناف من الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشمل على جميع الاصناف؛ وكل طبق فيه سكين يقطع بها صاحبها ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل وخوخ وكمثرى؛ ومعه طست زجاج يرمي فيه النُّقْل، فاذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم شيلت الاطباق وقدمت الطسوت والاباريق، فغسلوا ايديهم، واحضرت المائدة مغطاة بديبقي^(٢)... واخذ القوم بالأكل... والالوان توضع وترفع اكثر من ساعتين..."^(٣).

كان لمستوى المعيشة عند الخاصة اثر واضح في طريقة عيشهم، بل انعكس ذلك حتى على طريقة تفكيرهم بمسألة الموت، اذ ان بعضهم كان يتعامل معهم حتى بعد موتهم تعامل خاص، سواء أكان هذا التعامل على اثر وصية يوصون بها أو دون وصية، فان طريقة المبالغة بهم نقلتها المصادر التاريخية، وأشار منز إلى بعضها، وتأخذ منها على سبيل المثال تغسيل الميت منهم، فقال منز: "وكان يعمل في تغسيل الكبراء وتكفينهم من الترف والسرف ما هو غريب عن الاسلام،

(١) تاريخ مدينة دمشق الكبير، ١٢٠/٥٢. ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ٦٠/٢٥.

(٢) الديبقي: نوع من انواع القماش يخاط منها الثياب والمناديل والازر. القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، ٦٦/١، ١٠٧، ٤٠٣/٢، ٤٠٦؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧٣/١، ٣٦٩/٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٣٥/١٣، ٤٠٠/٥١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ١٧/٢٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٥/١٠، ٣٢٠/١١.

(٣) منز، الحضارة الاسلامية، ٢٣٠/٢ - ٢٣١.

فيحكى انه لما مات الامير سيف الدولة الحمداني عام ٣٥٦هـ/٩٦٧م غُسل تسع مرات^(١)... ونشّف بعد غسله ببديقي بثمانية وخمسون ديناراً اخذه الغاسل، وهو قاضي الكوفة، إلى جانب اجرتة، ثم دهن بالزعفران والكافور ووضع على خديه ورقبته مائة مثقال من الغالية، وفي عينيه واذنيه ثلاثون مثقالاً من الكافور، وثمن كفنه الف دينار، ثم وضع في تابوته ورش عليه الكافور^(٢).

هذه المبالغة التي وصفها النص تعطينا صورة واضحة عن مستوى المعيشة لدى الخاصة وكيف كانوا يفكرون حتى في الوضع الذي هم فيه ميتون، بغض النظر عن رضا الميت بذلك، ووصيته بالعمل فيه ام باجتهاد من اوليائه، فان هذا الاسراف والبخس حقاً كما وصفه متر، بعيداً عن روح الاسلام وتعاليمه ولا تغني عن الميت شيئاً.

وأشار متر الى أن هناك من الخاصة من كَفَن ابنه بستين ثوباً^(٣) عند موته، وهذا ما حصل عند موت تميم بن الخليفة المعتز سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م^(٤)، أما ابن كَلَس^(٥) فإنه عندما مات سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م فان كَفَن وحفظ بما قيمته عشرة الاف دينار^(٦).

النصوص المتقدمة توضح باختصار الحياة التي كان يعيشها طبقة الخاصة واحوال ومستوى معيشتهم التي كانوا عليها، بحسب النصوص التي اخترناها مما ذكره متر في كتابه قيد الدراسة.

(١) عن كيفية غسل الميت. ينظر: مالك، الموطأ، ٢٢٢/١؛ الصنعاني، المصنف، ٣٩٧/٣؛ القمي، فقه الرضا، ٢١، ١٦٥؛ الشيخ الصدوق، المقتنع، ٥٤.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٢٨/٢.

(٣) ذكر الطبري ان زياد بن ابيه عند حضرته الوفاة قال له ابنه: 'يا ابيت هيات لك ستين ثوباً اكفنك فيها...'. تاريخ الامم والملوك، ٢١٥/٤؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق الكبير، ٢٠٥/١٩.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٢٨-١١٩.

(٥) هو أبو الفرج يعقوب بن كَلَس وزير الخليفة الفاطمي العزيز بالله، وكان بالاصل يهودي ثم اسلم، وتدرج في الخدمة حتى ولي الوزارة. ابن تغري بردي الاتابكي، النجوم الزاهرة، ٥١/٤.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٢٩/٢. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦٦١/٨.

ب . الطبقة العامة.

تمثل هذه الطبقة النسبة الاكبر من السكان، وكانت تشتمل على اعراق عدّة، مثل: (العربية، الفارسية، التركية، الديلمية، الاكراد، البربر)، أما تمثيلها الديني فكان السواد الاعظم والاعم هم: المسلمون، ثم أهل الذمة: (يهود، ونصارى)^(١).

وردت العديد من النصوص عند متز تناول فيها طبقة العامة بعدّها واحدة من اكبر طبقات المجتمع، التي كانت على الاعم الاغلب تقلد ما تفعله الخاصة بنحو جزئي وبالممكن المتيسر، فعلى سبيل المثال عندما تناول متز طرق التكيف التي استعان بها الخاصة، قال: "ويظهر ان هذه الطريقة في التبريد كانت شائعة جداً في بغداد"^(٢)، أما استعمال الخيش الغليظ الذي يُبلّ بالماء وهو منصوب على منافذ التهوية ليبرد الجو، قال عنها متز: "... ثم اتخذت بعدها الشرائح، فاتخذها الناس"^(٣).

ومن العادات التي سادت بعض مناطق الدولة الاسلامية هي استخدامهم السرايب، واستعمالها للسكنى في فصل الصيف^(٤)، وبإشارة منه إلى أهل مصر الذين كانوا بحسب قوله: "لا يحتاجون في حرّ الصيف الدخول إلى جوف الارض، كما يعانیه أهل بغداد"^(٥)، وفي هذا النص يبيّن متز ان التحدي الذي تفرضه الطبيعة بقسوة طقسها كانت الاستجابة اليها، باتخاذ السرايب كمأوى لهم ووقاية من الحر، إلا انه في مكان آخر ناقض نفسه بنفسه، بخصوص ايواء اهل بغداد والى السرايب هرباً من الحر، فقال: "ولا نجد فيما بين ايدينا من اخبار القرن الرابع^(٦) بالعراق ما يدل على استعمال السرايب للسكنى في الصيف..."^(٧)، وكان العامة في بغداد حسب ما ذهب اليه متز ينامون على

(١) القدحان، الحياة الاجتماعية في بغداد، ٣٩-٩٢؛ سعد، العامة في بغداد، ١٢٣-١٥٩.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٦/٢.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٥/٢.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٤/٢.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٥/٢.

(٦) ربما كانت موجودة في غير القرن الرابع ببغداد.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٤/٢.

سطوح البيوت في ليل الصيف^(١)، وعملت العامة على تقليد الطبقة الخاصة، فعندما استحدثت الخليفة المتوكل (١٣٢-١٤٧هـ/٧٤٩-٨٦١م) ما يعرف بالبناء الحيري^(٢)، فان متز اشار إلى هذا المعنى بالقول: "... وقد اتبع الناس المتوكل انتماماً بفعله، حتى اشتهر هذا البناء"^(٣).

وتناول متز بعض العادات الاجتماعية التي قام بها العامة، فعند حديثه عن غسل الايدي بعد تناول الطعام، قال: "وكان غسل المدعوين ايديهم معاً على المائدة قبل الطعام عادة شائعة؛ ويكون غسل الايدي في وعاء واحد، ويبدأ رب البيت لنلا يحتشم احد، اعني من التقدم للطعام أولاً^(٤)، أما الغسل بعد الطعام وكان اشبه بتنظيف حقيقي، ورب البيت يغسل بعد جميع ضيوفه... أما اذا كان الغسل مع الرؤساء لا مع النظراء، كأن يكون لإنسان مع الوزير مثلاً، فكان الأليق ان يغسل الضيوف ايديهم في ناحية خاصة... وكانت هذه العادة شائعة، ففي العراق مثلاً كان الخاصة ينتظرون العامة ان يقوموا عن مجلسهم، ليغسلوا ايديهم جانباً"^(٥).

وعند حديث متز عن الالعاب والتسابق بالخيل والحمام والمهارشة، فإنه افاد باشتراك عامة الناس في سباقات الخيل، على ان لا تقام تلك السباقات لطلب المال، فقال: "... غير ان الفقهاء اشترطوا في هذه الرياضة التي اباحوها، وهي مسابقة الخيل^(٦)، ألا تلعب طلباً للمال، وكان سباق الخيل كثيراً بمصر، وبلغ من شغف الناس به وتقديرهم له ان السابق كان يأخذ حسان المسبوق، وذلك عام ١٩٠هـ/٨٠٦م... وكانت حلبة السباق في ايام خمارويه تقوم مقام الاعياد... وكان الناس

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٦.

(٢) البناء الحيري: وهو طراز من طرز البناء اوجده المتوكل، ويعرف باسماء عدة: الحيري، والكمين، والاروق؛ وسبب استحداثه ان بعض سماره حدّثه في بعض الليالي ان بعض ملوك الحيرة من بني نصر ابناؤ النعمان بن المنذر، بنى قصراً في عاصمته، ووصف له ذلك البناء، فقرر ان يبني على شاكلته، وانما سمي بالحيري؛ لانه بني على تصميم القصر الذي وصف له من قبل الرجل. المسعودي، مروج الذهب، ٤/٤.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٧.

(٤) هذا القول لمتز.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣١-٢٣٢.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٣.

مولعين بسباق الحمام، رغم انكار الفقهاء له، وكان منتشرًا في مصر، وزاد كثيرًا في القرن الخامس الهجري...^(١).

النصوص المتقدمة تبين بعض عادات وأنشطة الطبقة العامة التي تمثل السواد الاعظم بحسب ما جاء في كتاب نهضة الاسلام لمتز.
ت . طبقة العبيد.

مثلت هذه الطبقة الحلقة الاضعف من مكونات المجتمع الاسلامي، وكانت ظاهرة الاسترقاق موجودة منذ العصور القديمة، وكانت الحروب الممول الرئيس للعبيد، وقد تم تقسيم العبيد أو الخدم إلى اقسام عدّة، كانت مصر وجنوب شبه الجزيرة العربية وشمال افريقيا من اكبر اسواق الرقيق الاسود، كانت اسعارهم متباينة ففي منتصف القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، كان سعر العبد هو: (٢٠٠ درهم)، واشترى كافر الاخشيدي عبدا بمبلغ (١٨ ديناراً)^(٢) وهذا مبلغ ضخم، والسبب هو انه كان عبداً مخصياً^(٣)، واشترى عبداً في عمان سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، بسعر (١٥٠ دينار)، واشترى صاحب بن عباد زنجياً حبشياً بمبلغ: (٤٠٠ دينار) فاستكثر هذا المبلغ^(٤).

كان النخاسون^(٥) يهتمون اهتماماً كبيراً في الجواري ويدربونهن على ذائقة الشعر والطرب وتأديبهن تأديباً خاصاً لرفع اسعارهن لمن يطلبهن، فقال متز بهذا الخصوص: "... وقد يحدث ان يكون بيت النخاس مكاناً يُكثَرُ غشيانه الشعراء، وكان معظم القيان اللاتي يحترفن الغناء ببغداد في سنة ٣٠٦هـ [٩١٨م] جواري، وقليل منهن حرات، وكان للمشهورات من حُذّاق المغنيات اثمان

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٩/١.

(٣) السبب الذي لأجله يباغ المخصي بسعر أكثر.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨١/١.

(٥) النخاسون: مفردها نخّاس، وسمي نخّاساً لنخسه الدواب، وهو تعريزه مؤخرة الدابة، ثم قيل لبائع الناس نخاس ايضاً. الجواليقي، شرح أدب الكاتب، ٨. والنخاس هو الذي يبيع الجواري والغلمان، الجاحظ، البيان والتبيين، ٥٦٢؛ وكيع، اخبار القضاة، ١٦٣/٢؛ الاصفهاني، الاغاني، ١٧٧/٥، ٤١٧/١٠، ٣٧٠/١٢، ٤٣٦/١٦، ٤٨٧، ١١/١٧، ٧٤/١٩، ٣٣/٢٣، القالي، الامالي، ٢٣/٢؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٠٩/٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٣٣/٧، ٣٤٧/٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٦٣/١٠؛ الابشيهي، المستطرف في كل فنّ مستظرف، ٢٥٤/١.

كبيرة^(١)، وحدث ان ثبتت اسواق لبيع الرقيق من الغلمان والجواري، كما حدث في مدينة سامراء، وعمل النخاسون على تحسينهن وتزويقهن بالنبرج، وكانوا قد استخدموا مساحيق التجميل، والدهونات كما صنفت الكتب التي ترشد إلى طرق التعامل وعرض العبيد للبيع والوسائل التي يستطيعون من خلالها كسب الربح، واستخدام التدليس والغش في كثير من الاحيان^(٢)، وقد بين ذلك متز من خلال قوله: "... فكم من سمراء كمدة بيعت بصفراء مذهبة، وممسوح العجز بثقيل الروادف... وكم من مرة جعلوا العين الزرقاء كحلاء، وحمروا الخدود المصفرة، وسمنوا الوجوه المقعقة"^(٣)، وكان من العبيد من يتمكن من نيل الحضوة عند سيده، وفضل العبيد واكثرهم مكانة هم حملة السلاح، وقد اشتغل العبيد بالزراعة والخياطة^(٤).

هذه الطبقات الثلاث الرئيسية التي تكوّن منها النسيج الاجتماعي في الدولة الإسلامية، وهو تقسيم من التقسيمات العامة التي تدخل تحت كل قسم منها اصناف تصنف بحسب العرق والعقيدة والمهنة التي يزاولها.

٥. طرق التكيف.

كان لاتساع مساحة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، الأثر الواضح في اختلاف الطقس من منطقة لأخرى، زد على ذلك فالمنام بشكل عام كان يختلف من منطقة لأخرى؛ لذلك فقد عمل المسلمون على ايجاد طرق ووسائل للاستجابة لتحدي الطبيعة، وهذا التحدي جاء بأساليب متعددة، فالوقاية من الحر في فصل الصيف قد استجاب لها الانسان بألياته البسيطة من خلال اللجوء إلى السراييب، تحسباً ووقاية من الحرّ، وقد عمل هذا اهالي مدينة ارجان^(٥) في بلاد فارس، وكذلك مدينة

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/١.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤-٢٨٥/١.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/١.

(٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٩٠/١، ٢٩٣، ٢٩٥.

(٥) ارجان: عامة العجم يسمونها ارغان، وهي مدينة كبيرة، بها نخل وزيتون، بينها وبين شيراز ستون فرسخاً. الحموي،

معجم البلدان، ١٤٢/١-١٤٣.

سجستان^(١) فقال مترز عنهما: "اول مدينتين اتخذ اهلها في فصل الصيف السرداب تحت الارض... ان من خصائص مدينة ارجان ان فيها من الابنية تحت الارض مثل ما فوقها، وان الماء يجري تحت الارض وفي السراييب، وفي اشهر الصيف يستروح الناس فيها"^(٢)، وأشار مترز الى ان اهل بغداد كانوا ينامون فوق سطوح البيوت ليلاً في موسم الصيف، على خلاف مدينة صنعاء في اليمن، فانهم بموسم الصيف لا يخرجون من البيوت؛ لانها باردة، ومدينة أمّ ل^(٣) كانت سقوفها مسنّمة؛ لكثرة سقوط الامطار في موسم الصيف والشتاء وليس الشتاء وحسب، كذلك اشار إلى أهل اليمن أنهم وان اطبقوا الابواب وكنّفوا الستائر فلا يتغير ضياء البيت لأن سقفه من الرخام الابيض الصافي، والذي ربما لصفو بعض صخور الرخام في سقوف بعض البيوت، فانه يرى ظل الطير الذي يحلّق فوق البيت^(٤).

أما بالنسبة للطبقة الخاصة فان استجابتهم للتحدي تختلف نوعاً ما عن العامة، لأن مستوى معيشتهم يختلف ايضاً، فقال مترز: "وكان أهل الترف في ذلك العصر يستعيضون عن دخول السراييب بنصب قبة الخيش، أو بيت الخيش، وكانت عادة الاكاسرة^(٥)، ان يطين^(٦) سقف البيت في كل يوم صائف... وكان يؤتى بأطباق الخلاف طولاً فتوضع حول البيت، ويؤتى بقطع الثلج الكبار، فتوضع ما بين اضعافها، وكانت هذه عادة الامويين"^(٧)، ويبدو ان هناك تطوراً في هذا المجال ايام العباسيين (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)، إذ انه في ايام المنصور العباسي (١٣٦-

(١) سجستان: بكسر اوله وثانيه، ناحية كبيرة وولاية واسعة، الى الجنوب من هراة بينهما عشرة ايام. الحموي، معجم البلدان، ١٧٨/٣.

(٢) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) أمّ ل: بضم الميم واللام، اسم لأكبر مدينة في طبرستان، في السهل لأن طبرستان سهل وجبل. الحموي، معجم البلدان، ٥٧/١.

(٤) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٦-٢٠٧.

(٥) الأكاسرة: ملوك الفرس واحده كسرى.

(٦) يطين: أي يطلى بالطين لمنع دخول الحرارة اليه.

(٧) مترز، الحضارة الاسلامية، ٢٠٥/٢.

١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م)، عمل بطريقة اخرى مفادها وضع الخيش الغليظ وبله بالماء، فينتعش الجو ويبرد، ثم قلّد الناس هذه الطريقة وشاعت فيما بعد^(١).

واستقى متز نصاً عن المقدسي الذي رأى قصر عضد الدولة بشيراز، كيف كان الخيش يبلى بالماء على الدوام بواسطة أنابيب تصب الماء على الخيش من الاعلى، فيبرد الجو، وبين متز ان هذه الطريقة شاعت بكثرة في بغداد^(٢)، وهذا دليل على ان العامة في بغداد تمكنوا من استعمالها وسرّت في اوساطهم، بعد أن استُخدمت من قبل الخاصة الذين انتقلوا إلى طريقة اكثر تطوراً منها.

كما استخدم الخاصة في بيوتهم مراوح تشبه الشراع معلقة في سقف البيت تربط بحبل، وتبلى بالماء الذي غالباً ما يُخلط بماء الورد، فيجذب الحبل فتذهب وتجيء بطول البيت فيهب نسيم بارد معطر بعطر ماء الورد^(٣).

ولم يقتصر التكييف على البيوت وحسب بل عمل الخاصة على تكييف الحراقات^(٤) التي كانوا يركبونها في نهر دجلة، وقد وُضع الخيش المبلل لتكييف الجو في الحراقة، ويبلى ذلك الخيش، بعد ان ترخى عليه الستائر^(٥).

وكان لطرز البناء وتخطيطه الأثر الواضح في ان يعطي البيت نوعاً من انواع الجو المكيف، فيحسب حساب النوافذ وواجهتها وسعتها، كذلك واجهات الابواب، وزراعة الاشجار الضلّية في الاماكن القريبة من نوافذ البيت وابوابه، أو جريان الماء بالقرب منها ليعطي الجو نوعاً من انواع التبريد، وكان لمستوى المعيشة في هذا الجانب الدور كبير في تهيئته^(٦).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٥.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٦.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٦.

(٤) الحراقات: بالتشديد والفتح: نوع من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر. الفراهيدي، كتاب العين،

٣/٤٢؛ الجوهرى، الصحاح، ٤/١٤٥٨؛ ابن سيده، المخصص، ٣/٢٦.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٦.

(٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٧، ٢١١، ٢١٥.

٦. القصور وأماكن السكنى وطرق البناء والتزيين.

اهتم حكام المسلمين في بغداد والقاهرة وقرطبة، وغيرها من المدن، في بناء القصور الفخمة، وكانوا قد تفننوا في التخطيط العمراني والتصميم، وإيجاد كل ما هو ملفت للنظر، تناول متر معلومات قيّمة تم التركيز فيها على الجانب الخططي، ولم يفصل في الكيفية التي انشأت فيها، لكنه تناول كل ما هو مثير للدهشة والغرابة في نواحي تلك الدور، والتي كانت تحتوي كل دار منها على قصور كثيرة، فعلى سبيل المثال قال عن قصر الخلافة في بغداد: "وكان قصر الخلافة يشتمل على دور وبساتين ومسطحات مظلة بالأشجار وعلى قباب واروقة، وكانت تزيد في جماله البرك والانهار الجارية، ويحكى عن الخليفة القادر [٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م] انه كان يجلس في البيت المعروف ببيت الرصاص... وكانت الاروقة تسمى بالأربعيني أو الستيني أو التسعيني بحسب الغلمان^(١)، أو الحرس الذين يجتمعون فيها"^(٢).

وحدث بمصر أيام الفاطميين أن اوصلت قصورهم ببعضها بسرايب اقيمت لغرض الخروج من اماكن اخرى من دون ان يراهم أحد وقت الحاجة لذلك^(٣)، وأقام الطولونيون في قصورهم بركة من الزئبق طولها خمسون ذراعاً وعرضها خمسون، اركانها من الفضة الخالصة، وهي البركة التي اقامها خمارويه، وقيل عنها: "وكانت من أعظم ما سُمع به من الهمم الملوكية، فكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب، اذا تألف نور القمر بنور الزئبق"^(٤).

أما قصر المقتدر بالله، الذي اصطحب اليه رسل ملك الروم سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م^(٥) فقال متر: "زين قصره ورتب آتته فيه، ثم ادخلهم اليه [الرسل] فرأى الرسل فيه العجب، ثم اخرجوا إلى

(١) هذه المسميات اطلقت بحسب طول مدة رواتبهم، أي ان بعضهم يتقاضى راتبه بأربعين يوم أو ستين أو تسعين، متر، الحضارة الاسلامية، ٣٠٩/٢ هامش (٢).

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٠٩/٢.

(٣) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١٠/٢.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢١١/٢.

(٥) عن تفاصيل ما شاهده اولئك الرسل في قصور الخلافة ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١١٥-١١٦.

الجوسق المحدث^(١)، وكان داراً بين بساتين، في وسطها بركة رصاص^(٢)... وكان فيها اربع طيارات^(٣) لطاف مذهبة مزينة بالديبقي المطرز، واغشيتها ديبقي مذهب^(٤).

أما قصر الثريا^(٥) الذي كان لأحد الخاصة المتنفذين، فان الشاعر ابن المعز قال فيه:

حللت الثريا خير دار ومنزل فلا زال معموراً وبورك من قصر
وبنيان قصر قد علت شرفاته كصف نساء قد تريعن في^(٦) الازر^(٧)

زودت هذه القصور بأنواع الورود والازهار النادرة والفوارات، والطيور والحيوانات المتوحشة، وربما جيء بهذه الاصناف من مناطق بعيدة، حتى ان الخليفة القاهر (٣١٧-٣٢٠هـ/٩٢٩-٩٣٢م) قال عنه متر وهو يتحدث عن حبه لأحد قصوره، فقال: "وكانت لذة الخليفة القاهر من الدنيا بستاته الكبير الذي غرس فيه النارج، وحمل اليه مما حمل من ارض الهند، قد اشتبكت اشجاره ولاحت ثماره، وكان فيه انواع الاطيار؛ وكان الخليفة كثير الجلوس والشراب فيه، وهو يقول عنه: وكان لذتي من الدنيا"^(٨).

(١) الجوسق المحدث: الجوسق هو القصر. الجوهري، الصحاح، ٤/١٤٥٤.

(٢) عن وصف هذه البركة وابعادها ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/١١٨.

(٣) الطيارات: وهي نوع من السفن النهرية التي تنجر بانسيابية اكبر. الصولي، الاوراق، ٢، ٢٦٢، ٢٨٠؛ مسكويه، تجارب الامم، ٥/١٦٤، ٦/٢٨١، ٣٦٠؛ الهمداني، تكملة تاريخ الطير ي، ١/١٠٢؛ الزمخشري، اساس البلاغة، ١٠٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١٣/١٧٤.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١١.

(٥) قصر الثريا: وهو قصر بناه المعتضد العباسي (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م)، قرب قصر التاج وعمل بينهما سردابا لتمر فيه حظاياهم. الحموي، معجم البلدان، ٢/٧٧.

(٦) اصبح هذا القصر في ايام الحموي خرابا، اذ قال فيه: "وهي الآن خراب". معجم البلدان، ٢/٧٧.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٠٩. للاطلاع على الابيات كاملة ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٢/٧٧.

(٨) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٣.

وأشار إلى قصر المقتدر بالله، وهو قصر الشجرة^(١) المصنوعة من الفضة، ووزنها (١٥٠٠ درهم)، وضعت وسط بركة من الماء الصافي، وللشجرة ثمانية عشر غصناً، ولكل غصن شاخات وافرع أخرى، قضبانها الذهب والفضة، ولها ورق متعدد الالوان، عليها طيور وعصافير مفضضة ومذهّبة، وكان قد تعجب بها رسل الروم عندما رأوها، وكذلك استُخدم في تلك القصور الاثاث المصنوع من الخشب الساج الهندي، والتخوت والموائد المصنوعة من افخر انواع الاخشاب، وزينت بمختلف الاشكال والالوان بعد طلاء جدرانها، ورسم الأشكال والصور عليها^(٢).

٧. المائدة والشرب واسلوب الدعوة:

اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بإكرام الضيف والمائدة التي تقدم اليه، ويمرور الزمن أصبح الاهتمام بهذا الجانب مبالغاً فيه إلى درجة الاسراف والبذخ، فتفننوا بصنوف الاطعمة والاشربة، وطرق تحضيرها، واساليب تقديمها، والعادات التي اعتيد عليها في مثل هذه المناسبات.

فالمعتاد في العصر الاسلامي الأول ان يقَدّم الطعام دفعة واحدة، فيأخذ كل واحد منها ما يشتهي، إلا ان التطور الحاصل بالطريقة، هو ان يُقدّم الطبق الرئيس في أنية كبيرة تتوسط اطباق عدّة، فيأخذ كل فرد من المدعوين ما يكفيه ليضعه في صحنه، وان احتاج للمزيد ازاد، وكانت لكل شخص مدعو اطاقيه الخاصّة من صنوف الطعام الأخرى دون ان يشاركه فيها أحد، لأن لكل من المدعوين قد افردت له صحونه^(٣).

وكان صاحب الدعوة يبدأها بكتابة بطاقة تحوي بمضمونها كلام منمّق معبر فيه من البلاغة والسجع والكلام المليح، وقد نقل منز نص لدعوة قدمت من قبل احد الخاصة ليدعو لمائدته صديق

(١) قصر الشجرة: وهي دار من دور الخليفة المقتدر بالله، سميت بهذا الاسم لانها وضعت فيها شجرة مصنوعة من الفضة، وزنها خمسمائة الف درهم، عليها اطياف من الفضة، واوصافها عجيبة بالنسبة لاهل ذلك الزمان، حتى ان وفد قيصر الروم تعجب لما رآه من ذلك المشهد. للمزيد من التفاصيل عن قصر الشجرة، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١١٧/١-١١٨؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ١٣/١٧٥؛ الحموي، معجم البلدان، ٢/٤٢١؛ النياضي، مرآة الجنان، ٢/١٨٤؛ الذهبي، العبر في خبر من غير، ٢/١٣٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٢/٢٤٦.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢١٤-٢١٦.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٠-٢٣١.

له، قال فيها: " نحن يا سيدي في مجلس غنى الا عنك، شاكر الامنك، قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت فيه خدود البنفسج، وفاحت مجامر الأترج... واهتزت رياح الاقداح، نفقت سوق الأنس، وقام منادي الطرب... فحياتي لما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد، وتتصل الوسطة بالعقد"^(١)، هذا النص يعود إلى القرن الرابع الهجري، والذي على صاحب الدعوة ان يحدث ويؤانس المدعويين ويواسطهم، وان يبدأ رب البيت بغسل اليدين أولاً عند حضور المائدة حتى يرفع الاحراج عن ضيوفه، ووضعت نواهي يفضل تأدياً عدم القيام بها أثناء الطعام، زد على ذلك هناك اشياء في المائدة يكره تناولها، وقد حددت مع الاسباب التي ادت إلى النهي، وعن صاحب الدعوة ان لا يحمد الله جهاراً أثناء الطعام أو يشكره؛ لئلا يفهم الضيف انها اشارة اذن لانتهاه من الطعام فيُخرج ويكتفي، وصنفت المصنفات التي تهتم بفنون الطبخ ووصفاته^(٢)، كذلك صنفت الكتب للندماء^(٣) والجلساء الذين يشاركون الكبراء والخاصة، وما عليهم فعله وقوله، وما نهوا عن القيام فيه، وكان وقت المسامرة والفرح يفعل تماماً عن وقت الطعام^(٤).

أما الموائد التي تقدم بالأعياد فان الحلوى المصنوعة من السكر ويضاف اليه المطيبات كماء الورد والكافور وكذلك العنبر، فعند تقديمها توضع وسط المائدة، وكانت تصنع بمهارة وتقنن كأن تكون قصور من السكر، أو سمكا مصنوعا من السكر واللوز والعسل^(٥)، واثار منز إلى مائدة عامّة بين أصنافها، فقال: "ويحكى انه في آخر يوم من رمضان سنة ٣٠٨ هـ [٩٢٠م] حمل يأنس الصقلبي صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل واطباقتها فيها تماثيل من الحلوى، وحمل أيضاً علي بن سعد المحتسب القصور والتماثيل وتماثيل السكر وطاف بها شوارع القاهرة، وكانت تُعمل اسمطة أخرى في القصر يحضرها الخليفة بنفسه في يوم عيد الفطر وعيد النحر [الأضحى] ففي عيد الفطر يُعمل سماط طوله ثلاثمائة ذراع في سبعة أذرع من الخشكنان

(١) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٠.

(٢) مثل كتاب الطبخ للبغدادي.

(٣) مثل ادب النديم لكشاجم.

(٤) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٤-٢٣٧.

(٥) منز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٣٦-٢٣٧.

والفانيذ^(١) والبسند^(٢)، فإن صلى الخليفة الفجر جلس ومكّن الناس من ذلك السمات (مائدة الطويلة)^(٣) الممدودة، فيهجمون عليه وينهبونه ويحملونه^(٤).

ما تقدم من الكلام بيّن بصورة واضحة ما كان يعمله الخاصة من الاهتمام بالمائدة وأصنافها من الأطعمة والأشربة، والتي ربما بولغ في تقديمها وأسرف اسرافاً كبيراً.

٨. وسائل التسلية واللهو (الصيد، المهارشة بين الديكة، المناطحة بين الكباش).

دخلت وسائل التسلية بأنواعها المختلفة حياة الخاصة سيما الخلفاء والأمراء وأصحاب السلطة، زد على ذلك عامة الناس، ولكل طبقة من هذه الطبقات طرقها الخاصة بالتسلية، فالصيد كان واحداً من وسائل التسلية التي مارسها اغلب الخلفاء لاسيما العباسيون منهم، حتى ان الصيد دخل في الأدب العربي بقصائد اطلق عليها اسم: (القصائد الطردية)^(٥)، الا ان اغلب هذه القصائد كانت مادتها مدح ووصف كلاب الصيد^(٦).

كانت الاسود من اكثر الوحوش ضراوة، ومن أشهرها ولم تكن نادرة جداً بل تشير الروايات إلى وجودها في بلاد الشام، على شاطئ دجلة والفرات وكانت مخيفة وأحياناً تدنو من بغداد، حتى اذا فُقد الشخص وضاع اثره اول ما يتبادر إلى الذهن ان يقال: (اكله أسد)^(٧)، وقد كانت السباع تدنو من بغداد وكان الخلفاء أو خاصتهم يخرجون لصيدها، ففي سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م خرج الخليفة المتقي

(١) الفانيذ: نوع من انواع الحلويات الذي يصنع من عصارة قصب السكر، وهو لفظ فارسي معرب. الفراهيدي، كتاب العين، ١١٨/٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣/٣٤٢، ٥٠١. قال الحموي: "... والفانيذ نوع من السكر لا يوجد الا بمكران، ومنها يحمل الى سائر البلدان...". معجم البلدان، ٣١/٥.

(٢) البسند: لم اجد له ترجمة، لكن من سياق النص يبدو انه نوع من الحلوى.

(٣) هكذا ذكره متر.

(٤) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٩١-٢٩٢.

(٥) القصائد الطردية: هي قصائد تقال واصفة مطاردة الحيوانات، وصيدها ولم تستعمل كلمة طرد لتعطي معنى الصيد، وكان من أهل الشام يستعملون كلمة طارد بدلاً من صاد. متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٨ هامش (١).

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٧-٢٥٨.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٨.

(٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٦-١١٦٠م) إلى الشماسية لصيد السباع^(١)، ويحكى عن خمارويه صاحب مصر انه ما سمع بأسد إلا خرج في طلبه^(٢)، وقد استعملت من الطرق والاساليب والفخاخ ما يساعدهم في صيد السباع مثل: (الطنء، والشربية)، وهما عبارة عن حفر تحفر وتغطى بأغصان اشجار أو تغطى بالتراب لتكون مشابهة للأرض المجاورة ويُطارد الاسد باتجاهها، فيسقط فيها، ويسهل التمكن منه، وقد استعملت هذه الطريقة منذ العصور القديمة^(٣)، وهناك رواية يعود تاريخها لعصر النبوة، بأن هناك رجالا طاردوا اسدا فسقط أربعة رجال منهم في فخ الاسد، فزلت قدم الاول فامسك بالثاني والثاني تعلق بالثالث والثالث تمسك بالرابع، حتى سقط اربعة منهم، وتمكن من كان معهم من انقاذ بعضهم بعد ان جرحهم الاسد جرحاً بليغاً ومات منهم مفترساً من الأسد^(٤).

وكانت قصص السباع تتداولها العامة للتسلية والاستمتاع بها، وكان في قصور الخلفاء والوزراء والولاية اماكن توضع فيها الحيوانات النادرة، حتى ان قصر الخليفة المعتصم بسامراء مكان يسمى بـ: (حبر الوحش)^(٥)، وعمل خمارويه على اجتلاب نواذر الوحوش، فبنى في داره مكان للسباع وقسمه إلى بيوت لها، في كل بيت أسد ولبؤته^(٦)، وقصر المقتر كان فيه أصناف الوحوش، فقال فيه منز: "وصار يرسل اليها كل غريب من الحيوان من جميع البلاد"^(٧).

لقد تفنن الخاصة من الوزراء في جلب واقتناء كل ما هو نادر وعملوا الكثير مما هو غريب على عصرهم، فكان جعفر بن الفضل بن الفرات (ت: ٣٩١هـ/١٠٠٠م) تولى منصب الوزارة والمعروف بـ: (ابن خنزابة)^(٨)، كان يتسلى بالنظر إلى الافاعي والحيات والعقارب والحشرات، وكان يبذل الاموال

(١) ابن الجوزي، المنتظم من تاريخ الملوك والأمم، ٢٤/١٤؛ متر، الحضارة الاسلامية، ٢٥٨/٢.

(٢) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٥٨/٢.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١١٣/١؛ الفيروزابادي، القاموسي المحيط، ٢٠١/١.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٦١٩/١.

(٥) الاصبهاني، الاغانى، ٣١٧/١٠، ٢٢٦/١١.

(٦) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٥٨/٢-٢٥٩.

(٧) متر، الحضارة الاسلامية، ٢٥٩/٢.

(٨) ابن خنزابة: هو الوزير الاخشيدي ابو الفضل جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، توفي بمصر ونقل الى المدينة المنورة ودفن فيها، سنة (٣٩١هـ/١٠٠١م) عن عمر ٨٣ عاما. عن ترجمته. ينظر: السمعاني، الاتساب، =

لكل من يصطاد له حشرة نادرة، وعين على تلك الدار من يديرها ويهتم بحشراته، وتسلى عامة الناس بالحكايات التي يرويها لهم الحاكية، ويستمتعون فيها، وطالما استخدم بعضهم الاخبار والقصص النادرة الساخرة والهزلية، وكان البعض قد اتخذ من هذا الفن للكسب والتسلية والمتعة^(١)، وحدث ان سمع الخليفة المعتضد برجل ببغداد اسمه: (ابن المغازلي)^(٢)، كان يحفظ من الاخبار والقصص النادرة ما يضحك الثكلى، فأرسل عليه وسمع منه فاعجب فيه، وعدّه ممن كان يتسلى بأحاديثهم وقصصهم الممتعة الساخرة، وقد صنّف الازدي في القرن الخامس الهجري كتاباً فيه حكايات ممتعة ومسلية بعنوان: (حكاية ابي القاسم البغدادي)^(٣).

كان من وسائل التسلية الأخرى، المسابقة بالخيال وهي وسائل التسلية التي زاد الاهتمام فيها، وفتحت حلقات السباق في مصر سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م حتى ان حلبة سباق خمارويه كانت تقوم مقام الاعياد، وصنف في هذا المجال كتاب بعنوان: (كتاب الجلائب والحلائب)^(٤)، أشار فيه إلى كل حلبة اقيمت قبل الاسلام وفي عصر الاسلام^(٥).

وتسلى الناس بسباق الحمام، وكان منتشرًا بين الخاصة والعامة، برغم النهي عنه وانكاره، وقد انتشر في مصر بين العامة والخاصة، بل حتى من بغداد، إذ سابق الخليفة المعز الفاطمي حمامه مع حمام الوزير أبي الفرج يعقوب^(٦)، فسبق حمام الوزير حمام الخليفة، وغضب الخليفة لذلك^(٧).

= ٢٤٧/٥؛ ابن الاثير، اللباب، ٣/١٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/٣٦٣؛ كحالة، د.عمر رضا، معجم المؤلفين، ٣/١٤٢.

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٩.

(٢) ابن المغازلي: وهو مضحك يروي الحكايات والمضاحك ببغداد، لا يسمع نواذره وحكاياته احد الا ويضحك منها، وكان حذقا عاصر الخليفة المعتضد، وله مع الخليفة المعتضد نواذر ومضاحك. المسعودي، مروج الذهب، ٤/١٦٣-١٦٥.

(٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٦٠-٢٦١.

(٤) الحلائب والجلائب: وهو من تصنيف يحيى بن لهيعة المصري، وقد ذكر فيه على خلية اجريت فيها خيل في الجاهلية والاسلام. المسعودي، مروج الذهب، ٢/٢١٥.

(٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٣-٢٥٤.

(٦) مرت ترجمته سابقا باسم الوزير ابن كلس.

(٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٤.

وذكر بأن لخليفة المعتز قد اصطحب عبدالله بن عبدالله بن طاهر عندما كان ضيفاً عنده على عراك أسد وفيل، وكان ذلك من الامور الغريبة التي ادهش لها^(١).

اما المهارشة بين الكباش والديوك، فهي تهيج واغراء الحيوانات بعضها ضد بعض، وكانت من وسائل التسلية، فذكر ان سبكتكين التركي كان لديه كبش نطاح قوي، قد ذكره ابن الحجاج النيلي في أشعاره وكان قد تمنى ان ينطح هذا الكبش زوج قبيح الصورة لمغنية جميلة كان هو متعلقاً بها^(٢).

وقد ارجع الدكتور محمود اسماعيل ان هذه العادات والاخلاقيات التي عمت المجتمع يعود سببها الى سيطرة العناصر الاجنبية على السياسة في مختلف المناطق، فقال في مصر الفاطمية: "تطاول المغاربة والأتراك والاكرد والغز والديلم والسودان الذين شكلوا عمد الجيش الفاطمي، والذين كان ولائهم للوزراء العظام اكبر من ولاءهم للخلفاء"^(٣)، واما السلاجقة فقال عنهم: "فقد تعاضم نفوذ الأتراك الذين قطعوا الارض وهيمنوا على السياسة والجيش، وعلى الصعيد الاجتماعي، احدثوا خلخلة في البناء الاثني، فضلا عن ذبوع اخلاقهم البدائية التي كرسّت التخلف"^(٤).

وعن عهد الاتابكة والايوبيين، قال: "استمر الأتراك خصوصا بعد نجاحهم في تأسيس امارات تركية في بعض المدن المهمة مثل حلب... ثم صاروا [الأتراك] الركيزة الاساسية في الجيش الايوبي..."^(٥).

اما بالنسبة للعرب في العصور العباسية المتأخرة، فذكرهم بالقول: "اما العرب فقد فقدوا التوجيه السياسي والصدارة الاجتماعية منذ اواخر العصر العباسي الاول، ولم تعمر الدويلات التي اقاموها في اعالي بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية، ومن ثم اتسم تاريخهم منذ ذلك الحين بطابع البداوة القحّة، حيث شكّلوا قوى مخربة في الشرق والغرب على حدّ سواء... وعملوا على قطع طريق الحجيج معنّين العصيان للسلطة والسلب والنهب"^(٦).

(١) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٨.

(٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢/٢٥٤.

(٣) سيسيولوجيا الفكر الاسلامي، ٦/٩١.

(٤) سيسيولوجيا الفكر الاسلامي، ٦/٩٢.

(٥) اسماعيل، سيسيولوجيا الفكر الاسلامي، ٦/٩٣.

(٦) اسماعيل، سيسيولوجيا الفكر الاسلامي، ٦/٩٤.

الغاية

توصل الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات لعل أهمها:

- ١- تعدّ المدرسة الاستشراقية الالمانية من المدارس التي برز فيها أعلام كُثر، إلا ان اغلبهم كان معتدلاً تجاه الاسلام سيما آدم متز- ويعزى ذلك للتوجهات الاستعمارية المعتدلة من قبل المانيا تجاه العالم الاسلامي، فكان اغلب مفكريها تبشيريين، ومن هنا جاء الاعتدال.
- ٢- اعتماد آدم متز على مجموعة كبيرة من المصادر المهمة التي كان في طليعتها مخطوطات لم تحقق بعد في أيامه، كما انه اعتمد المطبوع ايضاً وكانت مصادره متنوعة، وأجاد باستخدامها في كتابه الذي يعدّ من الكتب القيّمة التي تحمل في طياتها معلومات غاية في الأهمية.
- ٣- اشتغل متز كتابه بمنهجيات الكتابة التاريخية المتعددة، كالمقارنة والتحليل، وعرض الحوادث ووصفها، محاولاً التعرض لكل ماهو جديد لافت للنظر من غرائب وطرائف الحكايات، وكان قد اعتمد نماذجاً منها، ونصوص نادرة واختار احياناً الحكايات والنوادر الشعبية لتكون مصدراً له مثل الف ليلة وليلة، وحكاية أبي القاسم البغدادي، كي يأخذ منها ماهو غريب من الحوادث، وقد أجاد استخدام هذه الطريقة.
- ٤- ركّز متز على العادات والأخلاق السالبة، وأهمل بنسبة كبير الجوانب المشرفة، كالتلويح على منع الدين الاسلامي وتحريم الفقهاء للظواهر والعادات الاجتماعية السلبية بشكل مختصر جداً، وكانه بالفعل أراد ان يتمسك بكل ماهو جديد ونادر من الحكايات التي اهمل الكتابة فيها العرب والمسلمون لما فيه من عبارات غير لائقة وكلام يخدش الحياء.
- ٥- المطلاع المدقق بالكتاب يجد بوضوح المنهج المقارن في الكثير من صفحاته لاسيما المتعلق بالمقارنة بين بغداد والقاهرة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إذ كان تركيزه كبيراً على هتين المنطقتين؛ وبالتأكيد السبب يعود إلى انهما يمثلان مركزين سياسيين وحضاريين رئيسيين في الدولة الاسلامية، وبعقائد مذهبية متضادة، ناهيك عن التنافس السياسي فيما بينهما على مناطق النفوذ داخل المنطقة الاسلامية تحديدا في بلاد الشام، وأهمل بشكل كبير الدولة الاموية في الاندلس مع انها عاصرت العباسيين ببغداد، والفاطميين في القاهرة، وكانت الوقت نفسه تختلف معها مذهبيا وسياسيا، والسبب هو عدم وجود مناطق تماس معها، وكان تراثها

مليئاً بما كتبه متز حول العادات والأخلاق، بل ربما تكاد عاصمتهم قرطبة تضاهي بغداد أو القاهرة بالنوادير والحكايات الدالة على العادات والاخلاق التي ركز عليها متز.

٦- يمكن القول إن العادات والأخلاق ارتبطت ارتباطاً كبيراً بمستوى المعيشة الذي حدد تطبيقية المجتمع، وبالتالي اخلاقياته وعاداته التي كان يمارسها، مع تأكيدنا على ان ما كتبه متز يثبت وجود هذه العادات والاخلاق، ويؤكد مستوى المعيشة المتباين، ولكن هذا يمثل الشاذ عن اخلاق الاسلام والمجتمع الاسلامي، وكان هذا التمثيل نسبياً، والذين مارسوه وعملوه وعاشوه لا يمثلون كل المجتمع الاسلامي، والغالب اذا كانت ممارسته بشكل كبير وانتشار واسع، فان تنظير وتعاليم الدين الاسلامي كانت بعيدة كل البعد عن هذه الممارسات وقد نهت عنها بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية، وشدد الفقهاء على المنع، ومن هنا يمكن القول إن هذه الممارسات تمثل الذين مارسوها ولا تمثل الدين الاسلامي.

الملاحق

الملحق (١)

الموارد العربية التي اعتمدها متر و اشار اليها باقل من ثمان احالات

اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد المرات	الجزء والصفحة من كتاب متر
صورة الارض	ابن حوقل	٩	١٦٩/٢ هامش (٣)، ١٩٨ هامش (١)، ٢٦٦ هامش (١)، ٢٦٨ هامش (١)، ٢٦٨ هامش (١)، ٢٧١ هامش (١-٢)، ٢٧٢ هامش (١)، ٢٧٣ هامش (٢).
المحاسن والمساوئ	البيهقي	٩	١٥٦/٢ هامش (١)، ١٥٧ هامش (٣-٤)، ١٥٨ هامش (٢)، ١٧٤ هامش (٣)، ١٩٦ هامش (١)، ٢٠٦ هامش (٤)، ٢٣٢ هامش (٣)، ٢٤٨ هامش (٤).
ديوان عريب	عريب	٨	١٧٦/٢ هامش (٣)، ١٨٤ هامش (٥-٦)، ٢٠٤ هامش (٢)، ٢٢٣ هامش (٥)، ٢٢٤ هامش (١)، ٢٣٥ هامش (١).
تاريخ الطبري	محمد بن جرير الطبري	٧	١٥١/٢ هامش (٣-٤)، ١٥٥ هامش (٤)، ٢٠٥ هامش (٤)، ٢٣٨ هامش (١)، ٢٥٦ هامش (٥)، ٢٧٠ هامش (٢)، ٢٩١ هامش (٢).
جغرافية اليعقوبي	اليعقوبي	٧	٢٠٠/٢ هامش (٣)، ٢٠٧ هامش (٣)، ٢١٦ هامش (٦)، ٢٦١ هامش (٣)، ٢٧٠ هامش (١)، ٢٧١ هامش (٣)، ٢٧٣ هامش (٥).

٢١٧ هامش (٢)، ٢١٤ هامش (٣)، ٢٦٧ هامش (٤)، ٢٧١ هامش (٥)، ٢٩٢ هامش (١).	٧	ناصر خسرو	رحلة ناصر خسرو
٢١٧ هامش (٢-١)، ١٩٧ هامش (٨)، ٢٢٩ هامش (٢،٤)، ٢٥١ هامش (٢).	٧	السبكي	طبقات السبكي
٢٢١ هامش (١)، ٢١٦ هامش (٣)، ٢٣٩ هامش (٥)، ٢٤٨ هامش (٧)، ٢٥٨ هامش (٤)، ٢٧٥ هامش (٣).	٧	التتوخي	الفرج بعد الشدة
٢٦٧ هامش (٢،٤)، ٢٠٨ هامش (١)، ٢٧١ هامش (٢-١)، ٢٧٢ هامش (٣).	٧	الاصطخري	المسالك والممالك
٨٦ هامش (٢)، ٧٤ هامش (٦)، ١٩٦/٢ هامش (٢)، ٢٠٢ هامش (١)، ٢٣٦ هامش (٣).	٦	القفطي	اخبار الحكماء
٢٢٧ هامش (٢)، ٢٠٤ هامش (٤)، ٢٢٨ هامش (٥)، ٢٥٧ هامش (٢)، ٢٩٤ هامش (١).	٦	مؤلف مجهول	العيون والحدائق
٢٣٢ هامش (١،٥)، ٢١٨ هامش (٣)، ٢٤٨ هامش (٥)، ٢٥٤ هامش (٣).	٦	الغزولي	مطالع البذور
١٥٨ هامش (٣،٥)، ١٥٧ هامش (٢)، ١٥٦/٢ هامش (٢-٣).	٥	الجاحظ	الحيوان

٢٤٦ هامش (٤)، ٢٤٤ هامش (٤)، هامش (١)، ٢٥٤ هامش (٤)، ٢٥٥ هامش (١)	٥	طيفور	كتاب بغداد
٢١٠ هامش (٧)، ٢٠٩/٢ هامش (١،٥)، هامش (٤)، ٢٢٤ هامش (٩).	٥	ابن خرداذبة	المسالك والممالك
٢١٦ هامش (٥)، ٢١٥ هامش (٢)، هامش (٣)، ٢٧٥ هامش (٢،٤).	٥	الهمداني	المقامات
٢٢٧/٢ هامش (٢-١)، ٢٥٣ هامش (٢-١)، ٢٨٩ هامش (١).	٥	الكندي	الولاء
٢٥٥ هامش (١)، ١٧٣ هامش (٢)، هامش (٥)، ٢٧٤ هامش (٢).	٤	الماوردي	الاحكام السلطانية
٢٥٦ هامش (١)، ١٨٥ هامش (٤)، هامش (٤)، ٢٩٥ هامش (١).	٤		زبدة الفكرة
٢٥٢ هامش (٢)، ٢٥١ هامش (٢)، هامش (٣).	٤	الراغب الاصبھاني	محاضرات الادباء
٢٥١ هامش (٥)، ٢٤٣ هامش (٢)، هامش (١)، ٢٦٠ هامش (٣).	٤	الابشيهي	المستظرب من كل مستظرف
٢٨٩ هامش (١)، ٢٨٨ هامش (١)، هامش (٤).	٣	البيروني	الاثار الباقية
٢٧٢ هامش (٣)، ٢٦٠ هامش (١)، هامش (١).	٣	الجاحظ	البيان والتبين
٢٤٢ هامش (٢)، ٢٢٥ هامش (٤)، هامش (٣).	٣	ابو نؤاس	ديوان ابو نؤاس

ديوان الشريف الرضي	الشريف الرضي	٣	١٧٥/٢ هامش (٢)، ٢٢٦ هامش (٦)، ٢٥٥ هامش (٤).
ديوان المتنبي	المتنبي	٣	٢٤١/٢ هامش (٢) ذكر فيه مرتين، ٢٤٧ هامش (٣).
الفهرست	ابن النديم	٣	٢٢٦/٢ هامش (١)، ٢٣٦ هامش (٢)، ٢٥٩ هامش (٤).
معجم البلدان	ياقوت الحموي	٣	٢٦٨/٢ هامش (٢)، ٢٧٢ هامش (١،٣).
وفيات الاعيان	ابن خلكان	٣	٢٢٨/٢ هامش (٤)، ٢٢٩ هامش (٤)، ٢٩٣ هامش (٢).
جمهرة الاسلام	الشيبي	٢	١٧٤/٢ هامش (٣)، ٢٠٦ هامش (٤).
رحلة ابن جبير	ابن جبير	٢	٢١٩/٢ هامش (٣-٤).
رسائل الخوارزمي	الخوارزمي	٢	١٧٥/٢ هامش (١،٣).
رسائل الهمداني	الهمداني	٢	١٥٦/٢ هامش (٣)، ٢٢٨ هامش (٢).
صفة جزيرة العرب	الهمداني	٢	٢٠٧/٢ هامش (٢)، ٢٣٦ هامش (٤).
عمدة المنسوب	الثعالبي	٢	٢٦٠/٢ هامش (٣-٤).
عيون الاخبار	ابن قتيبة	٢	٢٥٧/٢ هامش (١)، ٢٧٢ هامش (٣).

كتاب العلل	ابن بابويه القمي	٢	٢٣١/٢ هامش (٣)، ٢٣٢ هامش (١).
البخلاء	الجاحظ	١	٢٣٤/٢ هامش (٣).
الخراج وصناعة الكتابة	قدامة بن جعفر	١	١٥٩/٢ هامش (٥).
ديوان البحتري	البحتري	١	٢٢٤/٢ هامش (٥).

الملحق (٢)

الموارد الأجنبية التي احال اليها متر اقل من اربع احالات

المصدر	عدد المرات	الجزء والصفحة
Michaele Syrusse Chabot	3	٦٠/١ هامش (٣)، ٦٢ هامش (٢-٣).
Benjamin	3	٦٣/١ هامش (٢-٣)، ٦٤ هامش (٥).
Petachja, S	2	٦٤/١ هامش (٥، ١).
Dionys Chabot	1	٦١/١
H. Greatz, Qeschichte	1	٦٣/١ هامش (١).
Gold Zihher Revuedes	1	٦٣/١ هامش (١).
Mitteil Samml. Frzh	1	٦٣/١ هامش (٤).
Tafel. Und Thomas. Urkunder	1	٦٤/١ هامش (٣).
Landberg, Proverbes	1	١٧٦/٢ هامش (١).
Quaternere, Hist.des	1	٢٥٦/٢ هامش (٢).
Mittwoch, Meoe	1	١٦٠/٢ هامش (٢).
Dvorak, s	1	١٦١/٢ هامش (١).
Fontanic, funt	1	٢١٠/٢ هامش (٥).
Reinand	1	١٦٨/٢ هامش (١).
Kremer, ZDMG	1	١٧٣م٢ هامش (٤).
Sarreand Herzfeld	1	٢٠٤/٢ هامش (٢).

De Goeje, Carmathes, P.	1	٢٠٦/٢ هامش (٢).
Rohlf,Meinerster Aufenthelt in Markko	1	٢٣٨/٢ هامش (٦).
Pfizmaier, SwA	1	٢٤٨/٢ هامش (١).
Stendhal, Viepe Rossini	1	٢٤٥/٢ هامش (٣).
Ane Barhabraeus , Buch der Strahlen	1	٢٥٨/٢ هامش (١).
Goldziher, Afr	1	٢٥٤/٢ هامش (٢).
Schwarz, Turkestan	1	٢٥٤/٢ هامش (٣).
v. Maltzam	1	٢٦١/٢ هامش (٢).
E. Sachau, Am Euphyal and Tigris	1	٢٦١/٢ هامش (٣).
Grothe, Warderungen, in Persien	1	٢٧٢/٢ هامش (١).
C.H Becker, Papyri Schott. Reimn	1	٢٧٥/٢ هامش (٦).

الملحق رقم (٣)

قائمة باسماء المستشرقين الالمان مرتبين حسب حروف المعجم

الاسم	ت	الاسم	ت
شئراسماير ١٩٢٠	١٢١	اردمان ك	١
شئورير ١٨٢٢	١٢٢	ارنولد ١٨٦٩	٢
شئوفه	١٢٣	ارينزك	٣
شئيتسر ١٨٩٢	١٢٤	اشباخ	٤
شوارنس ١٩٣٨	١٢٥	إنجير ١٩٢٣	٥
شواللي ١٩١٩	١٢٦	اويناييم ١٩٤٦	٦
شومان	١٢٧	اوتنج ١٩١٣	٧
شوى ١٩٢٥	١٢٨	اومير ١٩٢٢	٨
شويتفورت ١٩٢٥	١٢٩	ايزيم	٩
شيباس ولد ١٩٠١	١٣٠	ايفالد ١٨٧٥	١٠
شيل هـ ١٩٦٧	١٣١	بارت ١٨٦٥	١١
شيمل- آن	١٣٢	بارث ١٩١٤	١٢
شبير ١٨٩٨	١٣٣	بارناوخر ١٩٣٥	١٣
غيلهام ١٩٠٩	١٣٤	بانيت	١٤
فاجنير	١٣٥	باوماكير	١٥

فاندينوف. ب. ١٨٦٨	١٣٦	بايزير ١٩٢٣	١٦
فايسفايو	١٣٧	باينجير ١٩٦٧	١٧
فايل ١٨٨٩	١٣٨	براتيوريوس ١٩٢٧	١٨
فايل جورج	١٣٩	برجشتراسج ١٩٣٣	١٩
فتشئين ١٩٠٥	١٤٠	بروتليخ ١٩٤٥	٢٠
فراكيل ١٩٠٩	١٤١	بروكلمان ١٩٥٦	٢١
فرانياج ١٨٦١	١٤٢	برونله	٢٢
فلاشير ١٨٨٨	١٤٣	برويشتر ١٨٧٩	٢٣
فلايمير - ه ولد ١٩١٥	١٤٤	بريتش ١٩٦١	٢٤
فلهوزن ١٩١٨	١٤٥	بريتل ١٩٤١	٢٥
فلوجيل ١٨٧٠	١٤٦	بفاف	٢٦
فلوليرس ١٨٨١	١٤٧	بفانولرج	٢٧
فموند ١٩١٣	١٤٨	بليسندر	٢٨
فندقو ولد ١٩٣٧	١٤٩	بويير	٢٩
فنسيمان	١٥٠	بوخه	٣٠
فنكلير ١٩١٣	١٥١	بولاك	٣١
فوك- ج ولد ١٨٩٤	١٥٢	بولوس ١٨٥٠	٣٢
فولف ١٨٩٤	١٥٣	بومشتارك ولد ١٩٨٧	٣٣

فولف ١٩٠٤	١٥٤	بونس هـ	٣٤
فوليرس ١٩٠٩	١٥٥	بويمير - هـ ولد ١٩١٥	٣٥
فوليك ١٩٠٣	١٥٦	بيرتش ١٨٩٩	٣٦
فيادمان ١٩٢٨	١٥٧	بيرثو	٣٧
فياسيل	١٥٨	بيركينماير	٣٨
فيانر	١٥٩	بيرمان	٣٩
فيرهانز ولد ١٩٠٩	١٦٠	بيكر ١٩٣٣	٤٠
فيستفالد ١٨٩٩	١٦١	بينيش	٤١
فيشر ١٩٤٩	١٦٢	بيوكمان	٤٢
كارن	١٦٣	تايشيز ١٩٦٧	٤٣
كاسباري ١٨٩٢	١٦٤	تبخن ١٨١٥	٤٤
كاسكيل ١٩٧٠	١٦٥	تريبس	٤٥
كامبماير ١٩٣٦	١٦٦	تسير	٤٦
كحاله ١٩٦٤	١٦٧	تنسكير ١٨٨٤	٤٧
كراوزه	١٦٨	توربيكه ١٨٩٠	٤٨
كراوس ١٩٤٤	١٦٩	تومسين	٤٩
كرايمير بوج ١٩٦١	١٧٠	تيل - و	٥٠
كربل ١٩٠١	١٧١	جاكوب ١٩٣٧	٥١

١٧٢	جائرس ١٩٥٤	٥٢
١٧٣	جراتسل	٥٣
١٧٤	جراف ١٩٥٥	٥٤
١٧٥	جروتفيلد ولد ١٩٣٣	٥٥
١٧٦	جروثيرت ١٩٢٩	٥٦
١٧٧	جريمه.هـ. ١٩٤٢	٥٧
١٧٨	جنسين	٥٨
١٧٩	جوايتين - س	٥٩
١٨٠	جوتشالك	٦٠
١٨١	جوخه	٦١
١٨٢	جونسبرج ١٩١٠	٦٢
١٨٣	جيازه ١٩٤٤	٦٣
١٨٤	جيزينوس ١٨٤٢	٦٤
١٨٥	جيلد يمايستر ١٨٩٠	٦٥
١٨٦	خبكه ١٨٦٤	٦٦
١٨٧	دالمان ١٩٤١	٦٧
١٨٨	دامنتادتر	٦٨
١٨٩	دايم ولد ١٩٤٤	٦٩
١٧٢	كرومباخر ١٩٠٩	
١٧٣	كلابروت ١٨٣٥	
١٧٤	كلنكه	
١٧٥	كوبيرت	
١٧٦	كوزيجارتين ١٨٥٠	
١٧٧	كون	
١٧٨	كونيل ١٩٦٤	
١٧٩	كيا بيرت ١٨٩٩	
١٨٠	كيرن ١٩٢١	
١٨١	كيسلنج ولد ١٩١٢	
١٨٢	لاتينس - ك ١٩٦٦	
١٨٣	لاخمان	
١٨٤	لاند ١٨٩٧	
١٨٥	لانداور ١٩٣٧	
١٨٦	لندل ١٩٢١	
١٨٧	لوث ١٨٨١	
١٨٨	لوزين	
١٨٩	لوكوتش	

ليبرت ١٩١١	١٩٠	دي تشاك ١٨٩٤	٧٠
ليزبارسكي	١٩١	دياتريش البرت ولد ١٩١٢	٧١
ليمان	١٩٢	ديتريش ١٩٠٣	٧٢
ماركفارت ١٩٣٠	١٩٣	ديروف ١٩٣٨	٧٣
مايستر - ب ١٩٤٧	١٩٤	ديفونشير	٧٤
مايلر ١٩٤٥	١٩٥	ديلمان ١٨٩٤	٧٥
متر ١٩١٧	١٩٦	ديليتش ١٩٢٢	٧٦
مثيلمار ١٨٦٨	١٩٧	ديمتروف	٧٧
منتيل ١٩٣٩	١٩٨	راكوف ١٩٥٩	٧٨
موردنمان ١٩٣٢	١٩٩	رامبي ١٩٧٢	٧٩
مورينس ١٩٣٩	٢٠٠	رانكه. هـ ١٩٥٣	٨٠
مولل ١٨٧٤	٢٠١	رايلفس	٨١
موللر ١٨٩٢	٢٠٢	رونشتاين	٨٢
موللر - E	٢٠٣	روزنموتز ١٨٣٥	٨٣
موللر ج	٢٠٤	روزين ١٩٣٥	٨٤
موللر فروغ ١٩٣٠	٢٠٥	روسكا. ج ١٩٤٩	٨٥
ميتفوخ ١٩٤٢	٢٠٦	روكيرت ١٨٦٦	٨٦
ميرهوف ١٩٤٥	٢٠٧	روهر بخت ١٨٥٩	٨٧

٨٨	رويرجر ١٨٧٤	٢٠٨	نساده ١٩٥٢
٨٩	ريتشارد ١٨١٥	٢٠٩	نشيلمان ١٨٨١
٩٠	ريتير - هـ ١٩٧١	٢١٠	نوتيل
٩١	ريخلين	٢١١	نولدكه ١٩٣٠
٩٢	ريشير ولد ١٨٨٣	٢١٣	نيكس ١٩٠٤
٩٣	ريكندروف ١٩٢٤	٢١٤	هابيخت ١٨٣٩
٩٤	زاخاو ١٩٣٠	٢١٥	هارتمان ١٩١٨
٩٥	زاره ١٩٤٥	٢١٦	هارتمان ١٩٦٥
٩٦	زابولد ١٩٢١	٢١٧	هارروكير ١٨٨٠
٩٧	زوربرنايم	٢١٨	هارمان ولد ١٩٤٢
٩٨	زونتايمر	٢١٩	هافريتز
٩٩	زونتايمر	٢٢٠	هانز ارنست ولد ١٩٢٦
١٠٠	زويديميم	٢٢١	هاينبرج ١٨٧٦
١٠١	زيليرج	٢٢٢	هرسفلد ١٩٤٨
١٠٢	سبون ١٨٢٤	٢٢٣	هرمان
١٠٣	ستييات	٢٢٤	هليلجه- و ولد ١٩١٠
١٠٤	سودجون ١٩٣٨	٢٢٥	هننز ولد ١٩٠٨
١٠٥	سيتمان ١٩٥٨	٢٢٦	هويبر

هوبيرج	٢٢٧	شاخت ١٩٦٩	١٠٦
هوخايم	٢٢٨	شايدر ١٩٥٧	١٠٧
هورتين ١٩٤٥ ١٩٤٥	٢٢٩	شبابر - هـ ١٩٣٥	١٠٨
هوروفنتش ١٩٣١	٢٣٠	شبتا ١٨٨٣	١٠٩
هومه ١٩٤٩	٢٣١	شبتالير ولد ١٩١٠	١١٠
هوميل ١٩٣٦	٢٣٢	شبولير - ب ولد ١٩١١	١١١
هوينراخ	٢٣٣	شتانشايدر ١٩٠٧	١١٢
هيرش	٢٣٤	شتروتمان ١٩٦٠	١١٣
هيرشفلد ١٨٣٤	٢٣٥	شتريك	١١٤
هيرشبيرج ١٩٢٥	٢٣٦	شتوم ١٩٣٧	١١٥
هيل - ج ١٩٥٠	٢٣٦	شتيكل ١٨٩٦	١١٦
هيلجن ١٨٧٦	٢٣٧	شرايز ١٩٢٧	١١٧
هينجر	٢٣٨	شلوشير ١٨٩٣	١١٧
ولفسون	٢٣٩	شمولديرس ١٨٨٠	١١٨
يان ١٩١٧	٢٤٠	شميدت	١١٩
يتسولد ١٩٢٢	٢٤١	شميدت ١٩٣٨	١٢٠

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الابشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد (ت: ٨٥٢هـ/٤٤٨م).
. المستطرف في كل فنّ مستظرف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- ابن الاثير، علي بن ابي الكرم الجزري (ت: ٦٣٠هـ/٢٣٢م).
. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- ابن الاثير، ابو السعادات مجد الدين (ت: ٦٠٦هـ/٢٠٩م).
- النهاية في غريب الحديث، تحقيق: ظاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، ط٤، مؤسسة اسماعيليان، قم، ١٣٦٤ش.
- الإربلي، المنشئ بهاء الدين (٦٩٢هـ/٢٩٢م).
. التذكرة الفخرية، تحقيق: دنوري حمودي القيسي، د. حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤م.
- الاصبهاني، ابو الفرج (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٦م).
. كتاب الاغاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- الاصمعي، ابو سعد عبد الملك بن قريب (ت: ٣١٦هـ/٩٢٨م).
. الخيل، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- ابن ابي اصيبعة (ت: ٦٦٨هـ/٢٦٩م).
. عيون الانباء من طبقات الاطباء، تحقيق: د. نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- البخاري، الامام ابو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م).
. الادب المفرد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
- البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد الكاتب (ت: ٦٣٧هـ/٢٣٩م).
. الطبخ في العصور العباسية، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٤.
- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
. انساب الاشراف، تحقيق: احسان عباس، ج٥، جمعية المستشرقين، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

- انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار، ج ٩، ١٣، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- البلقيني، سراج الدين عمر بن رسلان (ت: ٨٠٥هـ/١٤٠٢م).
- قطر السيل في امر الخيل، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي (٤٥٨هـ/١٠٦٥م).
- سنن البيهقي، دار الفكر ، د.ت.
- ابن تغري بردي الاتاكي، ابو المحاسن يوسف (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- التنوخي، ابو علي المحسن بن علي (ت: ٣٨٤هـ/٩٩٤م).
- الفرج بعد الشدة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
- نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: المحامي عبود الشالجي، بيروت.
- الثعالبي، عبد الملك (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م).
- يتيمة الدهر، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الجاحظ، ابو بكر عمرو بن عثمان (ت: ٢٥٥هـ/٨٦٨م).
- البيان والتبيين، المطبعة التجارية الكبرى، بيروت، ١٢٤٥هـ/١٩٢٦م.
- كتاب الحيوان، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٠.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: ٤٧١هـ/١٠٧٨م).
- كتاب التعريفات، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- جعفر، عبدالله بن الامام الصادق (ق ٥٢هـ).
- رسائل علي بن جعفر، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، مطبعة مهر، قم، ١٤٠٤هـ.
- الجواليقي، موهوب بن احمد (ت: ٥٣٩هـ/١١٤٤م).
- شرح أدب الكاتب، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ت.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- الجوهري، ابو نصر اسماعيل بن حمّاد (٣٩٣هـ/١٠٠٢م).
الصاح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابو الفضل (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
التلخيص الجبير في شرح الرافعي الكبير، دار الفكر، بيروت، د.ت.
لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.
- ابن حزم الاندلسي، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (٤٥٦هـ/١٠٦٣م).
المُحَلَّى، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- الحطاب الرعيني، ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٤٥هـ/١٥٣٨م).
مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد (٥٣٦هـ/١١٤١م).
التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس، دار صادر للطباعة، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن حمزة الطوسي، عماد الدين بن ابي جعفر (ت: ٥٦٠هـ/١١٦٤م).
الثاقب في المناقب، تحقيق نبيل رضا علوان، ط٢، مؤسسة انصاريان، قم، ١٤١٢م.
- الحموي، ابو عبد الله ياقوت البغدادي الرومي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
معجم الادباء، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ.
معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن حنبل، الامام احمد (ت: ٢٢٤هـ/٨٣٨م).
مسند الامام احمد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت: ٣٧٨هـ/٩٨٨م).
صورة الارض، ط٢، دار صادرة، بيروت، ١٩٢٨.
- الخصيبي، ابو عبد الله الحسين بن حمدان (ت: ٣٣٤هـ/٩٤٥م).
الهداية الكبرى، ط٤، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠).
تاريخ بغداد ومدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي المغربي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
- . تاريخ ابن خلدون المسمى ب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من نوي السلطان الاكبر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١/١٩٧١م.
- ابن خلكان، أبو العباس (٦٨١هـ/١٢٨٢م).
- . وفيات الاعيان، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- ابن ابي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبد القرشي (ت: ٢٨١هـ/٨٩٤م).
- . مكارم الاخلاق، مكتبة القرآن، بولاق، القاهرة، د.ت.
- الذهبي، شمس الدين بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
- . تاريخ الاسلام، تحقيق: د.محمد عبد السلام الدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.
- . تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، بيروت: د.ت.
- . دول الاسلام، ط٢، حيدر اباد، الدكن، د.ت.
- . سير أعلام النبلاء، تحقيق: مأمون الصاعرجي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- . العبر في خبر من غير، تحقيق: فؤاد السيد، الكويت، ١٩٦١م.
- . ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ١٩٦٣.
- الراوندي، قطب الدين (ت: ٥٧٣هـ/١١٧٧م).
- . الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي (ع)، المطبعة العلمية، قم، ١٤٠٩هـ.
- الزمخشري، جار الله (ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م).
- . اساس البلاغة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن الساعي، تاج الدين ابو طالب علي بن انجب (ت: ٦٧٤هـ/١٢٧٥م).
- . نساء الخلفاء المسمى: جهات الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق: د.مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م).
- . طبقات الشافعية الكبرى، مطبعة عيسى البياتي الحلبي، ١٣٨٥هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود حمد الطنباجي، دار احياء الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- ابن سلامة، أبو عبدالله محمد القضاعي (٤٥٤هـ/١٠٦٢م).
 مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٨٥.
 السمعاني، عبد الكريم (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م).
 الانساب، تقويم وتعليق: عبدالله الباروني، دار الجنان للطباعة، بيروت، ١٩٨٨.
 السهمي، حمزة بن يوسف (٤٢٧هـ/١٠٣٥م).
 تاريخ جرجان، ط٤، طبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٨٧م.
 ابن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م).
 المخصص، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
 السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م).
 جر الذيل في علم الخيل، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
 الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد (٣٨٨هـ/٩٩٨م).
 الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
 الشافعي، ابو عبد الله محمد بن ادريس (٢٠٤هـ/٨١٩م).
 كتاب الام، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
 ابن شهر اشوب، ابو جعفر محمد المازندراني (٥٨٨هـ/١١٩٢م).
 معالم العلماء، قم، د.ت.
 الصابي، ابة الحسن بن المحسن الهلال.
 الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مكتبة الاعيان، د.ت.
 الصالحي التاجي، محمد بن علي بن كامل (ت: ٦٧٧هـ/١٢٧٨م).
 الحلبة في اسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، ط٢، دار
 البشائر، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
 الشيخ الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (٣٨١هـ/٩٩١م).
 المقنع، مطبعة اعتماد، ١٤١٥هـ.
 الصقار، محمد بن الحسن المنصور (٢٩٠هـ/٩٠٢م).
 بصائر الدرجات، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجة علي، مطبعة الاعلمي، طهران، ١٤٠٤هـ.

- الصفدي، خليل بن آيبك (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارنؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الصنعاني، ابو بكر عبد الرزاق بن همام (ت: ٢١١هـ/٨٢٦م).
المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، منشورات المجلس العلمي، بغداد، د.ت.
- الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى (ت: ٣٣٥هـ/٩٤٦م).
الاوراق، تحقيق: ج هورث. دن، شركة الامل للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الطبرسي، رضي الدين ابو محسن (ق ٦هـ/١٢م).
مكارم الاخلاق، مكتبة الالفين، الكويت، د.ت.
- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م).
تاريخ الامم والملوك، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- الطبري الشيعي، محمد بن جرير (ق ٤هـ/١٠م).
نوادير المعجزات، مؤسسة الامام المهدي، قم، ١٤١٠هـ.
- ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩هـ/١٣٠٩م).
الفخري في الاداب السلطانية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (٤٦٠هـ/١٠٦٧م).
الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، دار الكتب الاسلامية، طهران، د.ت.
- التبيان من تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قيصر العامل، مكتبة الاعلام الاسلامي، قم، د.ت.
- تهذيب الاحكام، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراسان، دار الكتب الاسلامية، طهران. د.ت.
- المبسوط في فقه الامامية، المكتبة الرضوية، طهران، د.ت.
- الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م).
تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف كنعان، ط ٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.
- عبد الرحمن بن قدامة، موفق الدين ابي عبد الله محمد (٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
الشرح الكبير، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

- ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن ابي جرادة (ت: ٦٦٠هـ/١٢٦١م).
بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د.سهيل زكار، دمشق ١٩٨٨.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥).
تاريخ مدينة دمشق الكبير، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله الهمداني (٧٦٩هـ/١٣٦٧م).
شرح ابن عقيل، ط١٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٤.
- العلوي، علي بن محمد (ت: ٩٠٧هـ/١٣٠٩م).
- المجدي في انساب الطالبين، تحقيق: د. احمد المهدي الدامغاني، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٩هـ.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحيّ العكريّ دمشقيّ (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).
شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- الغازي، داود بن سليمان (ت: ٢٠٣هـ/٨١٨م).
- مسند الرضا (ع)، تحقيق: محمد جواد الجلاي، المكتب الاعلامي الاسلامي، ١٤١٨م.
- الغزالي، ابو حامد (٥٠٥هـ/١١١١م).
- احياء علوم الدين، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- الفارابي، ابو نصر محمد بن محمد (ت: ٣٣٩هـ/٩٥٠م).
- آراء اهل المدينة الفاضلة، ط٢، دار المشرق، بيروت، د.ت.
- ابن فارس، ابو الحسين احمد بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م).
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتب الاعلام الاسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ابو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
- المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة للطباعة، بيروت، د.ت.
- الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م).
كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٠هـ.

- الفيروزيابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت: ٨١٧هـ/ ١٤١٤م).
القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، د.ت.
- القالبي، اسماعيل بن القاسم (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).
الامالي، منشورات المكتب الاسلامي، د.ت.
- القرشي المصري، (ت: ٢٥٧هـ/ ٨٧١م).
فتوح مصر واخبارها، تحقيق: حمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- القرطبي، عريب بن سعد (ت: ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م).
صلة تاريخ الطبري، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- القرطبي، ابو عبدالله محمد احمد الانصاري (٢٧٢هـ/ ١٢٧٢م).
الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- قدامة بن جعفر، ابو الفرج بن زياد البغدادي (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).
الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق: د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
- القلقشندي، ابو العباس احمد (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٥١م.
- القمي، علي بن بابويه (ت: ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).
فقه الرضا، تحقيق: مؤسسة آل البيت، مطبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٦هـ.
- الكتبي، محمد بن شاكر (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).
فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

- ابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن السائب (٢٠٦هـ/٨٢١م).
نسب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- الامام مالك بن انس (١٧٩هـ/٧٩٥م).
كتاب الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥.
- مسلم، ابو الحسن ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م).
صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- المسعودي، أبو الحسن علي (٣٤٦هـ/٩٥٧م).
مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، دار الهجرة، قم، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤.
- مسكويه، احمد بن محمد الرازي (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م).
- تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق: د.ابو القاسم امامي، مطبعة دار سروش، قم، ١٣٧٧ش/١٩٩٨م.
- ابن مسكويه، محمد احمد بن محمد (ق ١١هـ/١١م).
تهذيب الاخلاق وتطبيب الاعراق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ابن معصوم، السيد علي المدني (ت: ق ١١هـ).
سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، المكتبة المرتضوية، قم.
- الشيخ المفيد، محمد بن محمد النعمان (ت: ٤١٣هـ/١٠٢٢م).
الاختصاص، تحقيق: علي اكبر غفاري، والسيد محمد الزرندي، ط٢، دار المفيد للطباعة، بيروت، د.ت.
- المكي، علي بن عبد القادر الحسيني (ت: ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م).
- فوائد النيل بفضائل الخيل، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، ط٢، دار البشائر، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/١٣١١م).
لسان العرب، دار احياء التراث العربي، قم، ١٤٠٥هـ.

- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت: ٤٣٨هـ/١٠٤٦م).
. الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، مكتبة مهر، طهران، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
النحاس، أبو جعفر (٣٣٨هـ/٩٤٩م).
. معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابروسي، جامعة ام القرى، الرياض، ١٤٠٩هـ.
النسفي، أبو البركات عبدالله بن احمد بن محمود (٧٠١هـ/١٣٠١م).
. تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وصفائق التأويل، تحقيق: سيد زكريا، مكتبة نزار ومصطفى
البياز، د.ت.
النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).
. نهاية الارب في فنون الادب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت.
النووي، محيي الدين (٦٧٦هـ/١٢٧٧م).
. المجموع، دار الفكر، بيروت، د.ت.
وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت: ٣٠٦هـ/٩١٨م).
. اخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
اليافعي، عبد الله بن اسعد اليمني المكي (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
مرأة الجنان وعبرة اليقضان، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (١٨٢هـ/٧٩٨م).
. كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

المراجع

- امين، احمد.
كتاب الاخلاق، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م.
الامين، السيد محسن العاملي.
ايعان الشيعة، تحقيق: حسن الامين، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٣.
بدوي، عبد الرحمن.
موسوعة المستشرقين، ط٤، المؤسسة الدينية للدراسات والنشر، عمان، ٢٠٠٣.
البغدادي، اسماعيل باشا (ت: ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م).
ايضاح المكنون، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
حاجي خليفة، مصطفى عبد الله (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).
كشف الظنون على اسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
ابو حبيب، د. سعدي.
القاموس الفقهي، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
حسن، محمد.
احكام السجن ومعاملة السجناء في الاسلام، مكتبة المنار، الكويت، ١٩٨٧.
حلمي، د. مصطفى.
الاخلاق بين الفلاسفة وعلماء الاسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
الحنفي، احمد بن محمد.
— غمز عيون البصائر في شرح كتاب الاشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
الخرزاز، خالد بن جمعة.
موسوعة الاخلاق، مكتبة اهل الاثر، الكويت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
دراز، محمد عبد الله.
من خلق القرآن، تحقيق: عبد الله ابراهيم الانصاري، دار الشؤون الدينية، قطر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- ذياب، د. فوزية.
القيم والعادات الاجتماعية، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.
زامباور. ج.
- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة: سيد اسماعيل كاشف، وآخرون، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ٢٠٠٨.
الزبيدي، محمد مرتضى (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
الزركلي، خير الدين.
- الاعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.
الساموك، د. سعدون.
- الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٠م.
السجمراني، د. اسعد.
- الاخلاق في الاسلام والفلسفة القديمة، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
سعد الدين، د. ايمان عبد المؤمن.
- الاخلاق في الاسلام بين النظرية والتطبيق، الرياض، ١٤٢٤هـ.
سعد، د. فهمي.
- العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٣.
السيد، د. رضوان.
- المستشرقون الالمان النشوء والتأثير والمصائر، دار المرآة الاسلامي، بنغازي، ٢٠٠٧.
الشمري، د. يوسف كاظم جغيل.
- مظاهر البذخ والترف عند الخلفاء والامراء في العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦هـ، بحث منشور في مجلة التربية للعلوم الانسانية، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الرابع، العدد ١ لسنة ٢٠١٠م.

- موارد ومنهجية المستشرق الالمانى آدم منتر عن الاحوال الاجتماعية لأهل الذمة في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، بحث منشور في مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، الصادرة في جامعة بابل، العدد/٧/ المجلد/١، لسنة ٢٠١٧.
- الشمري، د. يوسف كاظم جغيل، د. عجاج حميد.
- التشبه بين الجنسين في المجتمعات الاسلامية الملابس انموذجا، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، العدد/١٤، لسنة ٢٠١٣.
- ظاهرة الخصاء خلال العصور القديمة، مجلة مركز بابل للدراسات الانانية، جامعة بابل، المجلد/٥، العدد/١.
- الشمري، يوسف كاظم ججيل، د. محمد عبدالله المعموري.
- الخصيان والمترجلة في الدولة العربية الإسلامية حتى ٦٥٦هـ/١٢٥٨م دراسة في اوضاعهم السياسية والاجتماعية والفكرية، مجلة كلية التربية الاساسية جمعة بابل، العدد/١٥، سنة ٢٠١٤.
- الشيرازي، الشيخ مكارم.
- الاخلاق في القرآن، مطبعة امير المؤمنين، قم، ١٤٢٦هـ.
- الطريحي، الشيخ فخر الدين (ت: ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م).
- مجمع البحرين، ط٢، مطبعة جايخانة طراوت، طهران، ١٣٦٢ش.
- العالمي، السيد جعفر مرتضى.
- المواسم والمراسم، قم، ١٤٠٧هـ.
- عبدالعال، احمد.
- التكافل الاجتماعي في الاسلام، الشركة العربية للنشر، القاهرة، د.ت.
- العقيقي، نجيب.
- الاستشراق والمستشرقون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦.
- القدهان، د. محمد عبدالله احمد.
- الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الاخير، دار البشير، بغداد، ٢٠٠٥.
- قرامي، د. امال.
- الاختلاف في الثقافة الاسلامية دراسة جندرية، دار المدار الاسلامي، بنغازي، ٢٠٠٧.

- قلعجي، حميد.
. معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨.
كحالة، د. عمر رضا.
. اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ط٢، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.
. معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، د.ت.
ابو زهرة، محمد.
. التكافل الاجتماعي في الاسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
مرزيان، د. علي لازم،
- الالفاظ الفارسية ومجالاتها الحضارية في المجتمع العربي من المجتمع العربي في القرن الرابع الهجري، مجلة دراسات ايرانية، العدد/٦-٧.
هيويدي، د. احمد محمود.
. الاستشراق الالمانى، تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، القاهرة، ٢٠٠٠.
القمي، الشيخ عباس.
. الكنى والالقب، مكتبة الصدر، طهران، د.ت.
المازندراني، محمد صالح (ت: ١٠٨١هـ/١٦٧٠م).
- شرح اصول الكافي، تحقيق: الميرزا ابو الحسن الشعراني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
مقر، آدم.
. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
مجموعة مؤلفين.
. المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، د.ت.
الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة.
. الاخلاق الاسلامية واسسها، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.



الهلاي، د. عماد.

. تهذيب الاخلاق لمسكويه، دراسة وتحقيق، منشورات دار الجمل، بيروت، ٢٠١١م.

وافي، د. علي عبد الواحد.

. المدينة الفاضلة للفارابي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

Ministry of higher education

& Scientific research

University of Wasit

College of education

Issn :1994-2417

JOURNAL OF THE COLLEGE OF EDUCATION

University of Wasit

*academic refereed –Biannual College
of education*

University of Wasit

NOVEMBER. NO. 29 –10 YEAR -2017

EMAIL : ECJUOW@UOWASIT.EDU.IQ